

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقالات المؤتمر الدولي للناصر الكبير (الأطروش)

باهتمام: السيد علي موسوي نجاد

الموضوع: الناصر الاطروش سيرته و افكاره

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة: الأولى

المطبعة: نكارش

الكمية: ١٠٠٠

تاريخ النشر: ١٤٣٥ هـ. ق

ردمك: ٩٧٨-٩٦٤-٥٢٩-٧٩١-٤

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

Info@ahl-ul-bayt.org

www.ahl-ul-bayt.org

مقالات المؤتمر الدولي للناصر الكبير (الأطروش)

و رسالة علماء الإسلام في العصر الحاضر
مع الاعتماد على تعاليم نهج البلاغة و
الصحيفة السجادية

بإهتمام: السيد علي موسى نجاد

أَهْلَ الْبَيْتِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَ كُفْرَ قُلُوبِكُمْ

أَهْلُ الْبَيْتِ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ

لَنِي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ
أَحَدُهُمَا الْكَبِيرُ الْأَخَرُ كِتَابُ اللَّهِ جِبْلٌ مَدُونٌ
مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَعِزَّتِي أَهْلِيَّتِي وَإِنَّهُمَا
لَنُفْتَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ

مسند أحمد ٣ : ١٤ و ١٨ (ما أسند عن أبي سعيد)

سنن الترمذي ٥ : ٣٢٩ / ح ٨٣٧٦

المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ و ١٤٨

فضائل الصحابة للنسائي : ١٥ (باب فضائل علي عليه السلام)

المعجم الأوسط للطبراني ٣ : ٣٧٤

فهرس المحتويات

كلمة المجمع	٩
مقتطفات من الكلمة التي ألقاها سماحة آية الله جوادى الآملى (مدّ ظلّه)	١١
تمهيد □	
تاريخ تعرف أهالى البلاد الشرقية من الخلافة الإسلامية على العلويين والفكر الشيعي	٢٣
الناصر للحق؛ سيرته و شخصيته	٢٧
اهداف وضرورة عقد هذا المؤتمر □ ونبذة عن المقالات وكتّابها	٣٢
□	
الإمام السجّاد عليه السلام رائد الفقه الإسلامي على مذهب أهل البيت عليه السلام	
التمهيد:	٣٩
شمولية الإسلام لأُمور الدين والدنيا	٤٠
قيام الإمامة بشؤون الإسلام كافة	٤٠
موقف أهل البيت (عليهم السلام) من هذا الواقع	٤١
موقف الإمام السجّاد ومن تلاه من الأئمة (عليهم السلام)	٤٣
البديل الموازي في الهدف	٤٥
تدابير الأئمة (عليهم السلام) لتحقيق هذا الهدف	٤٧
الخاتمة نتيجة البحث	٥٦
التعريف بنسب الناصر الكبير	
المدخل	٥٩
نسب الناصر الكبير	٦٠
أجداد الناصر الكبير	٦٣
١- عمر الأشرف	٦٣
٢- على الأصغر بن عمر الأشرف	٨٠
٣- الحسن الشجري بن علي بن عمر الأشرف	٨٣
إمام الزيدية أبو جعفر محمد الصوفي بن قاسم بن علي بن عمر	٨٨
والد الناصر الكبير (عليه الشاعر العسكري)	٩١
أعمام وأبناء أعمام الناصر الكبير	٩٤
إمام الزيدية، المستظهر بالله مانكديم أبو الحسن احمد	٩٥
ابو القاسم جعفر الديباجة عم الناصر الكبير	٩٧
اخوة الناصر الكبير	١٠٠
إمام الزيدية أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر فى الله	١٠٣
خلاصة البحث	١٠٤
المصادر :	١٠٨

الاتجاهات السياسية والدينية لناصر الحق الزعيم البارز للعلويين في طبرستان

المقدمة.....	١١٣
نبذة عن مصادر هذا البحث.....	١١٤
منهج الناصر للحق في أعماله السياسية والاجتماعية.....	١١٩
حكومة العلويين في طبرستان، مهد أولى نشاطات الناصر للحق.....	١١٩
بداية النشاطات السياسية لناصر الحق في شمالي ايران.....	١٢١
النشاطات الدينية والسياسية لناصر الحق في گيلان والديلم.....	١٢٣
ناصر الحق وحياء حكم العلويين في طبرستان.....	١٢٥
تسليم السلطة وحدوث صدع في القدرة السياسية.....	١٢٨
الإجراءات التي إتخذها الناصر وعودة الإستقرار.....	١٣١
التنحي عن الحكم والإهتمام بالنشاطات العلمية والثقافية.....	١٣٢
المصادر:.....	١٣٤

دراسة تحليلية لحياة الناصر الكبير من وجهة نظر أخلاقية وثقافية

الخلاصة :	١٣٧
المقدمة.....	١٣٨
تعريف عام بالحسن بن علي (ناصر الكبير).....	١٣٨
التثقيف ونشر العلوم والمعارف.....	١٤٤
جهاد الناصر الثقافي.....	١٤٥
تأسيس أول مراكز تعليمية.....	١٤٦
مؤلفات الناصر الكبير.....	١٤٧
النتيجة.....	١٥٢
المصادر والمراجع :	١٥٤

الخدمات و التوجهات الثقافية و الاجتماعية للناصر الأطروش في شمالي ايران

المقدمة.....	١٥٧
١ - العلويون والناصر الأطروش في شمالي إيران.....	١٥٨
الناصر الأطروش امام مجاهد و مجتهد.....	١٦٠
آثار الناصر.....	١٦١
٢ - توجهات وتأثيرات الناصر الأطروش الثقافية والاجتماعية.....	١٦٢
دراسة الاساليب الدعائية لناصر الأطروش علي اساس قياس السلوك.....	١٦٢
التركيز علي الشخصية الاخلاقية المتعالية وتكريم الناس.....	١٦٣
مدارة وملاطفة الناس ومتابعة شؤونهم.....	١٦٤
السلم مع معارضيه في الإتجاهات الدينية :	١٦٥
نظرة الى اسفار الناصر الدعوية.....	١٦٨
نشر وتوسيع الاسلام.....	١٦٩

١٧٠	تقارير المؤرخين حول انتشار الاسلام علي يد الناصر
١٧٢	بناء العديد من المساجد
١٧٣	اقامه المجالس العلمية و احياء العلوم الدينية
١٧٤	اقامه مجالس الشعر
١٧٧	تراث اطروش العلمي في اطار المدرسه الناصرية
١٧٩	المصادر
	أهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الثقافي للعلويين في شمالي ايران
١٨٢	تمهيد
١٨٤	المخطوطات الزيدية في إيران وطريقة التعرف عليها
١٨٩	مجموعة حصرية من تراث الزيدية في إيران
١٩٤	المشايخ الزيدية في القرن الثامن
١٩٧	هوية مؤلف المشايخ
١٩٨	بعض الأسر العلمية الزيدية الإيرانية
	نظرة فاحصة في الأسس النظرية التي اعتمدها الشريف المرتضى في كتابه «الناصريات»
٢٠٧	التمهيد :
٢٠٩	حول الناصر الكبير
٢١٢	حول الناصريات
٢١٨	مصادر الشريف المرتضى في إستنباطاته الفقهية
٢٣٣	المصادر :
	المذهب الزيدي في ماضيه و حاضره مقارنة بالمذهب الامامي الاثني عشري
٢٣٥	ظهور الزيدية، و خصائص مذهبهم
٢٣٩	من دواعي الاختلاف والتغيير في اتجاهات الزيدية قديماً وحديثاً:
٢٣٩	ومن الفوارق المهمة بينها:
٢٤١	أهمّ الموافقات والمخالفات بين الزيدية والاثني عشرية، في الأصول والفروع:
٢٤٣	الزيدية و«المعتزلة» و«الحنفية»:
٢٤٨	المصادر الحديثية بين الزيدية و الامامية:
٢٤٩	التراث الزيدي و أهمية المراجعة اليه:
٢٥٤	إحياء التراث المشترك و دوره في توسيع أواصر الترابط والوحدة والتواصل
٢٥٨	الجيل المعاصر من الزيدية و الصحوة الاسلامية:
٢٦٣	المصادر :



كلمة المجمع

مدرسة أهل البيت التي تجسّد الإسلام المحمدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الاتقان، والاستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة. «فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبّعونا» (عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٧٥). إن هذه المدرسة الثرة والوضاءة قد أعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبارشادات الأئمة الاطهار، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، أدى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة السيد آية الله العظمى الخامنّي (مدّ ظله الوارف) في عام ١٩٩٠م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت عليهم السلام.

إنّ المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام وفي سياق نهوضه برسالته من أجل الارتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام وترصين دعائم البيت الشيعي، وبالتعاون مع المؤسسات والمراكز العلمية قام بعقد

المؤتمر الدولي لتكريم العالم والسياسي البارز في العالم الإسلامي الناصر للحق (الناصر الأطروشي).

ونظراً إلى ايكال مسؤولية اللجنة العلمية للمؤتمر، الى معاونة الشؤون الثقافية في المجمع العالمي، بادرت هذه المعاونة إلى كتابة مجموعة من المقالات حول شخصية الناصر وحياته، ومؤلفاته، ومدرسته الفقهية، والمذهب الزيدي، والوجوه المشتركة بين الإمامية والزيدية وما شابه ذلك. لقد سببت ندرة المصادر، وضيق المجال، وقلة الباحثين في هذا المجال، إيجاد الكثير من الصعوبات على هذا الطريق. وفي ضوء ما سبق ذكره بذلنا مجهودنا من أجل أن تُصاغ وتُنشر هذه المجموعات من المقالات على أكثر ما يمكن من الاتقان والعمق.

وهنا أرى لزماً عليّ أن أقدم شكري للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العلمي للمؤتمر فضيلة الدكتور موسوي نجاد، وكذلك أشكر مدير وأمين معهد الدراسات الاستراتيجية وهما حجة الإسلام والمسلمين الدكتور محسن رضواني والدكتور محمد اسماعيل نباتيان وسماحة السيد ابراهيم معصومي، وكذلك الكتاب، والمترجمين، والمقيمين وخاصة رئيس قسم الترجمة الاخ عبد الكريم الكرمانى، وجميع الاخوة الذين عاضدونا بشكل أو آخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نجف لك زائي

معاون الشؤون الثقافية

في المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

مقتطفات من الكلمة التي ألقاها سماحة آية الله

جوادى الآملى (مدظله) أثناء لقائه أعضاء اللجنة

العلمية لمؤتمر الناصر الكبير

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، عظم الله أجورنا وأجوركم.

عندما دخل الاسلام إلى ايران، لم يكن من الواضح جلياً يومذاك أين يكمن الاسلام الأصيل، ومع كلام أي شخص تتماشى اطروحة القرآن والعترة. فالجنود والقادة المسلمون يوم دخلوا أرض ايران الشاسعة التي كانت بلاد العقل والدراية، ادرك الايرانيون حينها أن هؤلاء القوم لديهم اطروحة جديدة بالنظر. ولذلك فقد تقبلوا منهم ذلك من غير حرب. وإلا فلو كانت ايران تريد القتال، لكان من المؤكد أن تنتصر حسب الظاهر. ايران لم تقع يوماً في الشرك والإلحاد قط. ورغم انها لم تقدم شهداء من أجل التوحيد أو تربى أمثال افلاطون وارسطو كما فعلت اليونان، إلا انها لم تنحدر نحو عبادة الأوثان كما كان عليه الحال في الهند. ومن أجل استجلاء مكانة ايران في المنطقة يومذاك، فاننا نستعرض هذا المثلث (اليونان، وايران، والهند). فقد كان الشرق الاوسط يعيش

أما في إلحاد أو في شرك، أو انهم كانوا يقولون ليس هناك من إله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾^١، أو انهم كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾^٢. لقد كانت هذه هي الهاوية وهذا هو المأزق الذي كان يعيشه الشرق الاوسط. كان هناك طبعاً في أعقاب طوفان نوح اناس موحدون هنا وهناك. وعندما ظهر النبي ابراهيم عليه السلام في هذه المنطقة، استطاع بفضل ما كان يطرحه من أدلة وبراهين، أن يهدي فئة قليلة جداً من أهالي هذه المنطقة الى التوحيد، حتى انه لم يستطع هداية عمه، فهو قد أقام الأدلة والبراهين على أن الكواكب والاصنام والالوهة غير قادرة على فعل شيء، إلا أن تلك البراهين لم تؤثر. وعندما رأى أن تلك البراهين لا تؤثر فيهم، تناول فأساً. إِنَّ مَنْ يَتَأَهَبُ لِكُلِّ مَخَاطَرٍ، يَحْمِلُ الْفَأْسَ وَيَسِيرُ قُدَمًا: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾^٣. ومن بعد تلك الواقعة أثر هذا العمل في جماعة من الناس إلى حد ما؛ بحيث انه عندما قال لهم: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كُنَّا نَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ. . .﴾^٤، تنبه عدد منهم ووعوا حقيقة الأمر. غير أن رؤوس الشرك والإلحاد تأمروا لإزاحة النبي ابراهيم من طريقهم. وحينما أوقدوا تلك النيران قائلين: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾^٥، جاء الأمر الالهي: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾^٦. وعند ذاك تحولت

١. انعام، ٢٩.

٢. زمر، ٣.

٣. الأنبياء، ٥٨.

٤. الأنبياء، ٦٣ و ٦٤.

٥. الأنبياء، ٦٨.

٦. الأنبياء، ٦٩.

النار إلى روضة غناء، وتبدّل الحال. ورغم أن امكانيات وسائل الإعلام يومذاك لم تكن مثلما هي عليه اليوم، بيد أن خبر تلك الواقعة كان على قدر فائق من الأهمية بحيث انتشر في أقصر مدّة في الشرق الأوسط. وعلى إثر تلك الواقعة أخذ الملحدون والمشركون الذين كانوا يقولون: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾، أخذوا يفكّرون في وجود الله وفي توحيده.

قال أبو ریحان البيروني: أدى عمل النبي ابراهيم سلام الله عليه، الذي وقع في منطقة الشرق الاوسط إلى توعية فئة من الناس في أوّل الأمر، وهم اليونانيون. وفي أعقاب تلك الممارسات التي قيل فيها ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ ومن بعد ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ وعوا واستفاقوا وغدوا سبّاقين إلى الشهادة من أجل صيانة التوحيد. لم يكن تناول السمّ عملاً سهلاً، غير أن شخصية كبرى مثل سقراط تناول ذلك السمّ من أجل حفظ التوحيد. ولهذا فقد كانت نتيجة شهادة سقراط تربية ارسطو وافلاطون اللذين بفضلهما أحيا التوحيد كلّ تلك البقاع. ورغم أن ايران لم تستطع أن تربيّ مثلهم أفراداً نظير ارسطو وافلاطون، بيد أنّها لم تقبل الإلحاد ولا الشرك. وحسبما يرى أبو ریحان البيروني لو أن علماء الهند فعلوا مثلما فعل علماء اليونان وقدموا عدداً من الشهداء لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة، لما كان قد بقي اليوم في عصر الوعي والتقدّم شيئاً مما نراه اليوم من عبادة البقر وعبادة الفئران في الهند التي تُعتبر بلد الأسرار. وعلى هذا الأساس فإنّ ايران بلطف الله وفضله، وإن لم تكن كاليونان التي قدّمت من أجل التوحيد شهداء وربّت أمثال ارسطو وافلاطون، الا أنها لم تخضع للإلحاد

والشرك وما شابه ذلك. وأما تيار الزرادشتية فقد كان إلى جانب التوحيد. فقد نقل مؤلف كتاب جواهر الكلام الشيخ محمد حسن النجفي رضوان الله عليه أن المجوس كان لهم كتاب وقد ضاع كتابهم وقُتل نبيهم أيضاً.

في الواقع أن الإيرانيين كانوا قد سمعوا بالحق والتوحيد، ولذلك عندما جاء الاسلام إلى ايران كانوا يترقبون ليروا ما هي الرسالة التي جاء بها الاسلام. وحيثما ذهب جنود المسلمين وقادتهم إلى مناطق أخرى مثل كردستان، وتركمن صحرا، وبلوشستان، من المؤسف انهم قد سلكوا طريقاً آخر. ولكن حيثما ذهب أفراد من السادات ومن الأعلام والشخصيات الكبيرة، إلى بلاد مثل طبرستان، وقم، وگلپایگان، وخوانسار، أصبحت تلك البلاد مهدداً للتشیع. ولذلك فأنت عندما تذهب إلى طبرستان تجد مزارات أبناء السادات في كل خطوة. ولو كان عليهم أن يستولوا على طبرستان بالحرب والقتال لما تسنى لهم ذلك على الإطلاق! وذلك لأن تلك البلاد مليئة بمواضع القتال، وبالوديان والجبال والشقوق، بل وكل شجرة هناك عبارة عن موضع قتالي، وما كان يتسنى للعرب فتح طبرستان بالقوة العسكرية. ولكن أجدادنا رحبوا بهؤلاء السادات؛ حيث رأى أجدادنا أنهم كانوا يتحدثون عن علي بن ابي طالب، وعن فاطمة الزهراء، وعن الإمام الحسن، وعن الإمام الحسين. ولذلك فقد استقبلوا أولئك الأعلام الكبار.

لقد كان الناصر الصغير والناصر الكبير من هذه الشخصيات التي كان لها النصيب الأوفر في نشر التشيع. في تلك الحقبة لم يكن هناك طبعاً تفاوت واضح بين الشيعة الاثني عشرية، والأربعة إمامية، وما شابه ذلك، فناصر الصغير هو ابن ناصر الكبير، وهو جدّ الشريف المرتضى والشريف الرضي لأُمّهما، ووالدة هذين السيدين الجليلين هي فاطمة رضوان الله عليها. الحوزات العلمية كلّها

مدينةً بالفضل للنجف. أي لولا النجف ولولا ما تجود به من الفضل، كان ينبغي اغلاق الحوزات العلمية مثل حوزة قم، و حوزة مشهد، و حوزة اصفهان، وما سواها في سائر مدن المشرق والمغرب. فضل النجف وعطاؤها يتجسّد في الكتب الأربعة، وفي كتاب شرائع الاسلام، وجواهر الكلام، والرسائل، والمكاسب، والكفاية، وجميع الكتب الفقهية. وعلى صعيد آخر فإنّ الحوزة العلمية في النجف، كان الشريف المرتضى هو الذي أنشأها وهو الذي كان يديرها. وهذه الكرامة التي تحظى بها النجف لا تُعزى إلى كونها حرم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام (ولاشك طبعاً في أن قدسية وعظمة وبركة امير المؤمنين على الرأس، ومقبولة عند الكل) إذ أن هناك من هو اسمى من علي بن ابي طالب عليه السلام، وهناك موضع أكثر بركة من النجف، وهي المدينة المنورة التي يضم ثراها أضرحة ستّة معصومين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله، غير أن تلك المدينة ليس لها ما للنجف من عطاء. فحينما يكون زعيم الحوزة العلمية في المدينة المنورة هو أبيّ بن كعب، فهذه هي النتيجة. ولكن حين يكون زعيم الحوزة العلمية في النجف هو الشريف المرتضى، فان ثمرة ذلك هي هذه البركات التي تجود بها الحوزة العلمية في النجف. أسرة الناصر الكبير لها في رقاب الايرانيين حق الحياة؛ فهم الذين روّجوا للتشيع ونشروه، وهم من عرّفوا الناس على أهل بيت العصمة والطهارة ودلّوهم عليهم. وحرّى بنا أن نُحيي ذكر هذه الأسرة. وهذا هو ما تقومون به من خلال عقد هذا المؤتمر.

الثورة الاسلامية مدينة بالفضل لهذه الاسرة؛ وذلك لأن الراية التي كان يحملها دعاة الثورة على أكتافهم كانت مطرّزة باسم الحسين واسم الزهراء. وفي سنوات الدفاع المقدّس أيضاً كان الجميع يهتفون وينادون: يا حسين يا حسين، وكربلاء كربلاء. واولئك هم الذين يحفظون حدود هذه البلاد. ولو لم تكن

شعارات وهتافات كربلاء والحسين موجودة لا سمح الله، لما بقي لدينا شيء. حدود هذا البلد الزاخر بالدرر كانت موجودة في الحرب العالمية الاولى وفي الحرب العالمية الثانية أيضاً، ولكننا كُنّا ننصاع للأجانب في كل ما كانوا يريدونه مِنّا. وبناءً على ما سبق فإنّ هذه الشخصيات تمثل شرفنا وهويتنا. ومن بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، حيثما دار الكلام حول التشيع الأصيل، كان ذلك يجري مصحوباً باسم الإمام والشهداء والثورة. ولكن حيثما كان يأتي كلام الغير، كُنّا نُجابه مشكلة مثلما هو الحال في بلوشستان، واقليم تركمن، واقليم كردستان. وعلى هذا الأساس إذا كان الامر يتعلّق بالتعرّف على هويتنا، والتعرّف على كرامتنا وعزّتنا، فنحن مدينون لهذه الأسرة. وفي الوقائع التي حصلت أثناء اندلاع الثورة الاسلامية في ايران، قدّم أبناء الشعب كل اولئك الشهداء، ولكنهم مع ذلك بقوا يهتفون بشعارات الموت للشاه. وقد انطلقت في أيام الثورة الاسلامية في ايران أربع مسيرات مليونية، وكانت كلّها بفضل سيّد الشهداء. كانت اولاهما في يوم تاسوعاء من المحرم، والثانية في عاشوراء، والثالثة في يوم أربعينية الحسين، والرابعة في اليوم الثامن والعشرين من شهر صفر. إنّ عزّتنا، وكرامتنا، وهويتنا، وبلادنا، قائمة بهذه الامور. وهذه الاسرة لها في أعناقنا حقّ الحياة. البقعة المباركة لضريح ناصر الحق ستتحول باذن الله إلى مركز استقطاب ثقافي. ومما يدعو إلى الأسف أن هذه البقعة التي يقع فيها هذا الضريح ليست لها لافتة تحمل اسمه، ولا هوية، ولا يوجد شخص يتكفّل بخدمة هذا الموضع والاهتمام به، وليس في ذلك الموضع رواق. في حين أن الموضع يتطلب ايجاد رواق له. وينبغي أن تُقام هناك صلاة جماعة. وأن يُقرأ هناك دعاء كُميل، وينبغي أن يُقرأ هناك دعاء التوسّل أيضاً. ينبغي احياء هذا الموضع وتحويله إلى مركز للاستقطاب الثقافي. وعند ذاك ستكون له من العائدات ما

يكفى لتغطية نفقاته. قبل بضعة سنوات، من بعد الانتهاء من صلاة الجماعة التي كانت تُقام في مدرسة السعادة، قام أحد طلبة العلوم الدينية، وكان من أهل اليمن، وقال لي: أنا من أهل اليمن، وقد ذهبت إلى مدينة آمل لزيارة ضريح ناصر الكبير، إلا أنني وجدت مقبرته ليست كما ينبغي وفي وضع غير مرضٍ. فلماذا هذا الإهمال؟ ولماذا لا يكون هناك اهتمام به؟ اليمنيون يعتبرون الناصر الكبير إماماً، ويأتون إلى آمل خفية لزيارة مرقده. من الطبيعي أنهم يزورون ضريح الإمام الرضا في مشهد علانية، ولكنهم يذهبون إلى آمل خفية. واليوم إذا رأينا أنهم قد ثاروا في اليمن؛ فذلك يعود الفضل فيه إلى أهل البيت. وحيثما كان هناك صمود ومقاومة فذلك ببركة أهل البيت. إن شاء الله سيعقد المؤتمر بجهودكم وبالتعاون مع ادارة الاوقاف الموقرة، بالشكل الذي يجعل من تلك البقعة المباركة مركزاً للاستقطاب الثقافي، وإذا أُضيء هناك مصباح وجُعِل من ذلك الموضوع مزار، واهتمت فيه صلاة جماعة، وقرأ فيه دعاء التوسل ودعاء كميل، سيبقى ذلك الموضوع خالداً وتُحفظ له عظمته. وهناك إلى جانب بقعة الناصر الكبير، يوجد مرقد شمس آل الرسول. وهذا هو الآخر لازال إلى الآن مجهولاً، وينبغي أن يُعرف هذا الشخص أيضاً وأن تُعرف طبيعة العلاقة التي كانت تربطه مع الناصر الكبير. ويتعين أيضاً أن يُعاد بناء مرقده واحياه. صحيح أن تحت جمشيد حجر قيم وفي ذلك الموضوع آثار قديمة، إلا أن تلك الاحجار لا جدوى منها. إن الاحياء من هؤلاء لم يقدّموا شيئاً ذا بالٍ، فما بالك بالأموات منهم. ولاشك أيضاً في أن تلك الآثار ينبغي الحفاظ عليها، لكن هؤلاء الأعلام الأجلاء هم شرف الدين.

وفي ضوء ما سبق ذكره ستكون لكم باذن الله أمانة عامّة للإعداد لهذا المؤتمر وعليكم السعي من أجل أن تُقدّم إلى هذا المؤتمر مقالات حول الإمامة، والائمة،

والزيدية، وفقه الزيدية. ثم يُستجلى بعد ذلك كيف استطاع الشريف المرتضى أن ينطلق من هذه الأسرة ويدير كل تلك الحوزات العلمية في عالم التشيع. وكذلك اخوة الجليل الشريف الرضي الذي جمع خطب وكلمات أمير المؤمنين على أفضل وجه وبأعقل اسلوب؛ وذلك أن أمير المؤمنين كان له في مقابل الخليفتين الأول والثاني، كلام حاد. ولو أن الشريف الرضي أورد ذلك الكلام في نهج البلاغة، لما كان قد بقي من هذا الكتاب «نهج البلاغة» شيء يُذكر. فالشريف الرضي قد اختار من كلام أمير المؤمنين بطريقة عاقلة ولم يورد فيه الكلام الذي يتسبب في إيجاد الاختلاف والتوتر ويفكك وحدة المسلمين. ولذلك نجد أن ما يقارب ثمانين بالمائة من كتاب نهج البلاغة، إنما هو مما أورده علماء أهل السنة. فقد قال ابن أبي الحديد وهو من كبار علماء أهل السنة حول تدوينه أهم شروحات كتاب نهج البلاغة. ما كنت أحسب اني سأنتهي من ذلك في اقل من أربع عشرة سنة، ولكن أحمد الله اني انتهيت من هذا الشرح بعد عشر سنوات. ونقل ابن ميثم البحراني في شرحه لنهج البلاغة الكثير من الفقرات والموارد عن ابن أبي الحديد. وعندما يأتي ابن أبي الحديد على ذكر أمير المؤمنين يصفه بأسمى كلمات الاحترام والتكريم. وفي عموم مجتمع أهل السنة يُذكر أمير المؤمنين بالإجلال والتوقير. ويُفهم من وراء كل ذلك أن مما قام به الشريف الرضي لم يكن عملاً هيئاً. فهو قد جعل من عليّ تالي تلو القرآن. كما هو الحال بالنسبة إلى الإمام الخميني رضوان الله عليه، الذي لم يذكر أي شيء من الكلام - المثير للفرقة - الذي كثيراً ما ينقله الآخرون في أقوالهم، وكان يسعى إلى تحقيق الوحدة. إذ أن هذا الكلام إذا نُقل

فستكون نتيجته ما نشاهده اليوم من تكفير ومذابح وقتل واغتيالات وما شابه ذلك. قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنعام المباركة: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، 'أي لا تسبوا الأصنام لأن الصنم مقدّس عند عابد الصنم. ولكن إذا كان لديك بحث علمي واستدلال، يمكنك أن تطرحه. وإذا كانت سورة الانعام تنهى عن سبّ الأصنام، فذلك من أجل أن لا يسبوا الله. وعلى هذا الأساس فان من أعقل الاعمال التي أنجزت يومذاك هو ذلك العمل الذي قام الشريف في جمع نهج البلاغة بتلك الطريقة الحكيمة والمبدّرة.

إثنان من الكتب الأربعة وهما كتابي التهذيب والاستبصار، كتبهما الشيخ الطوسي. وقد نقل بحر العلوم أن الشريف المرتضى كان يتعرّف على الأفراد من ذوي الأهلية والاستعداد الجيد أو المتوسّط. فكان إذا وجد في أحد الطلاب شخصاً ذا أهلية تفوق الآخرين. كان يستدعيه ويختبره وبعد ذلك صار يعطيه مرتباً شهرياً قدره اثنا عشر ديناراً. وكان يختبر طالباً آخر فيجده أقل استعداداً من الطالب الاول؛ فيقدّم له راتباً شهرياً مقداره ثمانية دنانير. ذلك الطالب الذي كان يحصل على اثني عشر ديناراً كمرتّب شهري، صار الشيخ الطوسي. واما الطالب الذي كان يستلم مرتباً شهرياً قدره ثمانية دنانير فذلك هو القاضي ابن البرّاج الذي غدا من أعيان الشيعة. هذا الاسلوب الذي اتّبعه الشريف المرتضى في التعرف على الطاقات والاستعدادات هو الذي أعطى تلك النتائج؛ وإلا فان حالة الفقر التي كان يعيشها الشيخ الطوسي كانت لتجعل منه إمام جماعة لا

أكثر، ولما كان باستطاعته أن يؤلف كتابين من الكتب الأربعة. وهكذا الحال أيضاً بالنسبة إلى القاضي ابن البرّاج. فهؤلاء من كواكب سماء الدين والتشيع والاسلام الأصيل.

كلّ أمل في انكم بما كان ولا زال لديكم من همّة عالية، ستقدّمون عطاءً أفضل، وأن تتمخّض عن جهودكم هذه عدّة كتب علمية. إذا كانت الأمانة المعنيّة بعقد هذا المؤتمر فاعلة على مدى السنة، يمكنكم إن شاء الله الحصول على معطيات متواصلة. وعلى دائرة الاوقاف الموقّرة أن تبذل جهداً وتحجّي هذه البقعة. وليس من الضروري تخصيص اموال كثيرة لهذا الغرض. ولكن لو يُجهّز ذلك المكان بالانارة، ويُبنى على ذلك المرقّد ضريح مناسب، وتُكتب لوحات للتعريف بشخصيّته، ويُبنى له رواق، ويُقرأ هناك دعاء كميل، وتُنصب هناك مكبّرات صوت يُبثّ منها الأذان على الدوام. هذه الامور لها تأثير كبير. ثم إذا جُعِلَ له ضريح للزيارة سيكون ذلك أفضل. الإمام الخميني له كتاب زيارة. وهذه الزيارة نحن كتبناها. حيث يجوز كتابة زيارة لغير المعصوم. كما ينبغي أيضاً وضع هوية تعريف بهذا المكان؛ لأن كتب الزيارة هذه على قسمين. كتاب زيارة عامّة يمكن أن تُقرأ في كل مكان. الآن يوجد في قم ما يربو على مائتين أو ثلاثمائة مزار في قم، وهذه المزارات كلّها كتاب زيارة. ولكن ليس لأي من هذه المزارات في قم زيارة مأثورة باستثناء السيّدّة فاطمة المعصومة (س) فكتاب الزيارة بمثابة هوية تعريف عامّة. وهذا ما نُقل أيضاً في كتاب مفاتيح الجنان. والقسم الآخر من الزيارات المأثورة. وليس من الضروري طبعاً ان تكون الزيارات كلّها مأثورة. ياحبدا لو تُكتب زيارة دقيقة للناصر الكبير ويُذكر فيها اسمه واسم أبيه. وان تُقام هناك صلاة جماعة. هذا العمل ستكون له باذن الله بركات في الدنيا وفي الآخرة. ينبغي أن نعتقد بقدسية هذه الشخصيات وبما لها من بُعد معنوي، وانهم

كانوا شخصيات لا يُستهان بها، ولهم حق عظيم في رقابنا. إنّ طهارتهم وقدسيّتهم لها أثرها. ولأريب طبعاً في ان الإمام الخميني وشهداءنا الابرار لهم الثواب بالدرجة الاولى، ومن بعدهم تأتون أنتم؛ لأنهم هم الذين أوجدوا هذا المجد وهذا الجلال والعظمة.

واما بالنسبة إلى مرقد شمس آل محمد، الذي يقع على مقربة من بقعة ناصر الكبير، فمكانه موحش؛ وينبغي على منظمة التراث الثقافي أن تمدّد يد العون، وعلى ادارة الاوقاف أن تقدّم المساعدة أيضاً لكي يتسنى إعادة بناء هذا الموضع. هذه الأماكن مصدر خير. ويحبّذا لو يتسنى أيضاً جمع مؤلّفاتنا واحيائها. وان تكتب هوية للتعريف به، وان تكتب له زيارة أيضاً. هذه الامور تبقى خالدة على مرّ الزمن.

القضية المهمة الاخرى تتعلق بالوقف والموقوفات. لقد كانت الموقوفات موجودة قبل العهد البهلوي. ولكن في زمان العهد البهلوي زالت هذه الموقوفات كلّها. وفي العهد الملكي، اشترى رضا خان جميع الاراضي، والمزارع، والبساتين الجيدة اشترها من جميع الناس بالقوّة وبالتهديد. وزالت الموقوفات. ولكن من بعد انتصار الثورة الاسلامية، تمّ احياء الموقوفات إلى حدّ ما، ولكننا وللأسف لم نتمكن من احياء الوقف. فالوقف قد مات أو انه في مرحلة الاحتضار. لم نتمكن من احياء الوقف. وكل ما استطعنا فعله هو أننا تصدينا لما كانوا يقومون به من اغتصاب الموقوفات وأحييناها. ولكن لم تكن لدينا القدرة والمهارة على احياء الوقف. ويُعزى سرّ ذلك إلى اننا لم نتمكن من معرفة الوقف بالشكل الصحيح. ولم نوضّح بشكل جيّ الفارق بين الصدقة الجارية وبين الصدقة الجامدة، لكي يعلم الناس هل الوقف صدقة جارية أم صدقة جامدة. لقد بيّنا الوقف بالنحو الذي فهم منه ان الوقف صدقة جامدة. أي حينما يُجعل

المَلِكُ وقفاً فمعنى ذلك انه يتعذر من بعد ذلك التصرف فيه. ولكن الوقف يمكن شرحه بأسلوب علمي والقول انه صدقة جارية وليس صدقة جامدة. ادعوكم إلى أن توقفوا العرصات والعقارات، ولا تقولوا مثلاً انه لابد أن يكون في هذا الموضع محل تجاري، بحيث انه إذا تعذر جعله محلاً تجارياً، يمكن حينذاك جعله مدرسة أو مستوصفاً أو مشفى. فهذه صدقة جارية، إلا انهم كتبوا الوقف بشكل يفهم منه انه لا يجوز تغيير طريقة استخدامه. وهذا ما ينتهي إلى جعله صدقة جامدة. وليس هناك من أحد مستعد للايقاف بهذه الطريقة. فكل ملك لابد وان يتبدل بعد عدة سنوات. فهذا المكان الذي هو اليوم بيت، قد يتحول بعد عد إلى مؤسسة أو مدرسة. عليكم أن لا تقيّدوا ذلك العقار. اجعلوا العين وقفاً بحيث ان كل ما يمكن استحصاله منه يكون حلالاً وطيباً وطاهراً. فقد يكون اليوم داراً، ويتحول غداً إلى محل تجاري، وبعد غد يُبنى فيه برج. وانتم إذا وصفتم الوقف - في المؤتمرات - على هذا النحو وانه صدقة جارية وليس جامدة، فان الناس يرغبون أكثر في المبادرة إليه.

عسى ان تكون مساعيكم وجهودكم لحفظ آل بيت العصمة والطهارة، مقبولة عند الله. واسأل الله أن تشمل أدعية هذه العترة، نظامنا، وقائدنا، ومراجعنا، وشعبنا، وبلدنا حتى ظهور صاحب الأمر. واسأله تبارك وتعالى أن يحشر إمامنا وشهدائنا مع نبيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تمهيد

بعد الاستعانة بالله والصلاة والسلام على نبي الرحمة والهداية محمد المصطفى وآل بيته الطيبين الطاهرين الذي بقوا على مرّ التاريخ حاملين لراية الدفاع عن الرسالة النبوية، وتبيين الشريعة المحمدية، نفتح كتاباً يضم بين دفتيه مجموعة مقالات حول أحد الكواكب الوضّاءة من أهل بيت الرسالة، وهو الناصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن زين العابدين. ورأينا من المناسب تسليط الضوء على هذا الموضوع بمقدّمة نضعها بين ايدي القراء الكرام، وهذه المقدّمة تصبّ في ثلاثة محاور.

نقدّم في المحور الأوّل لمحة نتحدّث فيها عن تاريخ تعرّف أهالي البلاد الشرقية من الخلافة على العلويين والفكر الشيعي. وفي اعقاب ذلك المحور الثاني شرحاً اجمالياً عن سيرة وشخصية الناصر للحق. ونتناول في المحور الثالث اهداف وضرورة عقد مؤتمر حول هذه الشخصية، مع تقديم نبذة عن المقالات المقدّمة إلى هذا المؤتمر وكُتّابها.

نأمل أن تنال هذه المقالات إعجاب أصحاب العلم وأن يتغاضوا عما يعتورها من نواقص واشكالات.

تاريخ تعرف أهالي البلاد الشرقية على العلويين والفكر الشيعي

١ - منذ البداية إلى عهد الحكم العلوي في طبرستان

كان لبلاد خراسان والبلاد الشرقية الاخرى من الخلافة ترابط عريق مع التشيع وأهل بيت النبي. فبعد المدّة القصيرة لخلافة الإمام علي (٣٦ - ٤١ هـ) كانت الثورة الملاحمية لأبي عبد الله الحسين (٦٠ - ٦١ هـ) واستشهاده على ذلك النحو الفجيع والمظلوم، من أكثر العوامل التي أدّت إلى تعرف أهالي تلك

البلاد الذين دخلوا حديثاً في الإسلام، على أهل بيت النبي . مسلمو تلك البلاد الذين ضاقوا ذرعاً من سياسة التمييز العرقي التي كان يمارسها الامويون، صاروا يرحّبون بكل ثورة مضادة للحكم الاموي . ومن الأمثلة على نشاطاتهم السياسية في هذا المجال، مشاركة عناصر بارزة من أهاليها في الثورات التي اندلعت في النصف الثاني من القرن الأول ومنها ثورة المختار، والكيسانية، وثورات الخوارج.

وقد أدّى انتشار وتنامي آفاق المديّات العلمية لأهل البيت في عهد الإمام محمد الباقر (٩٤ - ١١٤ هـ)، والإمام جعفر الصادق (١١٤ - ١٤٨ هـ) . إلى استقطاب المزيد من أهالي تلك المناطق إلى التشيع، وإلى تعرّفهم بشكل أوسع على التعاليم الشيعية.

لقد كان النهوض السياسي الجديد للتيار الشيعي الذي تمثّل في ثورة زيد بن علي بن الحسين في عام ١٢١ هـ، منعطفاً آخر في النضال ضد الحكم الاموي . فمن بعد استشهاد زيد في الكوفة، سار ابنه يحيى نحو خراسان، واتخذ من تلك البلاد مركزاً لنشاطه ضد الامويين . لقد كان لثورة زيد بن علي عليه السلام وما تلاها من ثورة يحيى في عام ١٢٥ هـ تأثيرها الفائق في أهالي تلك البلاد بحيث أن أهالي خراسان كما ينقل بقوا على مدى سنة يسمّون مواليدهم الجديدة باسم يحيى، وظلّوا يلبسون السواد لمدة سنة حزناً عليه . يعود نسب يحيى بن زيد من جهة إبيه إلى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وفضلاً عن ذلك فهو من جهة الام حفيد أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية.

ومن بعد استشهاد يحيى بن زيد، وبالتزامن مع اضطرام المشاعر المعادية للامويين في خراسان، اندلعت ثورة أبي مسلم الخراساني في عام ١٣٢ هـ . التي كانت فيها مرحلة النهاية للحكم الاموي الجائر . وبعد مجيء العباسيين إلى السلطة، سرعان ما اتّبعت السياسات الظالمة للامويين ولكن على نحو آخر . وذلك ما دفع قطاعات واسعة من أهالي ايران التواقين إلى العدالة، إلى الانضمام إلى

سلسلة الثورات المناهضة للحكم العباسي. ويمكن الإشارة إلى واحدة من تلك الثورات وهي ثورة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين عليه السلام التي انطلقت في السنوات الأولى لخلافة هارون ١٧٠ - ١٩٢ هـ، في خراسان وبلاد الديلم، وقد لُقّب هذا الثائر بصاحب الديلم لأنه كان يتخذ من جبال البرز الوسطى مقراً له. ولكن الموقف المتشدد للخلافة العباسية وما حصل من إعطاء الأمان له، وقبوله لذلك الأمان، اضطر يحيى إلى المهانة وهو ما أدى في ختام المطاف إلى اخماد ثورته. وفي عهد خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) نظراً إلى السياسة السلمية التي انتهجها، ودعوته للإمام علي بن موسى للمجيء إلى خراسان، وما تبع ذلك من موجة هجرة العلويين إلى البقاع الشرقية، حدث منعطف آخر لتعرّف أهالي تلك البلاد على أهل بيت النبي بشكل أفضل. وعلى اثر استشهاد الفجيع في عام ٢٠٣ هـ وتفرّق العلويين في مختلف الاصقاع، غدت تلك الوقائع سبباً في المزيد من ميل الناس اليهم. بعد موت المأمون مباشرة قاد علوي آخر اسمه محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام ثورة عارمة في بلاد خراسان، كان مركزها الطالقان؛ ولذلك اشتهر بصاحب الطالقان. كانت موجة التعاطف معه قد تجاوزت أرض خراسان وامتدت إلى طبرستان. ولكن ثورة محمد بن القاسم اخمدها الطاهريون، بيد أن تأثير ثورته لم يتوقف بوفاة وانما بقي إلى ما بعد ذلك بسنوات وعقود مديدة.

ولم يمض وقت طويل حتى قاد رجل آخر من أحفاد الإمام السجّاد عليه السلام من ذرية زيد الشهيد وكان اسمه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ثورة كبرى في العراق في زمان خلافة المستعين بالله العباسي (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ). وكان لثورته التي قمعها الطاهريون أيضاً، اصداء واسعة في شمالي إيران. فقد ورد في الأخبار أن أهالي تلك البلاد كانوا يذكرونه بكل احترام وتبجيل، وفي أعقاب فشل ثورته، اخذوا يفكرون في تنظيم حركة مشابهة لحركته ضد العباسيين وضد القوى التابعة لهم وهم الطاهريون.

٢ - حكومة العلويين في طبرستان

بعد اخماد ثورة يحيى بن عمر، دعا أهالي المناطق الوسطى من بحر الخزر وفي مقدّماتها منطقة «كلار» و «كجور» أحد القادة العلويين وهو الحسن بن زيد الذي كان قد التجأ إلى «الري»، وبايعوه في سعيد آباد (مرزن آباد) في شهر رمضان من عام ٢٥٠ للهجرة؛ وبذلك غرسوا البذرة الاولى لحكم العلويين في طبرستان. اشتهر الحسن بن زيد الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسن بن علي عليه السلام بلقب الداعي الكبير. وبعد أن فتح تشالوس نجح في فتح ولايات مهمة أخرى في طبرستان ومنها أمل وساري واسترآباد وجرجان، حتى قارب تخوم خراسان الكبرى يومذاك. وقد مرّت مدّة حكمه بمنعطفات وتقلّبات كثيرة على مدى عشرين سنة، وبعد انتهاء مدّة حكمه واصل طريقه أخوه محمد بن زيد الحسيني (٢٧٠ - ٢٨٧هـ). وفي ختام المطاف قُتل محمد بن زيد في ساحة المعركة التي وقعت بينه وبين السامانيين على مقربة من مدينة جرجان. وبعد مدّة وجيزة رفع الحكم العلوي في طبرستان رايته مرّة أخرى بقيادة الحسن بن علي المعروف بناصر الحق. وامتد نطاق حكمهم هذه المرّة إلى مناطق أخرى اضافة إلى طبرستان ليشمل جيلان وبلاد الديلم.

٣ - حكومة الناصر للحق في طبرستان وجيلان و الديلم

توجّه الناصر للحق الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام في أيام شبابه الى طبرستان لمناصرة الحسن بن زيد الحسيني (٢٥٠ - ٢٧٠هـ)، ومن بعده وقف الى جانب محمد بن زيد (٢٧٠ - ٢٨٧هـ) حتى اللحظات الأخيرة. ومن بعد مقتل محمد بن زيد، سار الى بلاد جيلان والديلم، ومكث هناك يدعو الى الإسلام لمدة أربع عشرة سنة لم يكن أهالي تلك البلاد حتى ذلك الوقت قد دخلوا في الإسلام بأجمعهم، ولكن بسبب ما كان يتّصف به

هذا الرجل من مرتبة علمية وما كان يتّسم به من أخلاق إنسانية وإسلامية سامية، استجاب أهالي تلك البلاد لدعوته واعتنقوا الإسلام وانضموا إليه والتفّوا حوله وناصروه لإقامة حكومة العلويين الشيعية في طبرستان. كان الناصر عالماً عادلاً وقائداً محنكاً، وقد نجح في إعادة الحكم العلوي في طبرستان في عام ٣٠١ بعد توقف دام أربع عشرة سنة، وهكذا أصبح ثالث حاكم علوي يحكم تلك البلاد وامتدت دائرة حكمه لتشمل إضافة إلى طبرستان مناطق أخرى وهي بلاد الديلم والجزاء الشرقية من جيلان. وفي ختام المطاف توفي الناصر في عام ٣٠٤ للهجرة عن أربع وسبعين سنة في عاصمة حكمه وهي مدينة آمل، ودُفِن هناك.

الناصر للحق؛ سيرته و شخصيته

١ - منذ الولاية حتّى اقامة الحكومة

وصفوا الناصر للحق بأنه كان طويل القامة يضرب إلى الادمة به طرش من ضربة أصابت أذنه في حادثة وقعت له، والأطروش بمعنى من كان سمعه ثقیلاً. ولد في العقد الثالث من القرن الثالث ويُحتمل على الأغلب ان ولادته كانت في عام ٢٣٠ للهجرة، في المدينة المنورة، ونشأ في اسرة كانت معروفة بالعلم والاجتهاد. كان أبوه علي بن الحسن من العلماء ورواة الحديث وشاعراً، وقد اشتهر باسم العسكري بسبب استقدامه إلى العراق واقامته في المعسكر. وكانت أمّه من أهالي خراسان واسمها حبيبة.

يُحتمل أن يكون والد الناصر قد استقَدِم إلى العراق وبالتحديد إلى سامراء في زمان خلافة المتوكّل العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) مثلما هو الحال بالنسبة إلى العلويين الآخرين. وإذا كان الحسن بن علي قد وفد برفقته إلى العراق، فلا بد أن يكون ذلك قد وقع في أيام شبابه. من المعروف عنه انه قد نقل الحديث عن

مشايخ الكوفة. ومما يُنقل عنه أيضاً قوله انه كان في سامراء في عام ٢٦٠ للهجرة في أيام استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام. ومعنى ذلك أنه أمضى -الشرط الاعظم من شبابه أي ما يقارب خمس عشرة سنة في العراق. ويُحتمل أن يكون قد أمضاها في الكوفة وبغداد وسامراء. ومن بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري في عام ٢٦٠هـ، حيث كان قد مرّ عقد من الزمن على اقامة حكومة العلويين في طبرستان، توجه الناصر إلى شمالي ايران. لقد كان الناصر واحداً من الشخصيات البارزة والمؤثرة في حكومة الداعي الكبير الحسن بن زيد وأخيه محمد بن زيد. فقد نُقل انه كان يشغل منصب قاضي القضاة لمدة من الزمن في عهد حكم محمد بن زيد. كما نُقل عن محمد بن زيد انه قال في وصفه بأن الناصر للحق أهل لاهراز منصب الخلافة والقيادة بقوله: أنه تنسم رائحة الخلافة من جبينه.

٢ - مجاهد لا يعرف الكلل و داع لا يعرف الملل

كان الناصر للحق شخصية مجاهدة ودؤوبة ومكافحة، ولم يأل جهداً على طريق اقامة دين الله وبسط حكومة العدل، وبقي على الدوام منهمكاً في الدعوة إلى دين الله. وقد شرح في رسالة الأهداف التي يسعى إليها على النحو التالي: «إن دعوتي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولإحياء ما مات من كتاب الله وما دُفن من سنة رسوله».

نُقل انه توجه في عهد حكومة محمد بن زيد إلى نيسابور للدعوة إلى دين الله ومقاتلة اعدائه، وقد نجح هناك في استمالة الكثير من قوات العدو إلى جانبه. ولكنه في ختام الامر اعتُقل وضُرب بالسياط ألف سوط فوق سوط منها على اذنه فاصيب بقلّة السمع أو الطرش ولهذا لُقّب بالأطروش. وقد صمد الناصر على شدة التعذيب وثبت على الانكار ولم يفش أسماء أصحابه. وكان اثناء مدة

التعذيب قد حُبس في بيت الشراب امعاناً في ايدائه لأنهم كانوا يعلمون شدة كرهه له. وكان الناصر بعد ذلك يقول مازحاً: لقد قويت برائحة تلك الخمرور! وقد قيل له: لو اكرهت على شربها، ما الذي كنت تصنع؟

فقال: كنت انتفع بذلك ويكون الوزرُ على المكْرِه!

من المعروف عنه انه كان يعلّق القرآن والسيف في رقبته ويتوجّه إلى الدعوة والجهاد. ومن بعد مقتل محمد بن زيد في عام ٢٨٧هـ سار إلى بلاد الديلم وجيلان، وكان أهاليها وحكامها قد بقوا إلى ذلك الوقت على معتقداتهم القديمة وامتنعوا عن الدخول في الإسلام ووقفوا ضده، ولكن الناصر للحق استمالهم بحسن اخلاقه وبالموعظة الحسنة وبسلوكه الإسلامي الإنساني؛ فأحبّوه واضحوا يتهافتون على التضحية بأنفسهم بين يديه. وهكذا تمكّن الناصر للحق على مدى اربع عشرة سنة من اقامته في تلك البلاد أن يربّي من أهاليها جيلاً يؤمن بالإسلام وبالتشيع وان يجعل منهم مقاتلين شجعان واصبح لهم دور مؤثر في تاريخ المنطقة والعالم على مدى قرون. ومن أبرز الأمثلة على ذلك آل بويه وآل زيار الذين اصبحوا من السلالات المؤثرة في القرن الرابع.

٣ - عالم بارز، ومؤلف دؤوب وشاعر بارع

كان الناصر للحق متخصصاً في العلوم والمعارف الإسلامية؛ حيث كان قد جنى الكثير من العلوم عن طريق ائمة الشيعة وعن آبائه وعن كبار علماء الشيعة. ومما يُنقل بشأنه انه كان يتقن جميع العلوم المتعلقة بالقرآن والسنة والمعارف الإسلامية، وفضلاً عن ذلك فقد كان على احاطة تامة بكتب الاديان السماوية الاخرى ومنها التوراة والانجيل. وكان الفقهاء والعلماء يحضرون كلهم في مجالس دروسه وما كان يرويه من الاحاديث. ونقلت كتب الشيعة وخاصة مصادر الزيدية الكثير من أقواله ويصرّح علماء الزيدية وأئمّتهم بمدى عظمة

منزلته وانه لم يكن له نظير في أهل زمانه. وقد جمع أحد تلاميذه واسمه ابو عبد الله الوليدي أقواله في كتاب وضعه تحت عنوان: «ألفاظ الناصر». وتناول حفيده السيد المرتضى دراسة فتاويه الفقهية في كتابه «مسائل الناصريات». وجرى تأليف كتب متعددة حول آرائه الفقهية، وبقيت متداولة على مدى قرون بين الشيعة في شمالي ايران باعتبارها النصوص الفقهية الأصلية. وكان اتباع مدرسته الفقهية والكلامية يُسمّون بالناصرية، وكانت تلك المدرسة رائجة في شمالي ايران إلى زمان قيام الدولة الصفوية في القرن العاشر.

كانت الناصر للحق تأليفات كثيرة في مختلف فروع العلوم الإسلامية، حتى أن بعض المصادر سجّلت له أسماء مائة وخمسين كتاباً ورسالة. وهذه المؤلفات تتناول الحقول المختلفة للعلوم الإسلامية مثل الكلام، والعقائد، والفقه، والتفسير، والحديث، والتاريخ، والانساب، والملل والنحل، وما إلى ذلك من الامور الاخرى.

نُقلت في كتب التاريخ اشعار كثيرة لناصر الحق، وقيل ان له ديوان شعر في كتاب على حدة فيه ألف بيت شعر في تفسير القرآن. ولم يبق من هذه المؤلفات إلا الشيء القليل، ولكن الكثير مما جاء فيها نُقل في المصادر اللاحقة وخاصة ما كتبه الزيديون في شمالي ايران في القرون التالية. صدر حتى الآن كتابان مستقلان من مجموع الكتب التي تُنسب إلى الناصر وهما «البساط» و«الاحتساب».

٤ - فارس شجاع وحاكم عادل

كان الناصر للحق متميّزاً وقلماً تجدد له نظيراً في الفروسية والشجاعة. وكان يشارك بنفسه في محاربة الاعداء ويؤدي شجاعة منقطعة النظير. ومما يروى في ذلك انه قُتل في معركة واحدة من معاركه عشرون ألفاً من اعدائه.

كان هذا الرجل يتّصف بالصلابة والشجاعة في الحروب، وفي الوقت ذاته كان يتّصف بالرفّة والعدالة في مجال الحكم. وبعد ان تسلّم مقاليد الحكم اعلن إلغاء الضرائب التي كان يفرضها الحكّام المحليون على الناس.

٥ - حكيم واعظ و رياضي بارز

نُقلت عن الناصر للحق حكم مؤثرة وجُمّل في المواعظ؛ فقد قال في مقال: «ايها الناس، إننا في هذه الدنيا مسافرون، والدار التي بُنيت لنا أماننا وكأننا مقبلون عليها ونوشك أن نبلغها. فعلينا أن نهيب لها الزاد بالعمل الصالح؛ فطريق الجنة مسلكه وعر ولا يمكن بلوغها الا بالمشقّة. انني لا اخدع نفسي- ولا أمنيها بالأمال ولا اطمع في الجنة من غير عمل صالح ولا أشك في أن من كان منا من أهل الظلم والسيئات، يضاعف له العذاب وذلك لأننا أبناء من كان علم هداية للآخرين وأوصلهم إلى أبواب الخير وشيّد أركان هذا الدين وبيّن الشرائع والسنن. إذا فنحن اولى بإتباعه.

ولم يكتف الناصر للحق بتربية روحه وقواه المعنوية فحسب، بل كان يهتم أيضاً ببناء قواه الجسمية وي مارس انواع الرياضة التي تجعل الجسم اكثر قوّة. ومما يُنقل عنه انه بينما كان في ما يقارب السبعين سنة من عمره، كان يركب الى طرف البلد ويضرب بالصولجان للرياضة. وكان له مجلس للنظر، ومجلس للاملاء والحديث. فاذا ركب اجتمع فقهاء البلد وأهل العلم كلّهم وحضروا في المصلّى وجلسوا فيه، فاذا فرغ من ذلك عدل اليهم وجلس وأمل الحديث.

٦ - وفاته

توفي الناصر الكبير ليلة الجمعة في ٢٥ شعبان من عام ٣٠٤ للهجرة في مدينة آمل وهو في حالة سجود، عن عمرٍ جاوز الاربع وسبعين سنة كانت زاخرة

بالبركة والعطاء. ودُفن في مدينة آمل وبُني له مزار هناك، وبقي هذا المزار موضع احترام على طول التاريخ. أخبر محمد بن الحسن بن اسفنديار الكاتب في كتاب تاريخ طبرستان الذي ألفه في عام ٦١٣ للهجرة، عن وجود مزار مبارك للناصر، ومدرسة، ودار للكتب، وأوقاف معمورة هناك، وأضاف أن هناك أناساً كثيرين يقيمون الى جوار ضريحه. وبعد مائتي سنة من ذلك التاريخ، أي في أوائل القرن التاسع ذكر ظهير الدين المرعشي وجود مزار عامر ومدرسة للناصر في آمل.

اهداف وضرورة عقد هذا المؤتمر ونبذة عن المقالات وكتّابها

لاشك في أن تخليد شخصيات من طراز شخصية الناصر الكبير يدخل في صميم واجباتنا لتنوير هذا الجيل والأجيال القادمة وتعريفهم بأعلام هذا البلد ومفاخره؛ فعن طريق مثل هذه الندوات ومجالس تخليد الشخصيات، يمكن تقديم الكثير من الدروس الحافلة بالعبر حول سيرة امثال هذه الشخصيات ونهجها واسلوب حياتها الخاصة واسلوبها في الحكم. ومن المؤكد أن حياة وسيرة الناصر الكبير بصفته ناشر راية الإسلام في جيلان والديلم وما كان منه من حكم عادل في المناطق الشمالية من ايران، جدير بأن تُجرى بشأنه دراسات أكثر ولكن ما تحقق الآن، بعد مضي الف ومائة وثلاثين سنة على وفاته، يمكن أن يكون بمثابة الخطوة الاولى على الناصر للحق كانت موضع اهتمام واحترام الشيعة الزيدية الذين يعيش جماعة منهم حالياً في اليمن، فان مثل هذا المؤتمر التخليدي يمكن ان يكون ذا تأثير في تحقيق المزيد طريق تحقيق هذا الهدف.

نظراً إلى أن شخصية من التقارب بين أتباع مدرسة التشيع. إنَّ الناصر للحق يمثل نموذجاً عينياً وعملياً لتقارب التوجّهات والاسس الفكرية لكل من الإمامية والاختلاف بين مختلف التيارات الشيعية، وفي هذا السياق عبّئوا

طاقاتهم من أجل بث الخصومة والتنازع بين الزيدية والإمامية. ومن الأمور التي يمكن أن تكون ذات تأثير في هذا المجال التعريف بالشخصيات التي تحظى بقبول واحترام كلا المذهبين والتي يعتبرها كل مذهب من شخصياته ورجالاته. والسؤال الذي يوجه إلى مثيري الفرقة هو أنه : إن كانت الاختلافات بين الشيعة والزيدية بالنحو وبالحد الذي يشيعونه ويزعمون وجوده، فكيف يعتبر كل واحد من هذين المذهبين، الناصر الكبير بما له من موقف علمي وجهادي واضح، ممن ينتمي إليه؟ فهل كان الإمامية يعارضون الجهاد والنضال؟ وهل كان الزيدية غرباء عن التراث الفكري للإمامية وعن أئمة الشيعة الاثني عشرية؟ إنَّ الناصر الكبير مثال يبطل هذه الاتهامات ويفند مزاعم التفرقة، ويدل على الترابط بين فكري الإمامية والزيدية.

يمكن أن نلخص في ما يلي الاهداف التي نرمي إليها من وراء عقد هذا المؤتمر، ونشر هذه المجموعة من المقالات، في ما يلي:

- ١ - التعرف على شخصية مؤثرة في تاريخ ايران ودور هذه الشخصية في بناء مجد هذا البلد.
- ٢ - التعريف بشخصية ذات تأثير في مجال السياسة والحكم وما قدّمته هذه الشخصية من تجربة في عالم السياسة.
- ٣ - التعريف بعالم كبير من علماء العالم الإسلامي والمذهب الشيعي، وما قدّمه من عطاء علمي.
- ٤ - ايجاد وشائج وعلاقات بين جيل الشباب المعاصر وبين الماضي الثقافي الايراني الإسلامي والشيعي، بهدف التصدي للهجوم الثقافي الغربي من جهة، وللنزعات القومية المتطرفة من جهة اخرى.
- ٥ - ايجاد أعلى ما يمكن من درجات التقارب بين المذاهب الإسلامية وخاصة مذهبي الإمامية والزيدية.

نبذة عن المقالات المقدّمة إلى هذا المؤتمر

في هذه المجموعة من المقالات التي كتبها أصحابها خلال مدّة وجيزة وبجهود استثنائية، انصبّ الاهتمام على التركيز على شخصية الناصر للحق واسرته اعتماداً على المؤلّف أو المؤلفات التي كتبها في ما مضى أناس متخصصون في هذا المجال. وتمخّضت لدينا في ختام المطاف تسع مقالات توفّرت فيها شروط النشر، ووقع عليها الاختيار، وها نحن نقدّم هاهنا نبذة عن كل واحدة منها:

المقالة الاولى للاستاذ السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، حول الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام. الاستاذ الحسيني الجلاي كان له قبل هذا عطاء علمي وافر قدّمه من خلال عشرات الكتب والمقالات التي كتبها في مختلف حقول المعارف الإسلامية ومنها التاريخ والحديث، كما انه من جانب آخر يحظى باحترام وتقدير علماء المذهب الزيدي وأعلامه.

وقع الاختيار على هذه المقالة بسبب تركيزها على الدور المحوري للإمام السجاد في تاريخ الإسلام والتشيّع، والسبب الآخر يُعزى إلى أن الإمام السجاد هو الجد الأعلى لناصر الحق، وعن طريقه يتّصل نسب الناصر إلى النبي عليه السلام. هذه المقالة التي تُنشر لأول مرّة تحت عنوان «الإمام السجاد حامل راية الفقه الإسلامي على اساس مدرسة أهل البيت» تسلّط الضوء على الدور الفريد للإمام السجاد في مرحلة ما بعد ثورة سيّد الشهداء، والدور الانتقالي للأئمّة من ذريّته إلى مرحلة النهضة العلمية والثقافية.

المقالة الثانية كانت بقلم السيد علي موسوي نجاد وجاءت تحت عنوان: «أضواء على نسب الناصر الكبير» وهي تتحدث بالتفصيل حول نسب الناصر للحق ابتداء من السجاد وانتهاء بوالد الناصر للحق واسرته. كاتب هذه المقالة

كانت له في ما سبق مقالات وكتب منشورة حول تاريخ ومعتقدات الزيدية وتراثهم.

المقالات الثلاثة اللاحقة تتحدث حول مختلف جوانب حياة وشخصية الناصر للحق الدكتور مصطفى مجد الذي كانت له قبل هذه المقالة مؤلفات نشرت حول تاريخ التشيع، ووجود العلويين في شمالي ايران، تناول في مقالته هذه التي جاءت تحت عنوان: «الاتجاهات العقائدية والسياسية لناصر الحق» تسليط الضوء على مصادر بحثه هذا، وشرح الأعمال والنشاطات التي قام بها الناصر في شمالي ايران، منذ عهد حكومة الحسن بن زيد إلى عهد حكومته.

واما الدكتور ابراهيم فلاح فقد كتب في مقالته: «أضواء على حياة الناصر الكبير» بالتفصيل حول الاتجاهات الثقافية والاخلاقية للناصر الكبير بصفته داعية إلى الإسلام وحاكماً مسلماً. والموضوع الذي تناولته من زاوية اخرى مقالة اخرى هو: «الخدمات والاتجاهات الثقافية والاجتماعية لناصر الأطروش» وهذه المقالة كانت بقلم سيد علي ميراحمدي.

المقالة السادسة تناولت استمرار تراث الناصر للحق في شمالي ايران وامتداد تأثيراته في هذه المنطقة:

الدكتور محمد كاظم رحمتي كانت قد صدرت له في ما مضى أعمال عديدة في ما يخص تاريخ الإسلام والتشيع. وفي هذه المرة كتب مقالة تحت عنوان: «أهمية المخطوطات في دراسة التاريخ الثقافي للعلويين في شمالي ايران» اشار فيه إلى المعلومات المتوفرة حول انتشار المذهب الزيدي في شمالي ايران، وسلط الضوء اكثر من أي شيء آخر على بعض المخطوطات التي خلفها الزيديون في شمالي ايران، وخاصة تلك المخطوطات التي تتحدث حول وجودهم هناك في القرن السابع إلى القرن العاشر، واستناداً إلى ذلك حاول تزويدنا بالمعلومات المفيدة حول تلك الحقبة التي لا نعرف عنها سوى النزر اليسير.

المقالة السابعة ضمن هذه المجموعة من المقالات كانت بقلم حجة الإسلام الدكتور حميد رضا شريعتمداري وهي تحت عنوان: «بحث في الأسس النظرية للسيد المرتضى في الناصريات» وهي تتناول نوعاً ما تراث الناصر للحق. والمحور الأساسي الذي تدور حوله هذه المقالة هو كتاب فريد من نوعه يحمل عنوان «مسائل الناصريات» وهو من تأليف العالم الإمامي الكبير في القرن الخامس السيد المرتضى. لقد كان السيد المرتضى «علم الهدى و أخوه السيد الرضي جامع كتاب نهج البلاغة، من احفاد الناصر للحق. فالسيد المرتضى يعبر في الكتاب المذكور عن اجلاله التام لجده، ويبحث بعض آرائه الفقهية لناصر للحق ويقارنها مع آراء مذهب الإمامية وغيره من المذاهب الإسلامية الاخرى.

واخيراً جاءت المقالة الثامنة، وهي على غرار المقالة الاولى من تأليف الاستاذ الحسيني الجلاي، وتختص بالنظر في المذهب الزيدي. فمن المعروف ان هناك مشتركات كثيرة بين المذهب الزيدي والمذهب الإمامي، وعلى مدى قرون متهادية، اضافة إلى اليمن، كان له أتباع في شمالي ايران أيضاً إلى زمان العهد الصفوي. وكان الناصر للحق يمارس نشاطه في تلك المنطقة بصفته إمامهم وقائدهم. وما زال اتباع المذهب الزيدي إلى اليوم يعتبرون الناصر كواحد من كبار أئمتهم ويهتمون كثيراً بتراثه. في هذه المقالة يبحث الاستاذ الحسيني الجلاي تحت عنوان: «المذهب الزيدي بين الماضي والحاضر ومقارنته مع مذهب الإمامية الاثني عشرية»، يبحث أهم أوجه الاشتراك والاختلاف بين المذهبين، مع التركيز على أهمية التراث المشترك وضرورة ان تتكون لدى كل واحد من المذهبين معرفة صحيحة بالمذهب الآخر، ويشير إلى ضرورة التعرف على الأساليب الكفيلة باجهاض مساعي الأعداء الرامية إلى إلقاء الفتنة بين المذهبين.

السيد علي موسى نجاد
الأمين العلمي للمؤتمر





الإمام السجاد عليه السلام رائد الفقه الإسلامي □

على مذهب أهل البيت عليهم السلام □

السيد محمد رضا الحسيني الجلاي

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى الأئمة المطهرين حجج
الله وعلى صحابتهم وشيعتهم أولياء الله

التمهيد :

إنّ الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام)
زين العابدين (٣٨ - ٩٥ هـ) كان له دورٌ متميّز بين الأئمة الاثني عشر، حيث
عاش مرحلةً فاصلةً بين أسلوبين من الجهاد الذي اضطلعوا به:
الجهاد الدمويّ الذي قام به بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)
كلُّ من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ الحسن المجتبي السبط الأكبر، ثمّ الحسين
الشهيد بكربلاء (عليهما السلام) في سبيل الخلافة.
وقد كانت فظاعة شهادة الحسين عليه السلام وشناعة عمل القتل بحيث أوجب على
الأئمة من بعده تبديل أسلوب الجهاد وأدواته بل ووجهته، من الجهاد المعلن في

سبيل الخلافة وتولّى الحكم والسلطة، إلى الجهاد المعلن في سبيل الشريعة والدستور والأحكام.

مع الحفاظ في كلّ من الدورين على الهدف غير المعلن، لكون كلّ منهما مكملًا للآخر في تحقيق أصل (الإمامة) التي هي استمرارًا لأهداف (النبوة) الإلهية .

وهذا البحث يتكفّل بيان أسباب هذا التبدّل وأهدافه وأساليب عمل الإمام السجّاد عليه السلام في سبيل تحقيقه وتنفيذه.

شموليّة الإسلام لأُمور الدين والدنيا :

إنّ الإسلام الذي اختاره الله عزّ وجلّ ديناً خاتماً لرسالات السماء، وجعله للبشريّة ديناً قيماً لا عوج فيه، جمع في تعاليمه كلّ مزيّة تؤثّر في كمال البشر- وسعادته في الحياة الدنيا، وتؤدّي إلى نجاته وفوزه في الحياة الآخرة، ولذا احتوى ما يخصّ العقائد والالتزامات الفكرية والعلمية، كما احتوى الأحكام والوظائف العملية، سواء في ذلك ما يرتبط بدنيا الإنسان، وما يرتبط بدينه.

وقد تبلور هذا في سيرة المسلمين في عصر- الرسول (صلى الله عليه وآله)، حيث عاشوا معه على عقائد والتزامات، منها الخضوع لحكومته (صلى الله عليه وآله) وولايته عليهم، وكونه أولى منهم بأنفسهم، وكذا عاشوا معه على تطبيق الدستور الإلهي وهي الشريعة والالتزام بأحكامها المنزلة في كتاب الله وما جاء به من سننه وقضاياه (صلى الله عليه وآله).

قيام الإمامة بشؤون الإسلام كافة :

وكذلك كان شأن الإمامة بعد النبوة، فإنّ الذين خلفهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من بعده أئمة للأمة، إنّما جعلهم بمنزلته في كونهم أولى بالمؤمنين من

أنفسهم، وأنهم أمناء على دنيا الناس ودينهم، كما كان الرسول نفسه، فهم يقومون بما قام به من واجبات التعليم والإرشاد والهداية، وعلى الأمة لهم ما كان عليهم له من الانقياد والطاعة، ومن هنا اتفقت كلمة العلماء على أن الإمامة - بعد النبوة - هي: « رئاسة عامة على أمور دين الأمة ودنياها ». وأن الإمام هو الذي له هذه الرئاسة.

وكذلك عاشت الأمة في عصر الخلافة والخلفاء هذا الواقع، فإن المتربعين على أريكة الخلافة - بأية طريقة أو وجه تسنموها - كانوا يرون أنفسهم أولياء على الناس وحاكميهم على دنياهم، وكانوا يرون أن لهم السلطان وإدارة الدولة وشؤونها، وكذلك كانوا يتدخلون في الشؤون الدينية والأحكام الشرعية، فيقيمون الصلوات ويعينون القضاة، بل يحاسبون الآخرين على مخالفتهم في الفقه والأحكام والالتزامات المحددة.

والأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) الذين نعتقد - نحن الشيعة - بكونهم خلفاء منصوبين من قبل الله وبوصية النبي (صلى الله عليه وآله) بالنص الجلي، جعلهم أئمة لأمتهم، لا بد أن يكونوا كذلك: حكاماً وولاءة على أمور الدولة والقيادة، كما هم أدلة على الأحكام ومحددون لحدودها وقائمون بشؤونها، ولا معنى لإخلاء إمامتهم عن أي جزء أو شرط، أو صفة ثبتت لأصل (الإمامة) سواء ما يرتبط بالدين أو الدنيا.

موقف أهل البيت عليه السلام من هذا الواقع :

وقد كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يؤكدون على هذا الواقع، منذ أول لحظة فارق النبي (صلى الله عليه وآله) هذه الحياة الدنيا، لما ثبت لهم من حق الإمامة الإلهية والوصاية النبوية، بنصوص واضحة وأدلة صريحة لائحة، لم يتصور أحد قيام أحد بمخالفتها، ولذا لما تمت الأمور في سقيفة بني ساعدة على

خلاف ذلك، كان الاستنكار المعلن من أمير المؤمنين عليه السلام وجماعة أهل البيت أول خطوة واضحة صريحة لم تخفَ على أحد، وقامت سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) بإعلان ذلك على رؤوس الأشهاد، بصرخاتها المدوية في أذن التاريخ، بخطبها التي قطعت الطريق على كل محتجّ، وكلّ قائل، وكلّ حديث، حتّى قضت بما نابها من جرّاء ذلك، ومما جرى عليها من الاعتداء: مغضوبة الإرث، مكسورة الضلع، وعلى عضدها من أثر السياط كمثل الدمليج .

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام مُنحازاً عن حقّه، صابراً، وفي العين قذى، وفي الحلق شجى، يرى ثرائه نهباً، فظلّ حريصاً على سلامة ما أوصي به وأوكل إليه، يُراقب عن كثب تصرّفاتهم، حفاظاً على الإسلام أن لا تضيع أصوله وفروعه، وعلى أهدافه أن لا تقلع من الجذور بيد من تسلّلوا - باسم الدين والصحة من المنافقين - إلى المناصب العليا والمقامات الرفيعة المتقدّمة، ولم يترك موقعه، ولم يُفرغ الساحة لهم، بل بدأ بتدبير مهمّ، وقام يبدُر بُدُور الحقّ في المواقع الخصبة حتّى أنبت نباتاً حسناً وهي الثلّة الخيرة من الرجال العارفين الذين وقفوا عند الضرورة مواقف مشرّفة لنصرة الحقّ، وكانوا حملته ورعاته، ونقلته ورواته، وهو عليه السلام على طول المدّة، يصرخُ بالإعلان عن حقّه المغصوب، ويشتكى على من تعدّى على سلطانه وولايته، وأضاعَ على الأُمّة الفرص في التقدّم والازدهار، والتزوّد من علوم الأئمّة الأطهار.

ولما رجعت إليه الأُمّة، وسلّمت إليه الأزمّة، أثبت جدارته، وأصرّ على إعلان إمامته، وقاوم أولئك الذين صنعتهم الفترة المظلمة من الجُناة الناكثين، والعُتاة الباغين، وشتّت فلول البُله المارقين، وحقّق ونفّذ ما أمره رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قتال هؤلاء المجرمين، فجاهدهم على أصل حقّه في الإمامة، كما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) جاهد الكفار على أصل حقّه في النبوة.

وجاء دورُ الحسين السبطين (عليهما السلام) بإثبات حقّهما في الإمامة المنصوص عليها بقول الرسول (صلى الله عليه وآله): «هما إمامان قاما أو قعدا» فأثبت لهما الإمامة، سواءً قاما بها بتطويع الأُمّة وانقيادها، أو قعدا عنها بتخلّف الأُمّة وارتدادها عنهما، ولقد قاما بما وجدا من الناصرين وإنّ قلّوا، إثباتاً لحقّهما وإعلاناً عن إمامتهما، ولمّا لم يجدوا أعواناً قعدا، ولكن لم يُقلّعا عن الإعلان عن حقّهما في الإمامة، وعن ظلم معاوية ويزيد في غضب المقام الموضوع لهما، وقد طالبا به وقاما في سبيله حتّى ذهبا ضحيّة جهادهما، بعدوان الغاصبين وخذلان الخاذلين: فقضى الحسن عليه السلام مسموماً، وقضى الحسين عليه السلام شهيداً مظلوماً.

موقف الإمام السجّاد ومن تلاه من الأئمّة عليهم السلام:

لقد كان لقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بتلك الصورة الفجيعة، وبتلك الجرأة على انتهاك حرّمات الله، والتعدّي على رسول الله، وبذلك التحديّ السافر لأحكام الله ولأعراف الناس، كان ذلك حدّاً فاصلاً بين الإسلام وما فيه من عقيدة وشريعة، وبين ما كان يؤمّله الناس من هذا الدين من عدل وإنصاف ورحمة ورأفة وأعراف.

فإذا كان الحسين عليه السلام وهو ابنُ الإسلام وسبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وألّه وصحابي من أصحاب الرسول، وحاملٌ للإسلام الكامل بعقيدته وشريعته، الذي تلقّاه غضّاً مع اللبن، ومن فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي حجره مباشرة، إذا كان هذا الحسين يُقتل هكذا علناً، وفي وضح النهار، ويُذبح كما تذبّح الشاة، بلا نكير يُسمع، ولا رادع يَمنع، ولا صوت يُرفع! فمَن ذا الذي يُرجى لهذا الدين أن يحميه؟

ومَن ذا الذي يستطيع أن يُرجع المياة المهدورة إلى مجاريها؟ وكيف يمكن لأحد أن ينادي بطلبه أقلّ حقّ مُضاع؟

فكيف بمن ضاعت منه القيادة؟ فهل يمكنه أن يطلبها؟

أو غُصبت منه أن يتقاضاها من غاصبها؟

مع أن الذي حصل بقتل الإمام الحسين الشهيد عليه السلام كشف عن أن الأمة ابتعدت عن ذلك الذي كان للإسلام من شمولية لحكم الدنيا وحكم الدين معاً، ولم يعرفوا عن هذا الواقع شيئاً أصلاً!

والأفم ذلك الصمت والسكوت، والخنوع والخضوع للظلمة الفاسدين؟ وبهذا نعرف كلام الإمام الحسين عليه السلام: « فعلى الإسلام السلام، إذا بُليت الأمة بوال مثل يزيد ».

ونعرف معنى قول الإمام الصادق عليه السلام: « ارتدّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام ... ثم إن الناس لحقوا وكثروا ».

ففي مثل هذا الظرف القاسي، والذي فقد فيه الناصر من الناس، كان جهاد الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام هو السبيل الوحيد لأداء ما كان على عاتقه من واجب الإمامة، وهو الحفاظ على الإسلام بعقيدته وشريعته، أصولاً وفروعاً، إذ كان هو الشخص الوحيد الذي تتجه إليه الأنظار، ويتوقع منه الانتصار، باعتباره وليّ الثار، وأكبر من في الدنيا من بني النبي المختار، مع فضله وعلمه وما عرف له من جميل الآثار، فهو الأولى للقيام بعمل على مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه.

والحق أنه قد أدّى هذا الواجب الثقيل الصعب بأفضل ما يمكن، كما فصلنا صوراً من أدائه في كتابنا « جهاد الإمام السجاد عليه السلام ».

فقد استغلّ الإمام عليه السلام ما وصلت إليه الأحوال بالأمة من الانخزال عن العقيدة ونكوصها عن الالتزامات تجاه الإمامة، وإعراضها عن معرفة هذا الحق للإمام، وكانت السلطات تعرف من الأمة هذا الموقف وهذه الحال، فلذا كانت

لا تأبؤه بتصرّيات الإمام ونداءاته وإعلامه عن إمامة نفسه وعن إمامة أهل البيت عامة .

ولمعرفة الإمام عليه السلام هذه الحال، كان يُعلن عن إمامة نفسه بصراحة، واستحقاقه المقام بالنص واللياقة، وكذلك يُعلن في خطبه وأدعيته وفي المناسبات المختلفة عن أنّ هذا المقام مقام أهل البيت (عليهم السلام) لئلا يتصور أحد أنّه عليه السلام تقاعس عن مطالبة الإمامة، أو تنازل عنها، لأنّ منصب الإمامة ليس لأحد حتّى الإمام نفسه أن ينزعه عن نفسه، أو يتخلّى عنه، لأنّه لباسٌ ألبسه الله عليه وأثبتته له، ولا يكون إعراض الأئمة عنها وعن الإمام موجباً لزوال الحق ولا لنفيه، وإن سكت الإمام وسكن ولم يتخذ إجراءً في سبيل استرجاع الحق لفرض عدم الناصر.

البديل الموازي في الهدف :

ولما بلغ الأمر إلى ما آل إليه من إزواء الإمام عليه السلام من منصبه في السلطة الدنيوية، ومنعه من أداء دوره الإلهي في هذا المجال، فإنّ الإمام السجاد عليه السلام في مجموع ما قام به من جهود جبّارة في النضال ضدّ الحكومات الأموية والروائية المتعاقبة في عصره، ممّا يُعدّ جهاداً في تقويض أسسها وتقويت الفرص على التدابير التي كانوا يتخذونها، قد قام بإحياء الإمامة وأخذ زمام أمرها بالمبادرة إلى شقّها الثاني، وهو أمرٌ منصبه في مجال السلطة الدينية وهي إمامة الشريعة الإسلامية، وإثبات الحق الشرعي للأئمة في قيادة الناس وهدايتهم إلى الحق من شريعة الله ودينه، و تطبيق الدستور بنصّه الصحيح الذي أوحاه الله إلى رسوله، وأورثه الرسول إلى الأئمة من بعده، لينشروه من أصفى ينابيعه وروافده، وهم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لكونهم أدري بما في البيت.

ثم إنَّ السلطات - بعد استتباب الأمر لهم - لم يكن لهم اهتمام كبير بالأُمور الشرعية والدينية، وقد صرَّح بهذا معاوية في بداية سلطته العامة بقوله : « إني ما قاتلتكم لتصلُّوا أو تصوموا، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم » وهكذا كان شأن جميع من جاء بعده من الحكَّام، وإنَّما كانوا يقومون بظواهر من الشرع ليخدعوا بها الناس، ويُظهروا أنَّهم ملتزمون بالإسلام والشرعية، وإن كانوا بها جاهلين، بل لها مخالفين، فلهذا لم يكثرثوا بمن كان يهتَم بأمر الأحكام الشرعية ما لم يتعرَّض للسلطان، ولم يزاحم العرش، ولا ما يقوم به من مخالفات في داخل البلاط من الشهوات والنزوات.

فكان من الإمام السَّجَّاد عليه السلام أن بدأ العمل على هذا الجانب، ليحقِّق هذا الشطر من الإمامة، بعد أن لم يستطع تنفيذ ذلك الشطر، ولم تتعرَّض له السلطات لأنَّها لم ترَّ في هذا ما يهدِّد مُلكها وسُلطانها، واطمئنَّانها بعدم تمكُّن تأثير ذلك عليها، لوجوه :

أولاً : لأنَّ أحداً لم يجرؤ على المعارضة والتعرُّض للسلطة، للخوف المستولي على الأمة، ومنَّ حاول مثل ذلك فإنَّ مصيره هو مصير القائمين بحركة الحرَّة، والتَّوَّابين، وابن الأشعث، وزيد الشهيد عليه السلام حيث أُبِيدوا، لأنَّهم لم يجدوا الأنصار.

ثانياً : لأنَّ السلطات كانت تجد من يُبرِّر لهم مخالفاتهم للشرعية، ويُصحِّحها لهم بوضع الفتاوى الباطلة، وصنع الأحاديث الموضوعة، من قبل وعَّاظ السلاطين، بل من السهل صنع الفقهاء وتكبير رؤوسهم والنفخ في جلودهم، وإعطائهم سمات بارزة من القضاء والفتوى، بل الإمامة الفقهية، مثل ما صنعه مع الزُّهري.

تدابير الأئمة عليهم السلام لتحقيق هذا الهدف :

إنَّ الأئمة (عليهم السلام) من بعد الحسين الشهيد عليه السلام وبدءاً بالإمام زين العابدين السَّجَّاد عليه السلام قاموا بتدابير دقيقة للوصول إلى هذا الهدف وتحقيقه، عبر المراحل التالية:

- ١ - توجيه الأمة إلى أهميّة الشريعة، وتحديد موجبات الاهتمام بها .
- ٢ - إثبات انحصار العلم بالفقه الصحيح عند أهل البيت (عليهم السلام) واستمراره عندهم.
- ٣ - التصديّ لفقهاء السلطة وما يدور في فلکهم.
- ٤ - تحصيل الاعترافات من كبار فقهاء العصر بأعلميّتهم وأفقيّتهم.
- ٥ - تكوين مدرسة لتربية الأجيال من الفقهاء الكبار.
- ٦ - خلق الأعمال الفقهية الخالدة.

والنتيجة التي حصلت من تلك التدابير والجهود هي: ظهور المذهب الفقهي المستقلّ عن السلطات، والبعيد عن أغراضهم السياسية ومصالحهم الشخصية، اعتماداً على النصّ الصحيح والتعبّد به، مضافاً إلى الأصول القويمة المتلقاة من الأئمة (عليهم السلام) أنفسهم، والتي تُوافق الكتاب الكريم، والسنة الموثوقة، والعقل العادل، والمنطق العرفي السليم، وهي مناهل ثرّة لارتواء أهل العلم بالمعرفة الشاملة، ومنابع فيّاضة لإرواء المناطق التي لم ينصّ عليها بالخصوص، لاندراجها تحت المناهل العامة التي وضعت لتكون قواعد تحلّ مسائل المكلفين في صور الشكّ، أو الجهل، وفقدان النصوص الخاصة، أو إجمالها، أو تعارضها والارتباك فيها.

ولذا لم يوجد في الفقه الشيعيّ ما يُسمّى بمناطق الفراغ، ولا حاجة إلى اللجوء إلى القياس الظنيّ، ولا المصالح المرسلّة التي تعتمد على اجتهد الرأي، أو استصلاح البشر، المرفوض عندهم، لأنّ فرض هذه الأمور يعني العجز في

الدستور الإسلامي، أو القصور في شموليته وقابليته، بما يشكك في ربانيته وخاتمته، والعياذ بالله.

ولنفصل في تبين الجهود في هذه المراحل :

أولاً: أهمية الشريعة و موجبات الاهتمام بها: وكما أسلفنا: فإن الشريعة تعتبر نصف الدين، إذ هو عقيدة ودستور، ويكفي هذا لوجوب الاهتمام به على المسلم المعتقد، مع أن الشريعة تدخل في صميم حياة المسلم الشخصية، والأسرية، والاجتماعية، فتحدد له المسار فيما يجب عليه وما يحرم، وما يلزم له أن يفعل أو يترك، فإذا يجب عليه العلم بأحكامها في جميع ما حوله، وما له أو عليه، ومن هنا فإن من الواضح ضرورة الاهتمام بها بعد الاعتقاد بالإسلام، وأنه دين الله، والالتزام بما أنزله الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) وهي الثمرة العينية التي يجتنيها المسلم المكلف من انتمائه الديني، وبها تثمر مزرعته في الدنيا ليحني ثمارها اليانعة في دار بقاءه وخلوده في الآخرة.

ولما انفلت من المسلمون الشطر الأول من الدين، وهو الالتزام بالإمامة في مجال الحكم والسلطة، وخرجت من إمكاناتهم تنفيذه، فقد أصبحت العناية بالشطر الثاني من الدين وهو الأحكام العملية، وهي الشريعة من أهم الواجبات على المكلف، وهذه هي الوجهة السياسية التي اتخذها الأئمة (عليهم السلام) في ذلك الظرف.

ثانياً: انحصار العلم بالفقه الصحيح عند أهل البيت : واستمراره عندهم :
لقد استفاضت النصوص المعلنة عن أن العلم الصحيح هو الموجود عند أهل البيت (عليهم السلام):

منها قولهم : « إن علياً عالم هذه الأمة، والعلم يتوارث، ولم يهلك أحد منا إلا ترك من أهله من يعلم مثل علمه ».

وكان علي عليه السلام نفسه يُنادي : « سلوني قبل أن تفقدوني ... » .
 وكان الحسن المجتبي عليه السلام يجلس في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويجتمع الناس حوله « فيتكلم مما يشفي غليل السائلين ويقطع حجج القائلين » .
 وكان للحسين الشهيد عليه السلام في مسجد جدّه الرسول (صلى الله عليه وآله) مجلس انتبه إليه الأعداء، حتّى قال معاوية : « ليس فيه من الهزلي شيء » .
 وابن عمر مجّد الحسنين (عليهما السلام) فقال : « ابنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) أنّهما كانا يغترّان بالعلم غرّاً » أي يزقّانه كما يزقّ الطائر فرخه .
 وأقرّ ابن الأزرقي الخارجي بأنّ أهل البيت (عليهم السلام) « منار الإسلام ونجوم الأحكام » .

وقد وصل أهل البيت (عليهم السلام) علمهم بعلم جدّهم الرسول (صلى الله عليه وآله) المتّصل بوحي السماء بطريق جبرئيل عن الله، فكان كلّ واحد منهم يقول : « حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث رسول الله » .

وقال الشاعر الشيعي :

ووال أناساً قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن البارئ
 وقد كان الإمام السجّاد عليه السلام الأكثر تأكيداً على هذا الجانب إعلاناً وتطبيقاً، لأنّه الأسبق تأسيساً وتشبيهاً، بعد المرحلة الأولى، كما ترى .

ثالثاً : التصدّي لفقهاء السلطة ومن يدور في فلکهم :

لقد تصدّى الأئمّة (عليهم السلام) بشدّة لأعوان الظلمة من الفقهاء وأهل العلم المتلبّسين به، والمتنسّين إليه، واعتبروهم شركاء معهم في ظلمهم وعدوانهم وتجاوزاتهم للحدود،

فهذا الإمام السجّاد عليه السلام يقول للزّهري وهو من الرؤوس الكبيرة وذوي الجلود المنفوخة، في بلاط الأمويين والمروانيين، قال في رسالته القارعة إليه :

« واعلم أنّ أدنى ما كتمت وأخفّ ما احتملت : أن أنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيِّ، بدُّنوك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دعيت، فما أخوفني أن تبوءَ بإثمك غداً مع الخونة، وأن تسألَ عما أخذتَ بإعانتك على ظلم الظلمة ... أو ليس جعلوك قطباً أداروا بك رَحى مظالمهم؟ وجسراً يعبرون بك إلى بلاياهم؟ وسُلماً إلى ضلالتهم؟ داعياً إلى غيِّهم، سالكاً سييلهم، يُدخلون بك الشكَّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أقصى وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلّا دونَ ما بلغت من إصلاح فسادهم ! ».

ويقول في نهاية رسالته إليه : « فنحمد الله الذي عافانا ممّا ابتلاك به » .
وكان يقول لمن يُشاجره في المسائل الفقهية: «يا هذا، لو صرتَ إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحدٌ أعلم بالسنة منّا ؟ » .
ويقول لرجل من أهل العراق : « أما لو كنتَ عندنا بالمدينة، لأريناك مواطن جبرئيل من دورنا، استقانا الناسُ العلمَ، فتراهم علموا، وجهلنا ؟! » .
وهكذا قاوم الإمام الانحراف الفقهيّ الذي منيتُ به الأمة طوال عهد الخلفاء المبطلين، بالتزام الشريعة وأخذها ممّن حاول التفقّه من طرق لا تتصل بمنابعه الصافية المأمونة، بل اعتمدوا الآراء والمقاييس العقلية التي لم ينزل الله بها من سلطان، فكان يقول - بكلّ صراحة - :

« إنّ دين الله لا يُصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، لا يُصابُ إلّا بالتسليم، فَمَنْ سلّمَ لنا سلّمَ، ومَنْ اقتدى بنا هُدي، ومَنْ كان يعمل بالقياس والرأي هلك » .

واسمع قوله في تهديد المنحرفين : « ومَنْ وَجَدَ في نفسه ممّا نقوله أو نقضي - به حَرَجاً، كَفَرَ بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم » .

هكذا شدد الإمام النكير على تلك البوادر المضللة، وحارب بدعة تقليد غير أهل البيت من المذاهب المصطنعة، المجعولة من قبل السلطة، والمعطاة لأصحابهم البعداء عن الأئمة (عليهم السلام) سبباً ولا يرتبطون بهم نسبياً. وهو - في نفس الوقت - يحدد المنبع الفياض، والمنهل العذب للشريعة، وحث الأئمة على تقليد أهله وهو فقه أهل البيت (عليهم السلام).

رابعاً: اعتراف كبار علماء العصر - وفقهائهم بأفقيّة الإمام (عليهم السلام): إنّ الجهود المذكورة سببت اعتراف كبار الفقهاء، بأنّ الإمام السجاد عليه السلام هو أفقه أهل عصره، بما فيهم علماء البلاط ووعاظ السلاطين. فهذا أبو حازم - وهو من الزهاد والفقهاء المعروفين - : « ما رأيت هاشمياً أفضل من عليّ بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه ». ومثله قال الزهري ابن شهاب المقدّم في البلاط . وكذلك من الأئمة الشافعي الذي تأخر عنه قال : « إنّ عليّ ابن الحسين أفقه أهل البيت (عليهم السلام) » .

خامساً: تكوين مدرسة لتربية الأجيال من الفقهاء الكبار، لقد سعى الإمام السجاد عليه السلام في تركيز فقه أهل البيت (عليهم السلام) بين الأئمة وتبيينه وبثّه، بتعليمه لأكثر عدد ممكن ممّن حوله من طلاب العلم القاطنين في المدينة، أو المهاجرين الوافدين من أطرافها، مضافاً إلى الأعداد الكبيرة من الإماء والعبيد الذين كان يشتريهم ليعتقهم بعد أن يعلمهم طوال سنة، يعيشون معه، ثمّ يمّولهم لينتسروا في الأرجاء ويبثوا تعاليمه، وقد تحدّثنا عنهم في كتاب « جهاد الإمام السجاد عليه السلام » .

وكذلك بثّ العلم والوعي بين طلاب العلم الذين كانوا يحضرون دروسه التي كان يلقيها في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) في المدينة، وقد تألفت منهم مجموعة كبيرة تقدّر بألف شخص سمّوا بـ « القراء » .

والمراد بهم الذين يعرفون القراءة، ويدرسون الكتب بما في ذلك القرآن الكريم، ولم تختص التسمية بقراء القرآن فقط، كما هو المعروف اليوم. ولو فرض كون المراد خصوص الذين يقرأون القرآن، فلا ينافي أن يكونوا طلبة للفقه وقراء لغيره من كتب العلم أيضاً، إذ لا معنى لمن يقرأ القرآن بحيث يكون معروفاً بذلك أن لا يقرأ غيره من كتب العلم. مع أن قارئ القرآن لا بد أن يكون مُدركاً لمعانيه عاملاً بمؤداه بما في ذلك العقائد والفقه وغير ذلك.

فكلمة « القراء » بأيّ من هذه الوجوه فرض معناها، فهي دالة على أن تلك المجموعة كانوا من أهل العلم طلاباً وغيرهم، فإذا قرأنا النصّ نجده يقول : « إنَّ القراء كانوا لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج عليّ بن الحسين، فيخرج وخرجنا معه ألف راكب ».

فهذا يدلّ على التزام القراء ركاب الإمام عليه السلام دون غيره من الصحابة الذين كان عددهم كثيراً في ذلك العصر، ولا التابعين الكبار الذين كان عددهم أكثر، فالتزام الخروج مع خصوص الإمام فيه من الدلالة الواضحة على اعتقادهم بأعلميّة الإمام بأمر الحجّ، وهذا هو شأن الناس وديدهم أنّهم يصحبون الأعراف بأحكام الحجّ ليكون مرشداً لهم.

وإذا عرفنا أنّ المتكلم بذلك النصّ هو سعيد بن المسيّب الفقيه المعترف بعلمه، نجد مدى ما كان للإمام السجّاد عليه السلام من الاعتراف له بالعلم بالأحكام. إنّ انتشار تلك المجموعة بين الأمّة واحدة من ثمار تلك الجهود الحثيثة في مدرسة الإمام عليه السلام وقد نبغ فيهم الكثيرون من أمثال:

سعيد بن جبير الشهيد، الذي كان ابن عبّاس - حبر الأمّة وبحرها - إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ؟ يقول لهم : أليس فيكم ابن أمّ الدهماء ؟ - يعني سعيد بن

جبير - . وابن عمر، لما سئل عن فريضة - في الإرث - ؟ قال للسائل: ايت سعيد بن جبير فإنه أعلم بالحساب مني.

فإذا كان واحد من تلامذة الإمام السجّاد عليه السلام بهذا المستوى حتى أرجع إليه رجلان فقيهان من الصحابة ! فكيف بالإمام نفسه؟! إنه حقاً كان الأفقه والأعلم، بلا منازع.

سادساً: خلق الأعمال الخالدة: إن من جهود الإمام السجّاد عليه السلام أنه خلّد تراثاً عظيماً، تستمتع منه الأجيال:

فمضافاً إلى رسالة الحقوق الوثيقة الإنسانية العظيمة، التي تعتبر من مفاخر الإسلام وإلى الصحيفة السجّادية التي هي من نواذر الفكر الإسلامي العريق. فهناك الأدعية الكثيرة والعظيمة التي استدركت كملحقات للصحيفة الأولى، والتي سمّيت بالثانية والثالثة، وهكذا إلى السابعة، ويحتوي مجموعها على كنز علمي عرفاني تربوي أخلاقي، بل موسوعة فذة تفتخر بها الأمة الإسلامية مدى الأجيال.

ثم إن الحديث الشريف يعتبر ثاني مصادر الفكر الإسلامي - بعد القرآن الكريم - وكانت رواية الحديث هي السمة البارزة للفقهاء الأوائل، وكان للإمام دور كبير في هذا المجال، حيث أثبت علماء الرجال (١٧٠) راوياً ممن اتصل بالإمام ورووا عنه الحديث مباشرة، كما سجّله الشيخ الطوسي في كتاب (الرجال).

وأما جهد الإمام الحثيث في تخليد الحديث، فقد ذكروا له ما يلي:
(نسخة) رواها حفيده عبدالله بن إبراهيم بن الحسين الأصغر والنسخة في مصطلح الحديث هي: الكتاب الجامع للروايات المنقولة عن المنسوبة إليه بالخصوص من دون تحديد موضوع ولا ترتيب أبواب .

(كتاب حديثه عليه السلام) جمعه داود بن علي بن بشير، أبو سليمان الدهان الكوفي وهذا العنوان يقتضي أن يكون حديثه من الكثرة ما يجمع بين دفتين .
كما يدل على كثرة حديثه عليه السلام أنهم عدّوه من « الحفّاظ الكبار » وقد ترجمه الذهبي في كتابه « تذكرة الحفّاظ » .
ومجموع هذه الشواهد تكون حجراً يلزم به من قال في الإمام: «إنّه قليل الحديث» .

وهذا ظلم سافر من ذلك القائل ومن لفّ لفّه .
ونقترح أن يجمع حديث الإمام في « جامع » ليكون دليلاً عينياً على جهد الإمام عليه السلام كما يتحدّد معه أهمّ الموضوعات التي كان يعتني بها، والله الموفّق والمعين .
وأما في الفقه :

فقد أثاره ما ألفه المحدث الشهير أبو حمزة الثمالي في كتاب (الجامع في الفقه) .
كما أنّ كتابه (المنسك) الذي بقي محفوظاً، هو من التراث الإسلامي الخالد، وهو يجمع ما يرتبط بالحجّ في ثلاثين باباً، يحتوي على أحكامه الواجبة وسننه المندوبة وقد وفّقني الله لتحقيقه، ونسأله تعالى التوفيق لنشره .
وأخيراً :

تمهيد الإمام السجّاد عليه السلام لمن يليه من الأئمّة (عليهم السلام) : إنّ من كبار تلامذة الإمام السجّاد عليه السلام هم أولاده الثلاثة : الإمام الباقر محمد، وزيد الشهيد، والحسين الأصغر، وقد اشتركوا جميعاً في رواية (المنسك) عن أبيهم الإمام عليه السلام كما شرحنا ذلك في ما قدّمناه للكتاب .
كما أنّ كلّاً منهم - وخاصة الإمام الباقر وزيد الشهيد - لهما جهود علميّة وتراث خالد في علوم الدين وخاصة الحديث والفقه .

وكذلك روى عن الإمام السجاد عليه السلام حفيده الإمام جعفر الصادق عليه السلام .
وقد كانت جهود الإمام السجاد عليه السلام العلمية، وبالأخصّ الفقهية، تمهيداً
للإمام الباقر عليه السلام أن يتزعم المدرسة الفقهية لأهل البيت وأن يُوسّعها، وإلاّ فإنّ
من غير الممكن أن توجد تلك المدرسة الكبيرة التي عمل فيها الإمام الباقر عليه السلام
فجأة، في فترة إمامته (٩٥ - ١١٤).

وكذلك الإمام الصادق عليه السلام الذي تمكّن من إنائها وترويتها حتّى بلغ عدد
تلاميذها في نهاية عصره ما ينوف على (أربعة آلاف) طالب علم
وراوٍ للحديث، منهم (٧٠٠) شيخاً، في مسجد الكوفة فقط، كما حدّده
مؤرّخو العلم.

الخاتمة نتيجة البحث:

وهكذا فقد أثبتنا أنّ الإمام السجّاد عليه السلام :
 تمكّن بجهاده وجهوده من بسط ولاية أهل البيت (عليهم السلام) على الأئمة،
 وإنقاذها من الضلالة التي أرادها لها المحرّفون لسنن الدين والرسالة.
 وتمكّن الإمام أن يحافظ على الشريعة الإسلامية في ظلّ أهل البيت، وحسب
 معرفتهم ومن معين علومهم، بعد أن سلبت منهم السلطة الحكومية بأقصى
 شكل يعتمد سفك الدماء الطاهرة، وإزهاق الأرواح البريئة، وسحق
 الكرامات، وهدر الحرمات، مثل ما انتهى إليه الأمر في كربلاء.
 وقد تمكّن الإمام السجّاد عليه السلام بجهاده المرير من فرض الولاية التشريعية على
 الساحة بأفضل شكل وأقواه وأحكمه، بحيث لم يتمكن الأعداء من سلبه
 وإبادته، على الرغم من العراقيل التي وضعها الحكّام بعد ذلك في طريق الأئمة
 وأصحابهم، حتّى بلغ الأمر ببعض الأذئاب أن يصرّح: بأنّ أهل البيت قد
 تفرّدوا في الفقه بمذاهب شاذة!
 وهذا واحد من نتائج الضغوط التي مارسها الطغاة الحاكمون بالزور، في
 مواجهة الأئمة (عليهم السلام) الذين قاوموا كلّ ذلك إلى حدّ الشهادة، ونشروا
 الحقّ حتّى من وراء قضبان السجون الرهيبة، وكذلك أصحابهم الثقات الذين
 حملوا هذا الحقّ ونشروه، وهم مطاردون، يحملون على أكتافهم أعمدة المشانق،
 ويواجهون فقهاء السلطة الذين اصطنعتهم، ونفخت في جلودهم في قبال أهل
 البيت (عليهم السلام) إطفاءً لنورهم، وإخفاءً للحقّ الذي حملوه ونشروه، و
 ضحّوا من أجل الحفاظ عليه، إحياءً لشريعة الإسلام، ولتتمّ الحجّة، ولئلاّ تخلو
 الأرض منها على مدى الأيام.

وبجهدهم وجهودهم، ظلّ الفقه الشيعي، فقه أهل البيت (عليهم السلام) خالداً حياً يلمع بين المذاهب الإسلامية الأخرى، ويستهوئ إليه رواد الحقيقة الناصعة، وطلاب الحق المبين.

وعلى أن نسعى في إبراز معالم فقه الإمام السجاد عليه السلام والتنقيب عن جذوره، ليعرف الفقهاء في العالم الإسلامي أنه الأسبق والأقوم والأفضل، لأنه ينتمي إلى أهل بيت الرسالة والنبوة والإمامة، بأفضل الطرق وأصحها على الإطلاق. وفقنا الله تعالى لذلك.

أضواء على نسب الناصر الكبير

السيد علي موسوي نجاد

عضو في الهيئة التعليمية في جامعة الأديان والمذاهب في قم

المدخل

يعتبر أبو محمد الحسن بن علي (٢٣٠-٢٤٠ هـ.ق) والمشهور بـ «الناصر للحق»، «الناصر الكبير» و «الناصر الأطروش»، من أشهر العلماء والشخصيات العلوية المؤثرة في تاريخ التشيع وإيران. وانه مع وجود تقارير وأخبار - قليلة - وفي مصادر متعددة تتحدث عن الناصر الكبير والتي قد استفاد منها الباحثون ، إلا انه ما زلنا نواجه نقصاً في مصادر البحث والتعريف بشخصية الناصر الكبير. وسنقوم في هذا البحث بتقديم تعريف شامل بأصل الناصر الكبير ونسبه في فترة زمنية محددة بمائة وخمسين سنة (من اواخر القرن الاول والى القرن الثالث الهجري القمري): وسوف نتعرض للتعريف بعمر الأشرف بن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وابنه علي الاصغر، وابنه حسن الشجري، وابنه علي العسكري والذي هو والد الناصر، وكذلك سنتناول بالتعريف بعض أبنائهم المؤثرين وممن لعبوا دوراً.

ومن الخصوصيات الفكرية لهذه العائلة هي قربهم من ائمة اهل البيت عليهم السلام و اخذ العلوم عنهم، ومشاركتهم في النضال السياسي للعلويين،

ومحافظتهم على الاعتدال وعدم التورط في التيارات المتطرفة في الفرق والمذاهب الموجودة آنذاك.

نسب الناصر الكبير

إن نسب الناصر الكبير يتصل بالإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، رابع إمام عند الشيعة الامامية، ولا شك أن هناك اربع وسائط بينه وبين الإمام السجاد وذلك عن طريق عمر الأشرف. وان نسب الناصر الكبير إلى الإمام السجاد هو: «الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب» عليهم السلام. إن توثيق علماء الأنساب وعلماء الرجال والمؤرخين المشهورين دليل واضح على النسب الشريف لناصر الكبير. ومن هؤلاء:

- ١- أبو نصر البخاري (كان حياً في ٣٥٥ هـ) في «سّر السلسلة العلوية»^١.
- ٢- أبو طالب الهاروني (ت: ٤٢٤ هـ ق) في الإفادة في «تاريخ الأئمة السادة»^٢.
- ٣- شيخ الشرف العبيدلي (ت: ٤٣٥ هـ) في «تهذيب الأنساب»^٣.
- ٤- السيد مرتضى (ت: ٤٣٦ هـ) في «المسائل الناصريات»^٤.
- ٥- العلوي العمري (ت: ٤٦٠ هـ) في «المجدى»^٥.

١- البخاري، ص ٥٣.

٢- الهاروني، ص ١١٧.

٣- العبيدلي، ص ١٨٦.

٤- السيد المرتضى، ص ٦٢.

٥- العمري، ص ٣٤٩.

- ٦- الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في «الرجال»^١.
 - ٧- الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) في «الشجرة المباركة»^٢.
 - ٨- المنصور بالله عبدالله بن حمزه (ت: ٦١٤ هـ) في «الشافى»^٣.
 - ٩- أبو طالب المروزي (عاش في ٦١٤ هـ) في «الفخري»^٤.
 - ١٠- حميد المحلي (ت: ٦٥٢ هـ) في «الحدائق الوردية»^٥.
 - ١١- ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٥ هـ) في «شرح نهج البلاغة»^٦.
 - ١٢- ابن طقطقي الحسني (ت: ٧٠٩ هـ) في «الاصيلي»^٧.
 - ١٣- ابن عنبة الحسني (ت: ٨٢٨ هـ) في «عمدة الطالب»^٨.
- ومع ذلك، توجد هناك أخطاء في ذكر نسب الناصر الكبير في بعض المصادر التاريخية والتي تؤدي بعض الأحيان إلى حصول نتائج خاطئة. ومنها ما ورد عن علي بن المسعودي (ت: ٣٤٦ هـ ق) في مروج الذهب حيث ذكر نسبه «الحسن بن على بن محمد بن على بن الحسن بن على بن أبي طالب» وفيه عدة أخطاء و فاحشة. (المسعودي، ج ٤، ٣٩٣-٣٩٤)
- ومحمد بن إسحاق ابن النديم (ت: ٣٨٥ هـ ق) في كتاب الفهرست، ذكر نسب الناصر الكبير هكذا: «حسن بن على بن حسن بن زيد بن عمر». (ابن النديم، ج ١، ص ٦٨١)

١ - الطوسي، ص ٣٨٥.
 ٢ - الفخر الرازي، ص ١٣٦-١٣٥.
 ٣ - المنصور بالله، ج ١، ص ٣٠٨.
 ٤ - المروزي، ص ٣٦.
 ٥ - المحلي، ج ٢، ص ٥٥.
 ٦ - ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٢.
 ٧ - ابن طقطقي، ص ٢٧٨-٢٧٦.
 ٨ - ابن عنبة، ص ٣٧٤-٣٧١.

وبلا شك فإن هذا التوثيق لنسب الناصر الكبير قد اخطأ فيه فإنه قد جاء باسم «زيد» بدل «علي» وهو الجد الثاني لناصر.

ونشاهد كذلك مثل هذه الخطأ عند الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ ق) أيضاً في كتابه المشهور بـ «الملل والنحل».

إضافة لذلك فنشاهد خطأ فاحشة آخر في الطبقات التي نشرت من هذا الكتاب، لأنه بدل «عمر بن علي بن الحسين»، ذكر «عمر بن الحسين».

(الشهرستاني، ج ١، ص ١٦٢)

وفي نموذج آخر فإن ابن الأثير (ت: ٦٣٠ هـ ق) في كتابه الكامل في التاريخ ذكر نسب الناصر الكبير وفيه يتصل بواسطتين إلى عمر الأشرف وهو «الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر».

(ابن الأثير، ج ٥، ص ٤٤)

وذكر كذلك الرجالي الشيعي المشهور النجاشي (ت: ٤٥٠ هـ ق) في كتاب الرجال والمعروف بـ (فهرست أسماء مصنفی الشيعة) نسب الناصر الكبير.

(النجاشي، ص ٥٧) وهو قد أخطأ كذلك، فقد سقط فيه سهواً اسم «علي» الجد الثاني لناصر الكبير.

وهذا الخطأ وقع فيه كذلك آخرون من علماء الرجال من الشيعة، منهم: ابن داود الحلي (ت: ٧٠٧ هـ ق) في كتاب «الرجال» (ص ٢٣٩)؛ والحسن بن المطهر الحلي (ت: ٧٢٦ هـ ق) في «خلاصة الأقوال» (ص ٣٣٧) و الأردبيلي (القرن الحادي عشر) في «جامع الرواة» (ج ١، ص ٢٠٩).

وأشار آية الله السيد أبو القاسم الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ ق) في معجم رجال الحديث إلى هذه النقطة وقام بتصحيحها. (الخوئي، ج ٦، ص ٣٢-٣١)

وهناك خطأ واضحاً يمكن مشاهدته في الطبعة التي نشرت لكتاب الجواهر والدرر لإمام الزيدية في اليمن المهدي لدين الله احمد بن يحيى بن مرتضى. فهو قد ذكر بدل «عمر الأشرف» «عمر بن الأشرف». (ابن مرتضى، ص ٢٢٨)

أجداد الناصر الكبير

إن معرفة نسب الشخصيات التاريخية يساعد بلا شك على معرفة تلك الشخصية بشكل أفضل. وان في نسب الناصر الكبير هناك شخصيات بارزة لا نظير لها هم في غنى عن التعريف مثل النبي الأكرم (ص) والإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسين عليه السلام والإمام علي بن الحسين عليه السلام.

وكما اشرنا فان هذا البحث ستتطرق فيه إلى دراسة نسب الناصر الكبير من جده الثالث عمر الأشرف، والذي ولد في النصف الثاني من القرن الأول وتوفي في النصف الأول من القرن الثاني، ومن ثم نبحت حول جده الثاني، وبعد ذلك نتكلم حول جده الأول، وأخيرا حول والده. وسنشير كذلك إلى الأشخاص المؤثرين والفاعلين من أبناء كل واحد من هؤلاء.

١- عمر الأشرف

إذا نريد التكلم عن اسم الجد الأكبر لناصر، سنبدأ بالكلام عن تسميته بعمر، وسنواجه هنا واحد من أقدم الأسئلة المطروحة، واليوم نحن نسمع هذا السؤال يطرح مرة أخرى من قبل المخالفين للشيعة. والسؤال هو كيف أن أئمة الشيعة وأهل بيت النبي عليهم السلام أطلقوا على أبنائهم أسماء مخالفيهم ومنهم ثلاثة ممن تقمص الخلافة؟

وفي معرض الجواب عن هذا السؤال، يمكن القول أن اسم عمر كان من الأسماء كثيرة الاستعمال عند العرب في العقود الأولى بعد ظهور الإسلام، وعلى الأقل فإنه في تلك الفترة لم يكن ينصرف الاسم إلى عمر بن الخطاب.^١ وان كان مع مرور الزمن وبالتدريج أصبح أي شخص عندما يسمع هذا الاسم ينصرف ذهنه إلى عمر بن الخطاب، ولهذا نرى أن الشيعة وقادتهم أصبح استعمالهم لهذا الاسم قليلاً في القرون اللاحقة.

ولكنه لم يكن الأمر كذلك في زمن الإمام علي عليه السلام وحتى زمن الإمام السجاد عليه السلام، وكان اسم عمر من الأسماء كثيرة الاستعمال كبقية الأسماء، وأئمة الشيعة الأوائل كان لديهم الكثير من الأولاد فاستعملوا هذا الاسم كما استعملوا غيره من الأسماء.

مثلاً نحن نعلم أن الإمام السجاد عليه السلام لديه تسعة من الأولاد الذكور (البخاري، ص ٣٢) وفي خبر آخر أحد عشر - ولداً (العمري، ٢٨٣) أو خمسة عشر ولداً (الرازي، ص ٨٧-٨٨)، وباعتبار أنه بعد تسميته لأبنائه الآخرين بأسماء مثل محمد وعلي والحسن والحسين وعبد الله وزيد وعبد الرحمن وقاسم وعيسى وسلمان وداود أطلق اسم عمر أيضاً على أحد أبنائه وهو أحد الأسماء كثير الاستعمال آنذاك، ولا يحدد ذلك موقفه تجاه عمر بن الخطاب.^٢

١ - ابن حجر العسقلاني (في: ٨٥٢ هـ) في كتاب الإصابة، يذكر أسماء واحد وعشرين صحابي لرسول الله (ص) كان اسمهم عمر. (العسقلاني، ج ٤، ٥٩٧-٥٨٧)

٢ - للحصول على الجواب عن هذه الشبهة بتفصيل أكثر راجع: التسميات بين التسامح العلوي و التوظيف الاموي، مؤسسة الرافد، ٢٠١٠ م.

تلقبه بالأشرف

لقد لقب عمر بن الإمام زين العابدين بلقب «الأشرف» مقارنة بعم أبيه ، عمر بن علي بن أبي طالب، لانه بالاضافة الى شرف انتسابه الى علي عليه السلام فهو ينتسب مضافاً إلى علي، الى فاطمة الزهراء والنبي الاعظم (ص) كذلك. ويحتمل ان عمه عمر بن علي عليه السلام لقب بـ(الاطرف) بعد ولادة عمر الأشرف. (ابن عنبه، ص ٣٧١)

ويذكر آية الله الخوئي في معجم رجال الحديث بعد اشارته الى كلام ابن عنبه: (ان أشرفية عمر الأشرف بالنسبة الى عمر الاطرف هي بالفضل والورع اضافة الى النسب). (الخوئي، ج ١٤، ص ٥٣)

كنية عمر الأشرف

نشاهد في المصادر التاريخية اختلافا بالنسبة لكنية عمر الأشرف بين «ابو علي» و «ابو حفص». ومن بين المصادر فان كتاب (سر السلسلة العلوية) ذكر ان كنيته ابو علي. (البخاري، ص ٥٢)

وذكر في عمدة الطالب ان كنيته ابو علي، و اضاف ان البعض ذكر ان كنيته «ابو حفص». (ابن عنبه، ص ٣٧١)

ولكن المجدي والاصيلي والشجرة المباركة ذكروا ان كنيته «ابو حفص»، و ثم اضافوا ان البعض ذكر ان كنيته (ابو علي). (العمري، ص ٣٤٥؛ الرازي، ص ١٣٥، ابن طقطقي، ص ٢٧٦)

وذكر الشيخ الطوسي كذلك في كتابه «الرجال» ان عمر الأشرف من اصحاب الامام الباقر عليه السلام وكنيته ابو حفص. (الطوسي، ص ١٣٩)، ومن بين تلك المصادر ذكر مؤلف كتاب سراج الانساب في خبر نادر ان كنية

عمر الأشرف هي ابو جعفر ، ولا يمكن الاعتماد على ذلك . (كياجيلاني، ص ١١٠)

والدة عمر الأشرف

من مجموع الأخبار الواردة يمكن الاستنتاج أن عمر الأشرف وأخاه زيد ولدا من أم واحدة، وهي كانت جارية (أم ولد) واسمها «جيدا»، والتي أرسلها المختار بن ابي عبيدة الثقفي للامام السجاد (زين العابدين) عليه السلام (ت: ٦٧ هـ ق)

ويصرح في سر السلسلة العلوية ان والدة عمر وزيد واحدة، (البخاري، ص ٥٣) ويذكر انها كانت جارية اسمها «جيدا»، (البخاري، ص ٣٢ و ص ٥٦) وقد ذكر المجدي (العمرى، ص ٣٤٤)، والفخرى (المروزي، ص ٢٧٦)، والاصيلي (ابن الطقطقى، ص ٢٧٦) و الشجرة المباركة (الرازي، ص ٨٧) أن والدة كل من زيد وعمر الأشرف هي «جيدا».

وما يثير التعجب هنا هو خبر المجدي، وهو انه على الرغم من تصريحه السابق بان عمر و زيد ولدا من أم واحدة وان اسمها «جيدا»، إلا انه عندما يتكلم عن أم زيد يقول أن اسمها «غزاله» وهذا الاسم يعني الشمس. (العمرى، ص ٣٥٣)

وتنقل بعض المصادر الحديثية عن أبي حمزة الثمالي أن اسم أمه «حوراء»، وهو يختلف عما ذكرته المصادر الأخرى. (المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٥٢-٣٥١)

وان هذه الأخبار المختلفة كانت هي السبب لان تنقل بعض المصادر أن اسم أم عمر الأشرف وزيد هو «حورية» أو «حوراء»، على الرغم من أن الكثير من

المصادر تشير إلى أن اسمها «جيدا»، واحتمل أن يكون لهذه المرأة أسماء متعددة. (السبحاني، ج ٧، ص ٥٨)

ونطرح هنا نقطتين مهمتين بالنسبة لوالدة عمر الأشرف:

النقطة الأولى: إن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يمتنع عن قبول هدايا المختار الثقفي^١. (المسعودي، ج ٣، ص ٦٧)، والسؤال المطروح هنا هو كيف قبل الإمام السجاد الجارية كهدية من المختار الثقفي؟ بل انه طبقا لرواية أبي حمزة الثمالي فإن المختار قد أرسل للإمام ستمائة دينار كمساعدة لأموال المعاش إضافة إلى إهدائه الجارية له وقبل الإمام أن يستلمها. (المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٥٢-٣٥١)

ويمكن أن يكون وجه الجمع بين هذه الروايات المختلفة هو ما نقله في «اختيار معرفة الرجال» عن عمر الأشرف نفسه، وهو أن المختار أرسل في البداية عشرين ألف دينار فاستلمها الإمام السجاد وبنى بها من جديد بيت عقيل الذي كان خربة. ولكنه في المرة الثانية لما أرسل المختار أربعين ألف دينار أخرى لم يقبلها الإمام، وهذا حصل بعد أن أظهر المختار ما لديه من انحرافات وما يوحى بالكفر. (الكشي، ص ١١٩)

والنقطة الثانية: ورد في بعض الروايات عند الزيدية أن الإمام الباقر عليه السلام كان يمدح أخاه زيدا، والتي فيها كذلك مدح لوالدته أيضا. ونذكر كنموذج من تلك الروايات رواية أبي طالب الهاروني بسنده عن أبي هاشم

١ - «وكتب المختار كتاباً إلى علي بن الحسين السجاد يريد به علي أن يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالا كثيراً، فأبى علي أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه».

الرماني حيث ينقل الرواية التي يخاطب بها الإمام أخاه زيدا: بركة الله على أم ولدتك، لقد أنجبت حين أتت بك.. (الهاروني، ص ١٤٥)

وهناك رواية قريبة من هذه الرواية نقلها الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١هـ ق) مسندة في كتابه الأمالي عن الإمام الباقر عليه السلام (وبالتأكيد فانه قد نقلها رواة من المذهب الزيدي مثل حسين بن علون، أبو خالد الواسطي و أبو الجارود) ١ (الصدوق، ص ٢٤٧)

ولكن في رواية أخرى وفي ظرف مختلف، حيث كان الإمام الصادق عليه السلام يحذر زيدا من القيام بالثورة، فانه كان لوالدة زيد موقف غير محمود من الإمام، حيث اتهمت الإمام بالحسد لابنها زيد (المصدر نفسه، ص ٤١)، ويمكن أن يعد ذلك قدحا واضحا لوالدة زيد (جيذا) وكانت حينها كبيرة بالعمر.^٢

عمر الأشرف كان أكبر سنًا من زيد

يمكن القول أن كل الأخبار تشير إلى أن عمر الأشرف كان أكبر سنا من أخيه زيد. (البيهقي، ج ١، ص ٣٨١؛ ابن عنبه، ص ٣٧١)، وحتى في سر السلسلة العلوية يشير إلى أن عمر اكبر سنا من زيد بكثير.^٣ (البخاري، ص ٥٣)

١ - «ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن أبي الخطاب، عن ابن علوان عن عمرو بن خالد، عن أبي الجارود قال: إني لجالس عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذا أقبل زيد بن علي عليه السلام فلما نظر إليه أبو جعفر عليه السلام وهو مقبل قال: هذا سيد من أهل بيته، والطالب بأوتارهم، لقد أنجبت ام ولدتك يا زيد.»

٢ - «... فقال له الصادق عليه السلام: يا عمّ اعيزك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة، فقالت له ام زيد: والله ما يملكك على هذا القول غير الحسد لابني...»

٣ - «وكان اسنّ من زيد بن علي بكثير.»

وان هذه المجموعة من الاخبار تخالف الروايات المنقولة من المصادر الشيعية، لانها تشير الى ان اول من ولد للإمام السجاد عليه السلام بعد إهداء ام عمر و زيد للإمام هو زيد، وهذا يعني ان زيدا اكبر سناً من عمر الأشرف. وينقل الشيخ الصدوق في كتابه الامالي بسنده عن أبي حمزة الثمالي انه التقى بالإمام السجاد عليه السلام في سفرتين متتاليتين للحج. ففي السفرة الأولى اخبره الإمام عن رؤيا شاهدها في المنام انه كان في الجنة وقد بشر بولد اسمه زيد من حورية لا مثيل لها، وفي سفره الثاني شاهد الإمام وببده ابنه زيد وقال له هذا تعبير رؤياي. (الصدوق، ص ٢٤٧)

وفي خبر آخر عن أبي حمزة انه نقل هذه القصة بشكل مختلف وأكثر تفصيلاً. ومن الأمور المختلفة لقاء أبي حمزة بالإمام السجاد عليه السلام، ونقل قصة انتقال أم زيد وولادتها إياه في وقت كان زيد طفلاً وعمره عدة سنوات، وليس عدة أشهر. وكذلك فقد صرح في هذه الرواية أن انعقاد نطفة زيد كان مباشرة بعد إهداء أمه للإمام عليه السلام. (المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٥٢-٣٥١) وما هو المهم في هذه الروايات هو أن زيدا قد ولد مباشرة بعد إهداء أمه من قبل المختار للإمام، وهذا يعني أن إهداء المختار للجارية أم زيد لا يمكن أن يكون بعد سنة ٦٧ هـ ق وهي السنة التي قتل فيها المختار في العراق. لذلك نستنتج أن سنة ولادة زيد إما كانت ٦٧ أو ٦٨ هـ ق، ويكون بذلك اكبر سناً من عمر الأشرف.

وهذه النتيجة تواجه مشكلتين أساسيتين:

المشكلة الأولى: إنها لا تنسجم مع الروايات التي تقول أن أم زيد وعمر واحدة، وان عمر اكبر سناً من زيد.

المشكلة الثانية: لدينا أخبار تفيد الاطمئنان إلى أن سنة ولادة زيد هي ٧٥ هـ ق (الهاروني، ص ٤٥؛ المرشد بالله، الباب العاشر؛ المحلى، ج ١، ص ٢٤٢)

أو تكون ولادته في سنة ٨٠ هجري قمرى (البخاري، ص ٦٠-٥٩؛ الاصفهاني، ص ١٢٧؛ ابن طقطقى، ص ٢٣٧)

و الأخبار العديدة أن زيدا استشهد في سنة ١٢١ أو ١٢٢ هجري قمرى، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة، أو كحد أعلى سبعا وأربعين سنة. في حين إذا استندنا إلى الروايات التي تقول أن زيد اكبر من أخيه عمر، فيجب أن يكون عمر زيد حين استشهاده أكثر من خمسين سنة، وهذا مما لم ينقله أي مصدر تاريخي.

وعلى أساس هذه الروايات وبعض الشواهد الضعيفة الأخرى^١، فقد أثبتت بعض الكتب المطبوعة حديثاً أن أول ولد للإمام السجاد عليه السلام هو زيد، وعليه فإن ولادة زيد ستكون عندهم سنة ٦٧ أو ٦٨ هجرية قمرية ومن هذه الكتب «بحوث فى الملل و النحل» (السبحانى، ج ٧، ص ٦٧-٦١)، «سيرة و قيام زيد بن علي» (كريميان، ص ٩-١٥).

ومما يثير التعجب أكثر أنهم يصرحون- وبخلاف الكثير من الأخبار الأخرى- إن عمر زيد أثناء استشهاده (ت: عام ١٢٢ هجري قمرى) كان خمساً وخمسين سنة. (سبحانى، ج ٧، ص ٦٢)

١ - وكمثال على ذلك: الاستشهاد برواية في «كفاية الاثر» (الخزاز القمى، ص ٢٩٨) عن زيد بن علي كشاهد و راوى لقاء جابر مع اخيه الامام الباقر (ع). و مع الالتفات الى ان تاريخ وفاة جابر كان قبل عام ٨٠ هجري قمرى نستنتج انه يجب ان يكون عمر زيد حينها مناسباً لان ينقل هذا اللقاء بعنوان راوي. (السبحانى، ج ٧، ص ٦٥)

شخصية عمر الأشرف

لقد وصلت إلينا أخبار كثيرة تتكفل بالتعريف بشخصية عمر الأشرف باعتبار أنه كان له دور خاص و متميز بين أبناء الإمام السجاد عليه السلام بعد أخويه الإمام الباقر عليه السلام وزيد الشهيد، ونشير هنا إلى بعض هذه الأخبار: الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ ق) في «الإرشاد»، وضمن توثيقه ومدحه لعمر الأشرف ذكر بأنه فاضل جليل القدر وأهل ورع وسخاء. ١ (مفيد، ج ٢، ص ١٧٠)

السيد المرتضى (ت: ٤٣٦ هـ ق) في المسائل الناصريات قال في تعريف عمر الأشرف: «فإنه كان فخم السيادة، جليل القدر والمنزلة في الدولتين معا الأموية والعباسية وكان ذا علم، وقد روي عنه الحديث».

وقد نقل رواية عن أبي الجارود زياد بن المنذر أنه «قيل لابي جعفر الباقر: أي اخوتك أحب إليك وأفضل؟ فقال: أما عبدالله فيدي التي أبطش بها وأما عمر فبصري الذي أبصر به، وأما زيد فلساني الذي أنطق به، وأما الحسين فحلیم يمشي على الارض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما». (السيد المرتضى، ٦٤-٦٣)

ويعتبر مؤلف «معجم رجال الحديث»، بعد ذكره للرواية التي نقلها السيد المرتضى، ان ذلك دليل على ان عمر الأشرف ممدوح. (الخوئي، ج ١٤، ص ٥٣) المجدي عرفه بأنه محدث فاضل. (العمرى، ص ٣٤٤) وظهير الدين ابن فندق البيهقي (ت: ٥٦٥ ق) في «لباب الأنساب» وصفه بأنه من علماء أهل بيت النبي

١ - «وكان عمر بن علي بن الحسين فاضلا جليلا، وولي صدقات النبي صلى الله عليه وآله وصدقات أمير المؤمنين عليه السلام وكان ورعا سخيا».

عليهم السلام. (البيهقي، ج ١، ص ٣٨٠) وفي «الشجرة المباركة» عرفه بأنه أهل علم ودين. (الرازي، ١٣٥) والاصيلي عرف عمر الأشرف بأنه من علماء بني هاشم ومحدث ذو فضل وكرم. (ابن طقطقي، ٢٧٦)

عمر الأشرف وثورة أخيه زيد بن علي عليه السلام

إن الخبر الوحيد الذي وصلنا حول موقف عمر الأشرف من ثورة أخيه زيد نقله مصدر من مصادر الزيدية وهو «الامالي الاثنيية» ومؤلفه المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٧ هـ ق)، حيث نقل الحسين بن زيد عن عمه عمر الأشرف قصة نزاع زيد الشهيد مع الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وينقل في آخر الرواية قول عمر الأشرف: «وَكَانَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ لَا يَخَافُ أَحَدًا فِي اللَّهِ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ». (المرشد بالله، الباب العاشر)

تولي صدقات النبي وعلي صلوات الله عليهما

أشير في مصادر عديدة أن عمر الأشرف كان المتولي على صدقات أمير المؤمنين عليه السلام. (العمري، ص ٣٤٤؛ ابن طقطقي، ص ٢٧٦)، وفي هذا المجال يذكر في «الشجرة المباركة» بأنه إضافة لتوليه صدقات الإمام علي عليه السلام فإنه كان متولياً على فذك كذلك. (الرازي، ص ١٣٥)

ويذكر الشيخ أنه كان متولياً على صدقات النبي (ص) والإمام علي عليه السلام وينقل عن داود بن القاسم أن الحسين بن زيد يقول: إنني رأيت بنفسي- أن عمي عمر كان يشترط على من يشتري أراضي صدقات علي عليه السلام أن

يفتح في الحائط طريقين للدخول والخروج لمن يريد أن يدخل الأرض ويأكل من محاصيلها. (المفيد، ج ٢، ص ١٧١-١٧٠)

وفي «لباب الأنساب» ذكر كذلك أن عمر الأشرف كان متوليا صدقات جده أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أكد على أنه لم يكن يمنع من يريد أن يأكل من محاصيل هذه الصدقات. (البيهقي، ج ١، ص ٣٨٠)

ان الحصول على هذا المنصب كان في وقت كانت المنافسة فيه شديدة بين السادة الحسينية والحسينية للحصول عليه^١. يدق على المنزلة الكبيرة لعمر الأشرف لدى أهل البيت في ذلك الوقت، وبالخصوص إذا ثبت أنه حصل على هذا المنصب بدعم من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. الاعتدال عند عمر الأشرف

لقد نقل الشيخ المفيد عن عمر الأشرف أنه قال: «المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا. لنا حق بقرابتنا من جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله، وحق جعله الله لنا، فمن تركه ترك عظيمًا، أنزلونا بالمنزل الذي أنزلنا الله به، ولا تقولوا فينا ما ليس فينا إن يعذبنا الله فبذنوبنا، وإن يرحمنا الله فبرحمته وفضله». وقد ذكر في «لباب الأنساب» كذلك أجزاء من كلام عمر الأشرف هذا ومن دون ذكر السند:

«المفرط في حبنا كالمفرط في بغضنا انزلونا ما أنزلنا الله به ولا تقولوا فينا ما ليس فينا». (البيهقي، المصدر نفسه.)

١ - «هناك نماذج عن هذه المنازعات يمكن مشاهدتها في: ابن عنبه، ص ٧٦ و ص ١١٦؛ الاصفهاني، ١٣٠.

وفي الشجرة المباركة يذكر كذلك الجزء الأساسي من كلام عمر الأشرف وهو حول الغلو من دون ذكر السند فيقول: هو يرد الغلو كما يرد التقصير في حق أهل البيت عليهم السلام. (الرازي، ص ١٣٥)

وكما نعلم فإنه في العقود الأولى من القرن الثاني الهجري وبالتزامن مع إمامة الإمام الباقر عليه السلام (١١٤-٩٤ قمرى) وإمامة الإمام الصادق عليه السلام (١٤٨-١١٤ قمرى)، ظهرت تيارات تدعو الغلو وكانت لديهم نشاطات كثيرة في المجتمعات الشيعية وبالأخص في العراق، ولذلك فإن موقف عمر الأشرف في مقابل هذا الفكر والتيار كان مهماً جداً.

نماذج من آراءه الفقهية

نقل في أمالي أحمد بن عيسى عن الحسين بن زيد (وفي نسخة ورد بن يزيد خطأ) قال: إن عمر بن علي كان يجمع في السفر بين صلاتي الظهر والعصر- وصلاتي المغرب والعشاء. (ابن عيسى، ج ١، ص ٣٧٧)

وفي خبر آخر في الكتاب نفسه إن علي بن عمر الأشرف قال: إن أبي (عمر بن علي) وجعفرأ عليه السلام كانا يجهران بـ(بسم الله) في كلتا السورتين في الصلاة. (ابن عيسى، ج ١، ص ٢٤٤)

وقد صرح أبو عبد الله العلوي (ت: ٤٤٥ هـ ق) كذلك في «الجامع الكافي» أن عمر بن علي مثل البقية كان يجهر بـ(بسم الله) مثل كبار أهل بيته. (العلوى الحسنى، كتاب الصلاة)

نحن نعلم أن (جواز الجمع بين الصلاتين) و (الجهر بسم الله) هي من مختصات الفقه الشيعي، وفي كلا النموذجين دلالة على أن عمر الأشرف كان يتبع الفقه الشيعي ومذهب أهل البيت عليهم السلام.

المحدث والراوي

كما ذكرنا سابقا فان الكثير من المصادر تشير إلى أن عمر الأشرف كان محدثا وراويا. (العمرى، ص ٣٤٤؛ ابن طقطقى، ص ٢٧٦)

وذكر الشيخ الطوسي عمر الأشرف في كتاب الرجال في موضعين، احدهما في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام.^١ (ص ١٣٩)، والآخر في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام بعنوان «مدني تابعي يروي الحديث عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف».^٢ (ص ٢٥٢)

وفي معجم رجال الحديث وبعد أن ينقل موضعين من ذكر الشيخ الطوسي لعمر الأشرف، يصرّح أن ذكر اسمه في أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ورد فقط في النسخة المطبوعة لكتاب «الرجال»، ولم يرد اسمه في أصحاب الإمام في بقية النسخ. وبالتالي فانه أشير إلى رواية فطر بن خليفة عنه عن أبيه السجاد عليه السلام المذكورة في كتاب «الكافي». (الخوئي، ج ١٤، ص ٥٣) والرواية المشار إليها هي الرواية الوحيدة عن عمر الأشرف في كتاب الكافي وهو الحديث الثامن من باب الاهتمام بأمور المسلمين من كتاب الإيمان والكفر.^٣ (الكليني، ج ٢، ص ١٠٣)

١ - «عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو حفص الأشرف، أخوه عليه السلام».

٢ - «عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، مدني تابعي، روى عن أبي امامه بن سهل بن حنيف، مات وله خمس وستون سنة، وقيل: ابن سبعين سنة».

٣ - «عنه (عدة من اصحابنا عن احمد بن محمد بن خالد)، عن علي بن الحكم، عن مثنى بن الوليد الحنط، عن فطر بن خليفة، عن عمر بن علي بن الحسين، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ردّ عن قوم من المسلمين عادية [ماء] أو نارا وجبت له الجنة».

وكذلك في كتاب «اختيار معرفة الرجال» نجد خبرين نقلا عن عمر الأشرف حول علاقة الإمام السجاد عليه السلام بالمختار بن أبي عبيدة الثقفي، والتي فيها كان الراوي الحسين بن زيد الشهيد يرويها عن عمه عمر الأشرف. (الكشي، ص ١١٩) ومع الأخذ بعين الاعتبار لسن عمر الأشرف نعرف أن الخبرين ليسا من مشاهداته بنفسه.

وفي مصادر الزيدية كذلك نقل المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٧ هـ ق) في «الامالي الخميسية» بسنده عن الحسين بن زيد وهو ينقل عن عمه عمر الأشرف عدة روايات. منها ما يدور حول سيرة الامام السجاد عليه السلام وقصة ارسال رأس عبيد الله بن زياد وعمر بن سعد من قبل المختار إلى المدينة. (المرشد بالله، ج ١، ص ١٦٥)، ونقل رواية عن الإمام السجاد عن علي عليهما السلام في تفسير الآية الكريمة «تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِلًا» (المصدر نفسه، ص ٢٢٤)

وفي كتاب «الامالي الاثنيية» في باب مختص بفضائل الإمام علي عليه السلام، ينقل رواية عن حفيد إسحاق بن جعفر عليه السلام عن عمه علي بن جعفر عن الحسين بن زيد بن علي عليه السلام عن عمه عمر بن علي عليه السلام عن أبيه السجاد عليه السلام و يذكر خطبة الإمام الحسن عليه السلام حين استشهاد أبيه الإمام علي عليه السلام. (المرشد بالله، الباب الثامن)

وفي باب آخر من هذا الكتاب وهو مختص بنساء النبي (ص) ينقل رواية عن علي بن هاشم عن محمد بن عبيد الله بن علي بن أبي رافع عن عمر الأشرف عن

أبيه السجاد عليه السلام عن الإمام علي عليه السلام^١. (المرشد بالله، الباب السابع).

وما يلفت النظر انه في هذه الروايات يروي عمر الحديث عن أبيه الإمام السجاد عليه السلام في حين أن الشيخ الطوسي يعتبره راوياً للحديث عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

مدة حياته

إن أغلب الأخبار تشير إلى أن مدة حياة عمر الأشرف ست وخمسون سنة. (الطوسي، ص ٢٥٢؛ البخاري، ص ٥٣؛ ابن طقطقي، ص ٢٧٦)، ويذكر الشيخ الطوسي في كتاب «الرجال» أن عمره خمس وستون سنة، ولكنه يضيف فيقول: قيل إن عمره كان سبعين سنة. (الطوسي، المصدر نفسه)، وفي «لباب الأنساب» ينقل أن عمره حين وفاته كان سبعين سنة. (البيهقي، ج ١، ص ٣٨١)

تاريخ وفاة عمر الأشرف

لقد اشرنا سابقاً طبقاً لكثير من الأخبار المؤكدة أن عمر وزيداً ولداً من أم واحدة، وعمر أكبر سناً من زيد، بل انه يكبره كثيراً. وكذلك اشرنا وطبقاً للأخبار المعتبرة أن تاريخ ولادة زيد إما (٧٥ هـ ق) أو (٨٠ هـ ق). ولذلك فانه

«أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ الْجَوَزْدَانِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْمُقَرِّي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَرُوبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَدَانَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ نِسَاءٍ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَمْ يُجَيِّزْهُنَّ فِي الطَّلَاقِ».

إذا كان إرسال «جيدا» أم عمر الأشرف وزيد في سنة (٦٦ أو ٦٧ هـ ق) حين كان المختار يقود ثورته في العراق وفي السنة نفسها (٦٧ ق) استشهد، فسنعرف أن تاريخ ولادة عمر الأشرف ومباشرة بعد زواج والديه - وباعتباره الأخ الأكبر لزيد- سيكون في سنة (٦٧ أو ٦٨ هـ ق)، وإن فرق العمر بينه وبين أخيه زيد سبع سنوات أو على الأكثر ثلاث عشرة سنة.

ولذلك ومن خلال متابعة الأخبار كذلك والتي تذكر أن عمره ست وخمسون سنة، فإن تاريخ وفاة عمر الأشرف سيكون في أوائل سنوات قيام الخلافة العباسية يعني (١٣٢ أو ١٣٣ هـ ق)، وإن كان عمره سبعين سنة فهذا يعني انه عاش حتى سنة (١٣٨ هـ ق).

ومما يؤكد هذا التاريخ، أننا نعلم في بداية الحركة للدعوة للخلافة العباسية سنة ١٣٢، وعندما عزم أبو سلمة الخلال أن تكون الخلافة الجديدة من خلال تشكيل مجلس قيادة، وأرسل في البداية لثلاثة شخصيات من العلويين ليعلمهم بالأمر وهم، جعفر بن محمد عليه السلام و عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام و عمر بن علي بن الحسين عليه السلام فإن هذه الحادثة تدل على أن عمر الأشرف كان حياً حينها، وكذلك تدل على انه كانت لديه مكانة مرموقة بين الشيعة والعلويين في ذلك الزمان. وفي هذه الحادثة فإن عمر الأشرف عم الإمام الصادق عليه السلام كان جوابه على رسالة أبي سلمة كجواب الإمام ومخالفاً لعبد الله بن الحسن المثنى حيث جاء في رده: «ما أعرف كاتبه فأجيبه». (ابن عنبه، ص ١٢٠).

كما هو تعبير السيد المرتضى فإن حفيد عمر الأشرف قال في مدحه لجده (كانت لديه منزلة في الدولتين الأموية والعباسية) وهذا يشير إلى انه كان حياً في أول مجيء الدولة العباسية ويؤكد هذا التاريخ المذكور. (السيد المرتضى، ص ٦٤-٦٣)

وكان هذا في حين أننا وبشكل قطعي نعلم انه بعد عقد واحد من الزمن، وفي زمان ثورة أبناء عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام؛ كان علي الأصغر بن عمر الأشرف هو الشخصية البارزة في هذه العائلة، وكان مع الامام الصادق عليه السلام، ولم يطرح حينها اسم عمر الأشرف وهذا يدل على وفاته بتاريخ قبل ذلك الوقت.

أبناء عمر الأشرف

لقد ورد في سر السلسلة العلوية أن عمر الأشرف لديه ثلاثة أولاد وهم علي الأصغر وجعفر ومحمد، وهم قد ولدوا من أمهات مختلفة وذكر أيضا أن من بين أولاد عمر الثلاثة، فان جعفر لم يكن له عقب. (البخاري، ص ٥٣)، وفي «تهذيب الأنساب» و«الشجرة المباركة» كذلك قد ذكر أن نسل عمر الأشرف يمتد فقط من ولديه علي «الأصغر» و محمد «الأكبر»، وقال إن أكثر عقبه عن طريق ابنه علي. (العبيدي، ص ١٨٥؛ الرازي، ص ١٣٦)

ويذكر الاصيلي انه اضافة لأولاده الثلاثة علي الأصغر ومحمد وجعفر فإن عمر الأشرف لديه ولدان آخران كذلك وهما موسى وعلي. (ابن طقطقي، ص ٢٧٦)، وفي «قاتل الطالبين» ذكر أن زوجة عبد الله بن الحسن الأفطس هي زينب بنت موسى بن عمر. (الاصفهاني ص ٤٦١)، ويذكر ان لديه بنتا اخرى وهي صفية زوجة القاسم بن علي بن عمر الأشرف، حيث ان ابنها محمد بن القاسم صاحب طالقان، والذي سنتكلم عنه لاحقا. (البخاري، ص ٥٥، الاصفهاني، ص ٤٦٥).

ويذكر مؤلف «المجدي» في خبر له كامل عن أبناء عمر الأشرف انه لديه خمس بنات وهن المحسنة، السيّدة، أم حبيب، عبدة، وخديجة، وعشرة أولاد كلهم انقطع نسلهم إلا علي الأصغر فامتد نسل عمر الأشرف منه وهم جعفر الاكبر، جعفر الأصغر، موسى الاكبر، موسى الأصغر، إبراهيم، إسماعيل، الحسن، علي الاكبر الذي نقل حديثا عن الإمام الصادق عليه السلام، وعلى الأصغر الذي استمر نسل عمر الأشرف عن طريقه.

ومحمد الأكبر الذي كان أبناؤه يعيشون في المدينة المنورة ومنهم ابنه عمر بن محمد وهو كان من فضلاء زمانه، وكما يتوقع المؤلف أن نسله قد انقطع في زمان تأليف الكتاب في القرن الخامس الهجري. ٢ (العمرى، ص ٣٤٥-٣٤٤) ويذكر الاصيلي كذلك في عبارة أن آخر شخص من نسل محمد الكبير هو علي بن محمد بن عمر بن محمد «الاكبر». (ابن الطقطقى، ص ٢٧٦) وذلك يعني أن استمرار نسله بقي إلى أواخر القرن الثالث الهجري القمري.

٢- على الأصغر بن عمر الأشرف

إن لعمر الأشرف ولدين باسم علي. (العمرى، ص ٣٤٥) ولذلك سمي احدهما بالأكبر وأخوه الأصغر بالأصغر. (البخاري، ص ٥٣؛ الرازي، ص ١٣٥؛ ابن طقطقى، ص ٢٧٧؛ ابن عنه، ص ٣٧١)

١ - نقل الكليني في كتاب الكافي به سنده عن عبدالله بن ابراهيم بن محمد الجعفري رواية ذكر فيها انه لتسليّة خديجة بنت عمر الأشرف بسبب وفاة حفيدها ذهب الى منزلها، ونقلت له خديجة رواية عن عمها الامام الباقر عليه السلام. (راجع تفصيل الرواية: الكليني، ج ١، ص ٣٥٨).
٢ - «و محمد الاكبر انتشر له ذيل بالمدينة و اظنه انقرض». (عمرى، ص ٣٤٥)

وان عقب الأشرف استمر عن طريق ولده عمر الأصغر فقط. (ابن عنبه، المصدر نفسه)

ويستفاد من السلسلة العلوية أن علي بن عمر الأشرف يطلق عليه «الشجري» إضافة إلى «الأصغر»، وكان ابناؤه مشهورين بـ «بنو الشجري». واضاف ان «الشجرة» اسم لقرية كانت تشرف على سهل يبعد سبعة أميال عن المدينة. (البخاري، ص ٥٤-٥٥)

وان عليا كانت أمّه أمّ ولد. (البخاري، المصدر نفسه؛ العقيقي، ص ٩١؛ ابن-عنبه، ص ٣٧٢)

وفي «المسائل الناصريات» ذكر: «وأما علي بن عمر الأشرف، فإنه كان عالما، وقد روى الحديث». (السيد المرتضى، ص ٦٣)، والمجدي ذكر كذلك بأنه يعرف بـ «صاحب الحديث». (العمرى، المصدر نفسه)

وفي «عمدة الطالب» كذلك نقل انه لقب بـ «المحدّث» وصرح بأنه نقل الحديث عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. (ابن عنبه، المصدر نفسه). وذكر الشيخ الطوسي في كتاب «الرجال» انه من أصحاب الامام الصادق عليه السلام^١. (الطوسي، ص ٢٤٤)

ونقل محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ ق) في كتاب الكافي رواية بسنده عن إسحاق بن جعفر عليه السلام والذي فيه علي بن عمر يسأل الإمام الصادق عليه السلام عن الإمام من بعده والإمام يرجعه إلى ابنه موسى الكاظم عليه السلام. ٢ (الكليني، ج ١، ص ٣٠٨)

١ - «علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، المدني».

٢ - «روى محمد بن يعقوب، عن أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن يعقوب ابن جعفر الجعفري، قال: حدثني إسحاق بن جعفر، قال: كنت عند أبي يوماً فسأله علي بن عمر بن علي، فقال: ص»

وفي «معجم رجال الحديث» وبعد ذكره لعل بن عمر وتذكيره بضعف سند الرواية المذكورة مسبقاً، قال إن مضمون الرواية يتحدث عن تسليم علي بن عمر لأوامر الإمام الصادق عليه السلام وأنه شيعي إمامي. (الخوئي، ج ١٣، ص ١١٠)

ومن بين الروايات الأخرى المنقولة عن علي بن عمر في مصادر الإمامية والزيدية يمكن الإشارة إلى الحديث المشهور الوارد في «أمالى الصدوق»: «حدثنا أبوذر يحيى بن زيد بن العباس بن الوليد البزاز بالكوفة، قال: حدثنا عمي علي بن العباس قال حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثنا عبد الله بن سالم، عن حسين بن زيد، عن علي بن عمر بن علي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله أنه قال: يا فاطمة إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك». (الصدوق، ص ٢٨٠)

والرواية نفسها منقولة من قبل إمام الزيدية المرشد بالله الشجري في باب من كتاب «الأمالى الاثنيية» والذي خصصه لفضائل فاطمة سلام الله عليها، ولكن مع بعض الاختلاف، وسنده عن علي بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام. (المرشد بالله، الباب السادس). كما روتها مصادر أهل السنة عنه أيضاً (الطبراني، ج ١، ص ١٠٨، وابن عاصم، ج ٥ ص ٣٦٣).

ومن الروايات الأخرى الموجودة في مصادر الزيدية والمنقولة عن علي بن عمر ما جاء في «أمالى» أحمد بن عيسى بن زيد والذي ينقل فيه محمد بن منصور

⇒

جعلت فداك إلى من نفزع ويفزع الناس بعدك؟ فقال: إلى صاحب الثوبين الأصفرين و الغديرتين و هو الطالع عليكم من هذا الباب يفتح البابين بيده جميعاً فما لبثنا ان طلعت علينا كفان أخذتان بالبابين ففتحها ثم دخل علينا ابوابهم».

المرادي عن إبراهيم بن محمد عن حماد بن يعلى انه صلى وراء علي بن عمر وكان شاهداً على انه كان يذكر بسم الله في كلتا السورتين ويجهر بها وينقل عنه انه قال: كان أبي وجعفر عليه السلام دائماً يقرؤون بسم الله جهراً. (ابن عيسى، ج ١، ص ٢٤٤)

وفى نقل تاريخي آخر عن حماد بن يعلى انه سأل علي بن عمر عن رأي الامام جعفر الصادق عليه السلام حول محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن عليه السلام، فأجابه: عندما دعا أبو جعفر المنصور الإمام إلى الربطة، طلب مني الإمام أن اصحبه. وبعد اللقاء بالمنصور وعندما كان الإمام خارجاً اغرورقت عيناه بالدموع وسأل الله أن يرحم ولدي هند (محمد وإبراهيم) لما سيؤول إليه أمرهما، وذكرهما بخير ومدحهما. (الصفهاني، ص ١٢٣-١٢٢) ويذكر كذلك أبو الفرج الأصفهاني في خبر آخر ينقله في الفترة نفسها أن علي بن عمر والإمام الصادق عليه السلام وآخرين من العلويين احضروا جميعاً وتم تهديدهم بالموت. (الصفهاني، ص ٢٣١-٢٣٠).

٣ - الحسن الشجري بن علي بن عمر الأشرف

وهو الجدل الأول للناصر الكبير. وقد جاء في الطبعة التي نشرت عن كتاب «سلسلة العلوية» أن اسمه «علي بن الحسن بن عمر» بدل «الحسن بن علي بن عمر»، وهو خطأ يجب أن ينسب للناسخ. (البخاري، ص ٥٣) ولقد ورد أن كنية الحسن بن علي أبو محمد (العمرى، ص ٣٤٧؛ الرازي، ص ١٣٦؛ ابن طقطقي، ص ٢٧٧؛ ابن عنبه، ص ٣٧٢) وقد ذكر بأنه عرف بـ«الشجري». (الرازي، المصدر نفسه؛ المروزي، ص ٣٦)

وقد وصفه في «سلسلة العلوية» بأنه من العلماء والشعراء. (البخاري، المصدر نفسه)، وقد كتب حوله في كتاب «المسائل الناصريات»: «وأما الحسن بن علي فإنه كان سيداً مقدماً مشهور الرئاسة». (السيد المرتضى، ص ٦٣) وقد ذكر الشيخ الطوسي في كتاب «الرجال» كذلك أنه مثل أبيه يعدّ من رواة الحديث عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام. ١. (الطوسي، ص ١٧٩)، والمجدي كذلك ذكر أنه كان محدّثاً. (العمري، ص ٣٤٧) وقد كان للحسن الشجري العديد من الأخوة، وكما انه بقيت ذريته فكذلك قد بقيت ذرية اثنين من أخوته أحدهما القاسم والآخر عمر. (العقيقي، المصدر نفسه)

وقد ذكر في «تهذيب الأنساب» أخا آخر للحسن ممّن بقيت ذريته إضافة إلى القاسم وعمر واسمه محمد. (العبدلي، ص ١٨٥) واعتبر أن أبا علي أحمد الشجري من أبنائه. (العبدلي، ص ١٨٨)، هذا في حين أن ابن طباطبا (ت: ٤٤٩ هـ) يصرّح في حاشيته بأن محمد بن علي بن عمر ليس له ذرية. (المصدر نفسه، ١٨٦-١٨٥) وان «بنو الشجري» من ذرية «محمد بن عمر بن علي بن عمر الأشرف» وليس من ذرية «محمد بن علي بن عمر الأشرف». (المصدر، ص ١٨٨)

وان عبد الله وموسى من أخوة الحسن كذلك ولكن نسلهما انقطع وليس لذيها ذرية. (البخاري، ص ٥٣)، وقد ذكر المجدي في خبر مفصل انه إضافة للقاسم وعمر ومحمد وعبد الله وموسى فان هناك ثلاثة أخوة آخرين للحسن الشجري مقطوعي النسل وهم: الحسين وزيد وجعفر. (العمري، ص ٣٤٥)

١ - «الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، الهاشمي المدني». (الطوسي، ١٦٦)

وقد نقل أبو الحسن الاثناني فقال: إن موسى بن علي كانت والدته أم ولد، وقد خرج في ديار المغرب. (العمرى، المصدر نفسه) ويحكي هذا الخبر عن التاريخ الجهادي والنضالي لهذا الفرع من عائلة الناصر الكبير. وان لم تكن هناك معلومات عن هذه الثورة في أي زمان حدثت، أو في أي ظروف كانت في المغرب العربي، وما كان مصيرها، وهل كانت متزامنة مع ثورة الإدريسيين الحسينيين بقيادة إدريس بن عبد الله الحسيني المثنى (١٧٨-١٧٢ هـ) في المغرب الأقصى، أم كانت قبل ذلك؟ ولكنه من المؤكد انه ليس هناك أخبار كثيرة في المصادر التاريخية عن هذه الثورة ونتائجها والتي يمكن من خلالها معرفة فشل وإخفاق هذه الثورة.

وذكر المجدي كذلك ست أخوات للحسن الشجري والتي كان لأحدهن - من بين بقية أخواته - «كانت أوجه الأخوات ولها خطر وقدر» وكان اسمها «عليه». وكانت عليه زوجة عمر بن محمد بن عمر بن علي عليه السلام وقد أنجبت أولادًا. (العمرى، ص ٣٤٥)

وكما أشير سابقا فإن من أخوة الحسن الشجري كان لعمر والقاسم موقع خاص وذرية كثيرة.

وقد ذكر المجدي والاصيلي و«عمدة الطالب» أن عمر كان معروفا بـ«الشجري» كأخيه الحسن. (العمرى، ص ٣٤٦؛ ابن طقطقى، ص ٢٧٧؛ ابن عنبه، ص ٣٧٢)، في حين أن الشجرة المباركة والفخرى ذكرا أنه كان معروفا بـ«عمر الأوسط» (الرازي، ص ١٣٦؛ المروزي، ص ٣٦)، وان «سلسلة العلوية» هو المصدر الوحيد الذي ذكر انه كان معروفا بـ«عمر الثاني». (البخاري، ص ٥٤)

وان عمر الشجري كجده وأبيه كانت والدته أم ولد. (العقيقى، ص ٩١؛ البخاري ص ٥٣، العمرى، ص ٣٤٦)

وان عمر الشجري له ذرية مشهورة والذين يعرفون أحياناً باصطلاح اعم يشمل جميع أبناء علي بن عمر الأشرف وهو «بنو الشجري». (البخارى، المصدر نفسه)، ومن بين المعروفين منهم هو أبو علي احمد بن على بن محمد بن عمر الشجري الذي هاجر من بغداد إلى قم وقد كان نقيب السادات في قم وقد عرف ابنه أبو جعفر محمد بـ «صاحب الخال». (العبيدلى، ص ١٨٩؛ ابن عنبه، ص ٣٧٣)

وقد ذكر المجدي كذلك العديد من هذه العائلة في بغداد. (العمري، ص ٣٤٦)

ولكن يمكن اعتبار القاسم أشهر أخوة الحسن الشجري، وقد كانت والدته أم ولد. (العقيقى، ص ٩١) وكنيته أبو علي وقد كان شاعراً وكان يعيش في بغداد بصورة مخفية. وقد كان القاسم بن علي في زمان هارون الرشيد (١٩٣-١٧٠ هـ) وقد جلب من الحجاز إلى العراق وأودع السجن حيث هرب بعدها من السجن. (العمري، ص ٣٤٦؛ ابن عنبه، ص ٣٧٢) وان خبر «مقاتل الطالبين» أكثر تفصيلاً عن هذه الحادثة ويحوي أموراً جزئية كثيرة. وفي هذا الخبر أشير إلى اتفاق احمد بن عيسى بن زيد (ت: ٢٤٧ هـ) مع القاسم بن علي وكيف خطط الزيدية لتخليصهما من السجن. (الاصفهانى، ص ٤٩٤-٤٩٢)

وعلى أساس ذلك، ومع الالتفات إلى اتفاق القاسم بن علي مع حفيد زيد احمد بن عيسى - وقد كان من احد قادة الزيدية في العراق والحجاز - وكذلك مع سعي الزيدية لتخليص الاثنين، فانه يمكن معرفة الاتجاه الديني والمذهبي للقاسم، وبالاخصيص إذا علمنا بأنه والد احد قادة وأئمة الزيدية المعروفين في أوائل القرن الثالث الهجري واسمه محمد كذلك.

إنّ محمد بن القاسم بن علي كانت كنيته ابو جعفر ولأنّ ملابسه كانت من الصوف لذلك كان يدعى بـ «الصوفي». (الاصفهانى، ص ٤٦٥؛ ابن عنبه،

ص ٣٧٢)، واعتماداً على تصريح «سّر السلسلة العلوية» و «مقاتل الطالبين» فان أمّ أبي جعفر محمد الصوفي كانت تدعى صفية بنت موسى بن عمر الأشرف. (البخاري، ص ٥٥، الاصفهاني، المصدر نفسه) وهذا يعني أن القاسم بن علي قد تزوج بابنة عمه وولد لهما محمد.

وقد اعتبر محمد الصوفي هو الوحيد الذي استمرت من نسله ذرية القاسم بن علي، ولكنه في الأخير قد انقطع نسله كذلك. (ابن عنبه، المصدر نفسه) وهو نفس الشخصية المشهورة التي كانت معروفة في زمان الخليفة المعتصم العباسي والذي ثار في طالقان في خراسان وقد كان الزيدية يعتبرونه من أئمتهم. وعلى أساس ذلك ومع الالتفات إلى اتفاق القاسم بن علي مع حفيد زيد، احمد بن عيسى حيث الأخير كان احد قادة الزيدية في العراق والحجاز، وسعي الزيدية لإنقاذهما وتخليصهما من السجن، كل ذلك يمكن أن يكون شاهداً على الاتجاه المذهبي والديني للقاسم، وخصوصاً أننا نعلم أنه والد أحد قادة وأئمة الزيدية في أوائل القرن الثالث الهجري وكان اسمه محمد.

إن محمد بن القاسم بن علي كانت كنيته أبو جعفر، حيث كان يلبس، فانه كان يدعى بـ«الصوفي». (الاصفهاني، ص ٤٦٥؛ ابن عنبه، ص ٣٧٢) وطبقاً لما ذكر في «سّر السلسلة العلوية» و «مقاتل الطالبين»، فان والده أبا جعفر محمد الصوفي كان اسمها صفية بنت موسى بن عمر الأشرف. (البخاري، ص ٥٥، الاصفهاني، المصدر نفسه).

وهذا يعني أن القاسم بن علي قد تزوج ابنة عمه وولد لهما محمد. ان محمد الصوفي هو الوحيد الذي استمر منه عقب القاسم بن علي، ولكنه بعد ذلك قد انقطع نسله. (ابن عنبه، المصدر نفسه). وهو الشخص المشهور الذي ثار في طالقان خراسان في زمان خلافة المعتصم العباسي، والزيدية يعتبرونه من أئمتهم.

إمام الزيدية أبو جعفر محمد الصوفي بن قاسم بن علي بن عمر «صاحب طالقان»

لقد ثار محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف في زمان خلافة المعتصم العباسي (٢٢٧-٢١٨ هـ) في منطقة طالقان خراسان وقد كان مشهوراً بـ«صاحب طالقان» (الحسن الرأزي، ص ١٨٦)، ويعدّ أحد القادة البارزين عند الزيدية في القرن الثالث الهجري. (المسعودي، ج ٤، ص ٦١؛ المروزي، ص ٣٦؛ ابن عنبه، ص ٣٧٢)

ويصرح كذلك المنصور بالله عبد الله بن الحمزة (ت: ٦١٤ هـ) إمام الزيدية في اليمن في كتاب الشافي انه كان إمام الزيدية الجارودية. (المنصور بالله، ج ١، ص ٢٧٦)

وينقل كذلك احمد بن يحيى بن مرتضى (ت: ٨٤٠ هـ) وهو إمام آخر من أئمة الزيدية في اليمن في الجواهر والدرر عن الحاكم الجشمي (ت: ٤٩٤ هـ) انه كان من الدعاة، واذاف: لكن الصحيح انه من أئمة الزيدية. (ابن المرتضى، ص ٢٢٨)

وكما اشرنا سابقاً أن محمد بن القاسم كان على عقيدة الزيدية الجارودية وفي الوقت نفسه كان يعدّ المعتزلة من أهل العدل والتوحيد وهو في البداية بدأ عمله مع جماعة من زيدية الكوفة مثل عبّاد بن يعقوب الرواجني (ت: ٢٥٠ هـ) في الشام و منطقة الرقة، ولكن بسبب اعتقاداته الاعتزالية- والتي لم تلائم إتجاه اهل الحديث من الكوفيين- فان اغلب الزيدية من الكوفة قد تركوه وحيداً، ولم يبق معه إلا عشرة أشخاص ذهبوا معه إلى خراسان، وقاموا بالتبليغ له في مرو حتى التحق به أربعون ألف شخص.

ولكن وبعد مدة، ونتيجة لسوء تصرف بعض أتباعه مع الناس، اضطر لان يترك مرو قاصداً طالقان، وأخيراً ظهرت حركته في طالقان خراسان وخاض

حروبا ضد جيوش العباسيين، وبعد مدة التجأ إلى منطقة «نساء» ولكنه القى القبض عليه أخيراً، ونقل إلى نيشابور- عاصمة الطاهريين- ومن ثم نقل إلى بغداد عن طريق الري في نيزوز سنة ٢١٩ هـ وسجن هناك. ولكنه فرّ من السجن بعد مدة، وظل مصيره مجهولاً بعد ذلك. (اصفهانى، ص ٤٧١-٤٦٥).

وفي رواية عن ولده علي ذكر انه بعد فراره من السجن ذهب إلى واسط، وذهب باتجاه دجلة والتجأ إلى بيت والدته ابن عمه (والد الناصر الكبير) علي بن الحسن بن علي بن عمر، والتي كانت امرأة عجوزه لا تقوى على النهوض. (اصفهانى، ص ٤٧٢)

وان هذه المرأة العلوية (جدة الناصر الكبير) كانت من أحفاد محمد الحنفية واسمها «عليه» ومعروفة بـ (أم علي). (العقيقي، ص ٩٢؛ الراي، ص ١٣٦) وفي «عمدة الطالب» ذكر أن مدة ثورة محمد وقيادته لها في طالقان كانت أربعة أشهر، وأشار إلى أن المعتصم ألقاه في السجن، وبعد مدة فر من السجن، وألقى المعتصم القبض عليه مرة أخرى، وقام بشنقه في (باب الشاسية)، وكان عمر محمد حين وفاته ثلاثاً وخمسين سنة. وقد كان من أئمة وعلماء وزهاد الزيدية. (ابن عنبه، المصدر نفسه)

ومن الأمور المهمة التي أخذت مجالاً واسعاً في المصادر التاريخية بالنسبة لمحمد بن القاسم أن مجموعة كبيرة من الزيدية التابعة له كانوا يعتقدون أنه المهدي، بالإضافة إلى [اعتقادهم] بإمامته:

وذكر علي بن الحسين المسعودي (ت: ٣٤٦) - والذي كتب كتابه «مروج الذهب» في سنة ٣٣٢ للهجرة - علي بن الحسين (ت: ٣٤٦ هـ) أن جماعة كثيرة من الزيدية في الكوفة وجبال طبرستان والديلم وقرى كثيرة في خراسان كانوا يعتقدون بحياة محمد بن القاسم، وأنه هو المهدي الموعود، كما كانت تعتقد

الكيسانية ذلك في محمد بن الحنفية، وما اعتقدته الواقعة في الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. (المسعودي، ج ٤، ص ٦١)

ونقل نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣ هـ) في كتابه «الخور العين» عن أبي القاسم البلخي (ت: ٣٠٠ هـ) أن هناك من الفرقة الجارودية من يعتقد بحياة شخص يدعى محمد بن القاسم ويعتبرونه هو المهدي المنتظر. (الحميري، ص ١٥٦)

وكذلك فان إمام الزيدية المنصور بالله عبد الله بن الحمزة (ت: ٦١٤ هـ ق) نسب إلى جماعة من الزيدية أنهم كانوا يعتقدون بان محمد بن القاسم هو المهدي، وذلك مشابه لما تقوله الإمامية. (المنصور بالله، ج ١، ص ٢٧٦)

وفي تبصرة العوام كذلك يكتب عن الفرقة الزيدية قائلاً: "إن قوما يدعون بان محمد بن القاسم بن علي بن عمر هو المهدي وهو صاحب طالقان". (الحسني الرازي، ص ١٨٦).

ومن الملفت للنظر أن احمد بن عيسى في الامالي أشار إلى بعض آراء محمد بن القاسم الفقهية كذلك، ومنها حول صحة السجود على ما تصح الصلاة عليه.^١ (ابن عيسى، ج ١، ص ٤٠٦)، وهذه الفتوى مختلفة وبشكل واضح من اتجاه الشيعة الإمامية بخصوص ما يصح السجود عليه.

وذكر أبو المنذر النسابة أن الابن الآخر للقاسم بن علي هو جعفر وكنيته أبو عبد الله وهو معروف بـ«الصوفي». وأمه أم فروة بنت جعفر بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، وانه كذلك سجن في زمان خلافة

١ - «ما جاز لك ان تصلي فيه، جاز لك ان تصلي عليه».

المعتز العباسي (٢٥٥-٢٥٢ هجري قمرى) وقد هرب من السجن. (العمري، ص ٣٤٦)

والد الناصر الكبير (علي الشاعر العسكري)

كنيته أبو الحسن (السيد المرتضى، ص ٦٣) وكان معروفاً بـ «الشاعر». (المروزي، ص ٣٦؛ العمري، ص ١٣٦) ويحكى عن انه كانت لديه قريحة وذوق شعري. ولقبه الآخر المعروف به هو «العسكري». ويقال له «ابن مقعده» كذلك. (العمري، ص ٣٤٨؛ ابن طقطقى، ص ٢٧٧ و ص ٢٨٨).

وفي خبر المجدي ذكر أن عمر بن فرج انه جلبه من المدينة إلى العراق وتوفي هناك عن عمر يناهز سبع وسبعين سنة. (العمري، ص ٣٤٨) ومن خلال هذا الخبر نعرف سبب تلقيبه بالعسكري، والظاهر أن ذلك كان لوضعه المراقبة في معسكر سامراء.

وأما أمّه فهي «محمديه». (العمري، ص ٣٤٨، ابن طقطقى، ص ٢٧٨) وهذا يعني اتصال نسبه بمحمد بن الحنفية بن الإمام علي عليه السلام. لأنها أم علي عليه بنت محمد بن عون بن محمد الحنفية بن علي بن أبي طالب عليه السلام. (العقيقي، ص ٩٢؛ الرازي، ص ١٣٦؛ المروزي، ص ٣٦: وجاء في المصدر الأخير خطأ: عون بن علي، بدل عون بن محمد بن علي!)

وذكر كذلك «فأما أبو الحسن علي بن الحسين (الصحيح: الحسن) فإنه كان عالماً فاضلاً». (السيد المرتضى، ص ٦٣) وذكر انه روى الحديث عن الإمام

التاسع الإمام الجواد محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام.^١ (الطوسي، ص ٣٧٦)

وفي مصادر الحديث عند الإمامية شاهد هناك روايات متعددة عن علي بن الحسن بن علي، ولكن بسبب كونه في طبقة واحدة مع أشهر رواة الشيعة علي بن حسن بن علي الفضال، فإن معرفة أن أيهما وقع في سند الروايات يحتاج إلى تحقيق كثير (للاطلاع أكثر راجع: الخوئي، ج ١٢، ص ٣٦٦-٣٥٧)

وفي مصادر حديث الزيدية كذلك فقد نقلت روايات متعددة ومنها رواية نقلها الناصر الكبير في «كتاب البساط» عن أخيه الحسين عن علي بن جعفر عن موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عليهم السلام. ٢ (الناصر للحق، ص ٧٢). ونقل المؤيد بالله الهاروني كذلك في «شرح التجريد» رواية عن الناصر بالسند نفسه عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.^٣ (الهاروني، كتاب البيوع).

ونقل أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت: ٤٢٤ هـ) في تيسير المطالب ثلاث روايات عن أبي الحسين علي بن محمد بن أحمد بن إسماعيل البحري وهو

١ - «علي بن الحسين (صحيح: الحسن) بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام والد الناصر الحسن بن علي رضي الله عنه».

٢ - وحدثني أخي الحسين بن علي ومحمد بن منصور المرادي قالوا: حدثنا علي بن الحسن يعنيان أبي عليه السلام، عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد قال: قال رسول الله: «من أسبغ وضوءه وأحسن صلاته وآتى زكاة ماله وخزن لسانه وكف غضبه وأدى النصيحة لأهل بيت نبيه فقد استكمل حقائق الإيمان وأبواب الجنة مفتحة له».

٣ - بلغنا بالإسناد الموثوق به إلى الناصر الحسن بن علي بن الحسن عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن الحسن عن علي بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه محمد عليهم السلام جميعاً يرفعه قال: «الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة».

بدوره ينقل عن الحسين بن علي اخى الناصر الكبير وهو بدوره ينقل عن أبيه.
(الهاروني ابوطالب، ص ٣٠٢ و ص ٤٠٠ و ص ٤٧١)
إضافة إلى الروايات التي نقلها هنا بالواسطة ابنه الحسين، فإن الرواة الآخرين
عن علي العسكري هم: محمد بن منصور المرادي (الناصر للحق، المصدر نفسه؛
الهاروني المؤيد بالله، ص ١٠٢ و ص ١٠٣؛ ابن عيسى، ج ٢، ص ٧٢٣)، وابنه
الناصر الكبير و احمد بن محمد بن جعفر. (القاسمي، حرف العين من القسم
الثاني).

وأما مشايخ علي العسكري والذين نقل عنهم الحديث فهم: علي بن جعفر
الصادق (ناصر الحق، المصدر نفسه؛ الهاروني المؤيد بالله، ص ١٠٣؛ ابن عيسى،
المصدر نفسه)، أبو ضمرة انس بن عياض الليثي (الهاروني أبو طالب، ص ٣٠٢
و ص ٤٠٠ و ص ٤٧١)، إبراهيم بن رجاء الشيباني (الهاروني المؤيد بالله،
ص ١٠٢) والده الحسن بن علي و أبو هاشم المحمدي (القاسمي، المصدر نفسه)
ومن الشعر الذي ينسب الى علي الشاعر هي هذه الابيات الشعرية التي نقلها
في «أعيان الشيعة»:

إن الكرام بني النبي محمد خير البرية رائح أو غادي قوم هدى الله العباد
بجدهم والمؤثرون الضيف بالأزواد كانوا إذا نهل القنا بأكفهم سلبوا السيوف
أعالي الأغمد ولهم بجنب الطف أكرم موقف صبروا على الريب الفظيع العادي
حول الحسين مصرّعين كأنها كانت مناياهم على ميعاد
(أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١٧٨)

إن تاريخ وفاة علي العسكري يقدر في (٢٥٠ هـ ق). (القاسمي، المصدر
نفسه) وبما أنّ عمره كان سبعا وسبعين سنة، فيمكن تقدير تاريخ ولادته انه كان
في العقد السابع من القرن الثاني الهجري.

أعمام وأبناء أعمام الناصر الكبير

إن أبا الحسن العسكري كان لديه أخوان، أحدهما أبو جعفر محمد وهو مثل والده الحسن معروف بـ «الشجري»، والآخر أبو القاسم جعفر ومعروف بـ «الديباجة» وهما من أعمام الناصر الكبير. وفي بعض المصادر ذكروا أن أم هذين الأخوين هي أم علي عليه بنت محمد بن عون بن محمد حنفيه بن علي بن أبي-طالب. (العقيقي، ص ٩٢؛ الرازي، ص ١٣٦؛ المروزي، ص ٣٦)، وعليه فكلاهما يعتبران شقيقين علي العسكري.

هذا في حين أن المجدي يذكر أن أم محمد الشجري اسمها رقية بنت عيسى بن زيد، وهو الشخص الذي قام بالثورة في زمن حكومة الحسن بن زيد العلوي في طبرستان (٢٧٠-٢٥٠ هـ)، ولكنه تم اعتقاله من قبل محمد بن الطاهر (ت: ٢٥٨ هـ) وسجن في نيشابور وتوفي في السجن. (العمري، ص ٣٤٧) وهذا الخبر قد خلط بشكل واضح بين محمد بن الحسن وابن أخيه محمد بن جعفر بن الحسن، لأنه ذكر أن أم محمد بن جعفر رقية بنت عيسى بن زيد الشهيد. وهو الذي ثار مع الحسن بن زيد العلوي. وسنشير إلى ثورته لاحقاً.

وذكر العبيدلي في «تهذيب الأنساب» أن محمد الشجري لديه ولدان هما أحمد والمعروف بـ «الاعرابي» و محمد المعروف بـ «الأخرس». (العبيدلي، ص ١٨٧) وفي خبر المجدي قد تمت الإشارة كذلك إلى ابن أحمد الاعرابي واسمه محمد، وقد نقل المؤلف عن أبيه أنه قال إن محمد بن أحمد الاعرابي قد ضربت عنقه وقطع رأسه في أطراف مدينة قم من قبل عبد العزيز بن دلف (٢٦٥-٢٥٢ ق) في زمن خلافة المعتمد العباسي (٢٧٩-٢٥٦ ق)، وفي الوقت نفسه وفي خبر آخر أشار إلى أن وفاته تمت في زمن المستعين العباسي (٢٥٢-٢٤٧ ق) وفي ساحة الحرب، ولكنه صرح بأن الأول اصح. (العمري، ص ٣٤٧) وكذلك يمكن أن

تشاهد خبراً مشوشاً عن هذه الشخصية وقتله من قبل عبد العزيز «الاصيلي»،
(ص ٢٧٧)

ويحتمل ان القول بأن محمد بن أحمد الاعرابي هو الثائر في زمن المستعين، هو
ناشيء عن الخلط بينه وبين عمه محمد بن جعفر بن علي والذي سنشير الى ثورته
وحرسته في زمن المستعين العباسي.

ولذلك فإن الاحتمال الاول يمكن تقويته من خلال خبر المجدي. وما يؤيد
هذا الاحتمال ان المنصور بالله امام الزيدية في القرن السابع الهجري ذكر كذلك
ان محمد بن احمد هو الشخص الذي قتل في زمان خلافة المعتمد ومن قبل عبد
العزيز بن دلف وفي قرية «آبه» وتقع في وسط الطريق بين قم وساوه. (المنصور
بالله، ج ١، ص ٢٩٧)

وكذلك فان العلامة الزيدي المعاصر والفقيه محمد الدين المؤيدي
(ت: ١٤٢٨ هـ) في «كتاب التحف في شرح الزلف» تكلم عن شخصية محمد بن
احمد الاعرابي ومن دون أية توضيحات وقال عنه انه «إمام». (المؤيدي،
ص ٢١٦)، ويعني انه يؤيد حرسته وثورته وانه يعتبر من ائمة الزيدية.

وان المجدي أشار كذلك الى أن محمد بن احمد الاعرابي لديه ولد اسمه أبو
الحسين احمد ومعروف بـ«الطبري»، وما نقل عن أستاذه أبي الحسن محمد بن
محمد أن احمد الطبري قتل كذلك في منطقة «نهر عيسى» في بغداد. (المصدر نفسه)

إمام الزيدية، المستظهر بالله مانكديم أبو الحسن احمد

واستمراراً لهذه السلسلة يذكر في عمدة الطالب من أحفاد احمد الطبري بن
محمد بن احمد الاعرابي من اسمه (مانكديم بن محمد بن احمد الطبري).
(ابن عنه، ص ٣٧٣) وأشار الفخري كذلك إلى شخصية من هذا النسب وهو

المستظهر بالله أبو الحسن أحمد بن عالم بن أبي جعفر محمد وصرّح انه قد ثار في الديلم، وعقبه موجود في الديلم وقزوين. (المروزي، ص ٣٧).
ومع ملاحظة الخبرين الأخيرين، وعلى فرض أن الشخصية المشار إليها واحدة فنسبه يكون كالتالي :

- ١- المستظهر بالله مانكديم أبو الحسن أحمد العالم بن ٢- أبي جعفر محمد بن ٣-
أبي الحسين أحمد الطبري بن ٤- محمد المقتول بن ٥- أحمد الاعرابي بن ٦- محمد
الشجري بن ٧- حسن الشجري بن ٨- علي الأصغر بن ٩- عمر الأشرف.
- ان هذه المواصفات يمكن مطابقتها مع شخصية معروفة من السادة العلويين الزيدية في شمالي ايران وفي النصف الاول من القرن الخامس الهجري، والذي تكلمت عنه العديد من المصادر التاريخية بأنه خليفة إمام الزيدية في هذه المنطقة، ويدعى بـ أبي الحسين المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت: ٤١١ ق). وهو الشخص الذي صلى على الإمام المذكور في منطقة «لنجا» (في الناحية الجنوبية لمدينة عباس آباد في محافظة مازندران الحالية). ولديه تعليقات على كتاب القاضي عبد الجبار الاسد ابادي (ت: ٤١٥ هـ) واسمه «شرح الاصول الخمسة» وهو مطبوع وفي متناول الايدي.^١ وان هذا الكتاب يعتبر من أشهر الكتب والمصادر التي تتكلم عن آراء المعتزلة والزيدية في أوائل القرن الخامس الهجري. وان العديد من المصادر الزيدية تذكر بعض الاختلافات في نسبه، وتصفه بأنه إمام الزيدية في منطقة الديلم في زمانه. (المنصور بالله، ص ٣٢٩؛ ابن المرتضى، ص ٢٢٩؛ ابن فند، ج ٢، ص ٧٠١؛ الجنداري، ص ٢٩-٢٨؛ المؤيدي، ص ٢١٦)

١ - راجع: موسى نجاد، ٩٣.

وذكره إمام الزيدية المرشد بالله يحيى بن حسين الجرجاني الشجري (ت: ٤٩٧ هـ) في آخر سطر من رسالة كتبه في شرح احوال المؤيد بالله وبعنوان سيرة الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني واعتبره فيه انه هو المستظهر بالله مانكديم الاعرابي القزويني، حيث قال:

« إن المؤيد بالله قدس الله روحه توفي يوم عرفة سنة إحدى عشرة وأربعمائة، ودفن يوم الأضحى و صلى عليه السيد مانكديم الاعرابي القزويني الخارج بعده بلنجا الملقب بالمستظهر بالله ».

ويذكر المؤرخ والعالم الزيدي في اليمن حميد بن أحمد المحلي (ت: ٦٥٢ هـ) في «الحدائق الوردية» نسبه بشكل كامل ولكن مع بعض الاختلاف، وذلك أثناء ذكره لأصحاب وطلاب المؤيد بالله الهاروني. (المحلى، ج ٢، ص ١٣٠)

أبو القاسم جعفر الديباجة عم الناصر الكبير

وقد ذكر عم آخر لناصر الكبير واسمه أبو القاسم جعفر الديباجة. (المروزي، ص ٣٦) وخلافاً لبقية الأخبار فإنه ذكر هنا أن أمه وأمه أخوته علي العسكري ومحمد الشجري واحدة، وهي أم علي عليّة بنت محمد بن عون بن محمد الحنفية، (العقيقي، ص ٩٢؛ الرازي، ص ١٣٦؛ المروزي، ص ٣٦)

وذكر المجدي أن أم جعفر الديباجة محمدية وهي من نسل محمد ذي النفس الزكية بن عبد الله بن الحسن وذكر أن الطاهر بن محمد ذي النفس الزكية هو خاله! (الرازي، ص ٣٤٧)

وذكر أن جعفر الديباجة «ولّى إمارة المدينة أيام المأمون» (١٩٨ - ٢١٨ ق). (العبيدلي، ص ١٨٨؛ العمري، ص ١٣٦).

هذا في حين أن المجدي ذكر أنه كان متولياً علي الصدقات فقط. (العمري، ص ٣٤٧)، وذكر أن زوجته هي رقية حفيدة زيد الشهيد، أخت أحمد بن عيسى

بن زيد (ت: ٢٤٧ ق). والذي هو احد أئمة الزيدية في النصف الأول من القرن الثالث الهجري. (الاصفهاني، ص ٤٩٠)

ولجعفر الديباجة ولدان وهما أبو جعفر محمد وعلي. (العبيدي، ص ١٨٨)
وان ابا جعفر محمد بن جعفر بن الحسن الشجرى هو الذي ذكره محمد بن جرير الطبرى (ت: ٣١٠ هـ) فى كتاب (تاريخ الامم و الملوك) فى ذكر حوادث سنة ٢٥٠ للهجرة. كان يمثل الحسن بن زيد بعد فتح الري، وبسبب عدم رضى الناس صار موقفه ضعيفا في الحرب التي وقعت خارج الري ضد محمد بن ميكال قائد جيش محمد بن الطاهر (ت: ٢٥٩ هـ)، وقد انهزم في الحرب وتم أسره. (الطبرى، ج ٧، ص ٤٣٣-٤٣٢)

وعلى بن الحسين المسعودى (ت: ٣٤٦ هـ) اعتبره هو الذي قام بالثورة في مدينة الري سنة ٢٥٠ للهجرة، وفي الوقت الذي ثار فيه الحسن بن زيد في طبرستان، حيث دعا الناس إلى الاعتراف بامامة الحسن بن زيد.

وفى «مقاتل الطالبين» كذلك اعتبر أن محمد بن جعفر بن الحسن بن (على بن) عمر هو الذي ثار فى الري لنصرة الحسن بن زيد، وقد أُلقي القبض عليه وسجن من قبل عبد الله بن الطاهر، وبقي إلى آخر عمره في نيشابور. وفى «مقاتل الطالبين» صرّح أنّ أمّ محمد بن جعفر هي رقية بنت عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. (الاصفهاني، ص ٤٩٠)

وان العباسيين قاتلوه فى حروب عديدة في مدينة الري و أخيراً أسروه وأرسلوه إلى محمد بن عبد الله بن الطاهر فى نيشابور فإلقاه فى السجن وتوفى فى ذلك السجن. (المسعودى، ج ٤ ، ص ١٦٦)

وفى «لباب الانساب» ذكر تاريخ وفاته والمكان الدقيق لدفنه، وذكر أنّ محمد بن جعفر بن الحسن الشجرى توفى فى شوال عام ٢٥٧ للهجرة وفي اواخر

عصر- الطاهريين، ودفن في مقبرة «الامراء» فى نيشابور. (البيهقى، ج ١، ص ٤٢٥)

وقبل ذلك فإننا اشرنا إلى بعض التطبيقات الخاطئة والخلط الذي ليس في محله بين محمد بن جعفر بن الحسن الشجرى وبقية العلويين من هذه العائلة. ومنها الخبران اللذان أوردهما المجدي حول محمد بن الحسن الشجرى و محمد بن احمد بن محمد بن الحسن الشجرى.

ومن بين ولدي جعفر الديباجة فان علي بن جعفر هو الذي بقي نسله، ولكن في «تهذيب الأنساب» ذكر لأبي جعفر محمد ولدين وهما احمد وحسن المعروف بـ «ابن ميمونة». ولا بن ميمونة ولد اسمه ابو جعفر محمد وهو معروف بـ «الفارس» وكان صهراً لناصر الكبير وتزوج ابنته وكان له منها عدة أولاد. ومنهم: أبو الحسن أو أبو يعلى الحمزة، أبو القاسم احمد، أبو زيد علي و أبو عبد الله جعفر. (العبيدي، ص ١٨٨) وفي المصادر التاريخية ورد كذلك اسم لابن آخر لأبي جعفر محمد بن جعفر الديباجة وهو جعفر، وكان من العلويين الثائرين، وكنية أبيه «ابو جعفر» محمد كانت باعتبار جعفر ابنه.

وفى «مقاتل الطالبين» و«الشافى» اعتبر أن جعفر بن أبي جعفر محمد بن جعفر الديباجة هو الشخص الذي قتل في زمان خلافة المعتز العباسي (٢٥٥- ٢٥٤ هـ) في الري وفي الحرب التى نشبت بين احمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين (ع) وعامل محمد بن الطاهر واسمه عبدالله بن عزيز. (الاصفهانى، ص ٥٢٥؛ ابن حمزة، ج ١، ص ٢٩٥)

ويذكر الاصيلي كذلك شخصيتين أخريين من نسل جعفر الديباجة، احدهما كان نقيب السادة في البصرة والأخر اسمه احمد ذو الرفعتين بن أبي حرب محمد بن احمد وحفيده أبو السعادات بن أبي الفخار الذي مات بالسم في طبرستان. (ابن طقطقي، ص ٢٧٧)

اخوة الناصر الكبير

ان من اخوة الناصر الكبير جعفر المعروف بـ «الصوفي» و «المقتول» ولم يستمر نسله من بعده. (البخاري، ص ٥٣)، وذكر العلوي العمري انه قتل عند بوابة نيشابور في حرب وقعت في زمن حكومة محمد بن زيد (٢٨٧ - ٢٧٠ هـ). (العمري، ص ٣٤٩)، وذكر في «مقاتل الطالبين» ان جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن عمر قد قتل عند بوابة نيشابور في حرب نشبت بين أهل نيشابور ومحمد بن زيد. (الاصفهاني، ص ٥٥٨-٥٥٧) وله اليوم مزار في مدينة دامغان معروف بـ (امامزاده جعفر) وقد كتبت على صخرة القبر هذه الجُمْل: «هذا قبر الإمام الهمام المقتول المقبول قرة عين الرسول جعفر بن علي بن الحسين (الصحيح: الحسن) بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب سلام الله عليه». (حاشية المجدي، ص ٣٤٩ من: مطلع الشمس، ج ٢، ص ٢٧٣)، وإضافة إلى المصادر التي ذكرناها والتي أشارت إلى معركة جعفر بن علي في نيشابور، فان البيهقي في «لباب الأنساب» صرح بان جعفر الصوفي - اخا الناصر الكبير - قتل في نيشابور ودفن في مقبرة «معمّر». (البيهقي، ج ١، ص ٤٢٢)

ومن أخوة الناصر كذلك محمد وكان يعيش في الحجاز، وهو كأخيه جعفر لم يستمر نسله من بعده، وذكر أن له بتناً فقط اسمها فاطمة. (العمري، ص ٣٤٨)، وإضافة إلى جعفر ومحمد، فان للناصر الكبير اخوين آخرين وقد استمر نسلهما، وما يثير العجب أن أبا نصر البخاري لم يُشر - لهما! - أحدهما أبو الحسين احمد والمشهور بـ «الاعرابي» و «الصوفي». (العبيدي، ص ١٨٦ و ص ١٨٧؛ المروزي، ص ٣٦)

وذكر المجدي أن كنية احمد هي أبو علي وانه معروف بـ «الصوفي»، «الفاضل» و «المصري»، وكان يعيش في قم. (العمري، ص ٣٤٨)

ومن بين أبناء احمد الصوفي ذكر أبو طاهر محمد والمشهور بـ «الموسوس». (العبيدي، ص ١٨٧)، والآخر أبو عبد الله الحسين وكان يلقب بـ «المصري»، «المحدث»، «الزیدی» و «الشاعر». (العمری، ص ٣٤٨؛ العبيدي، ص ١٨٧؛ المروزي، ص ٣٧)

وقد نقل عنه من أشعاره بيتان من الشعر:

الحمد لله لم تقعد بنا حال من أن ننال من الأعداء ما نالوا
لكنها قعدت عن أن تقوم بنا إلى المهمات أحوال و آمال

ومن المسلم أن أبا عبد الله الحسين إضافة إلى كونه شاعراً، فإنه كان محدثاً معروفاً كذلك، كما اشرنا سابقاً أن الناصر الكبير بواسطته ينقل الرواية عن أبيه علي بن الحسين. (الناصر للحق، ص ٧٢، الهاروني المؤيد بالله، كتاب البيوع) وكذلك نقل المؤيد بالله الهاروني في «شرح التجريد» رواية سندها متصل بالامام علي عليه السلام، وفي عدة موارد ينقلها عن ابوالعباس عن محمد بن الحسين المصري ينقلها عن ابيه الحسين عن زيد بن الحسن بن زيد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام. (الهاروني المؤيد بالله، باب صفة الصلاة؛ كتاب البيوع؛ كتاب الطلاق؛ باب الحلف بالطلاق؛ كتاب النفقات)

وينقل أبو طالب الهاروني في «تيسير المطالب» ستاً وعشرين رواية كذلك عن الحسين المحدث، ويذكر أن الناصر الكبير روى الحديث عنه في أربعة موارد، وفي بقية الموارد فإنه ينقل عنه بواسطة أبو الحسين علي بن محمد بن احمد بحري. وقد نقل الرواية عن الحسين البحري في أربعة عشر - مودداً في سنة ٣٠٢ للهجرة، واعتبرها سنة تحمل الرواية عن الحسين، نقل عنه اثني عشر - مودداً في مصر. - واحتمل أن إقامته هذه بمصر والتي لم تعرف مدتها، كانت هي السبب في تلقيه بالمصري.

وطبقاً لنقل أبو الغنائم الحسين عن ابن خداع النسابة، فإن الحسين المحدث المصري توفي في سنة ٣١٢ للهجرة. (العمری، ص ٣٤٨) وان شيوخ الحسين

المحدث في هذه الروايات هم : والده على بن الحسن، واحمد بن يحيى الكوفي، ومحمد بن الوليد بن القاسم، والحسين بن الحكم الوشاء، وعيسى بن مهران البغدادي و ابواسحاق بن داود.

وقد ذكر المجدي ثمانية أبناء للحسين المحدث (أبناء أخى الناصر الكبير) هم: أبو جعفر محمد، وأبو الطيب على المشهور بالأحذب، وأبو القاسم عبد الله المشهور بالفقيه، وأبو احمد إبراهيم المشهور بـ«الصوفى» و «الفقيه زيدي»، (أبو الحسين: ابن طقطقي، ص ٢٧٨) وعبد الله، وأبو الحسن احمد (بدل أبو الحسن احمد، الحسين! : ابن طقطقي، المصدر نفسه)، وأبو طالب زيد وإسماعيل. (العمرى، المصدر نفسه)

وكما ترى فانه من بين أبناء الحسين المحدث ذكر اسم إبراهيم كذلك، ولقب بالزيدي كوالده. وكذلك فان أحد أحفاده اسمه أبو على محمد بن عبد الله بن الحسين وعرف بالفقيه والزاهد و المتكلم الزيدي، وله تأليفات كذلك. (العبيدي، ص ١٨٧)

ومن بين أبناء الحسين المحدث يمكن ذكر أبو جعفر محمد وهو أشهر من الآخرين. وذكر الاصيلي انه كان شاعرا وانه كان مقيماً في طبرستان. (ابن - طقطقي، ص ٢٧٨)، وقد ذكرنا سابقاً روايات عديدة نقلها ابو العباس الحسيني (ت: ٣٥٣ ق) وهو مشهور عند الزيدية في طبرستان وبواسطته نقل عن أبيه الحسين المحدث.

وان أبا جعفر محمداً كان لديه العديد من الأولاد وان من أشهرهم أبا الفضل جعفر الملقب بـ«الثائر فى الله». وهو شخصية معروفة وكان إمام الزيدية في شمالي إيران في النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

إمام الزيدية أبو الفضل جعفر بن محمد الثائر فى الله

الثائر فى الله أبو الفضل جعفر بن محمد كان معروفاً بـ «السيد الأبيض» (المروزي، ص ٣٧؛ العمري، ١٣٦)، وقد بدأ ثورته فى سنة ٣٢٠ هجرى قمري فى طبرستان والديلم (الصايبى، ص ٣٨). وكان يعد من أئمة الزيدية. (المروزي، المصدر نفسه؛ ابن مرتضى، ص ٢٢٩)

وقد استقر فى نواحي شرقي جيلان لإعادة حكم العلويين فى طبرستان، وقد قاد الجيوش عدة مرات من جيلان إلى طبرستان، وفى سنة ٣٣٧ هجرى قمري استطاع السيطرة على طبرستان كذلك لمدة مؤقتة. (الصايبى، ص ٣٩)، وفى آخر المطاف، فإنه قد توفى فى سنة ٣٥٠ هجرى قمري فى شرقي منطقة «هوسم» (المصدر نفسه، ص ٤٠-٣٩)، ودفن فى قرية «ميانده». (المرعشى، ص ١٥٥)

وقد تسلّم عدة أشخاص من اعتابه قيادة وإمامة الزيدية فى شمالي إيران. ومنهم ثلاثة من أبنائه أبو الحسين المهدي الملقب بـ «القائم بالحق» وأبو القاسم الحسين الملقب بـ «الثائر فى الله» وأبو محمد الحسن المعروف بـ «أميركا». (الصايبى، ص ٤٠)، وحفيده أبو الحسن علي بن أبو القاسم الحسين الملقب بـ «الداعى»، والذي كان إماماً للزيدية فى شمالي إيران فى العقد السابع من القرن الرابع الهجرى القمري. (المصدر نفسه، ص ٤٣)

ان كل ما ذكرناه كان مختصراً حول نسب الناصر الكبير، ومن الواضح أن دراسة أولاد الناصر الكبير وتحديد نسبهم يتطلب مجالاً آخر من البحث والتحقيق، كما هو الأمر بالنسبة لشخصيته، والذي نأمل أن تأخذ حقها من البحث والتحقيق فى مقالات مستقلة.

خلاصة البحث

- ١- إن أجداد و والد الناصر الكبير كانوا مقربين جداً من أئمة الامامية المعاصرين لهم، وكانوا ينهلون من علومهم وينقلون الأحاديث عنهم، بحيث أنّ أربع شخصيات واقعة في سلسلة نسب الناصر الكبير إلى الإمام السجاد عليه السلام كانوا معروفين بأنهم من رواة الحديث عن أئمة الامامية.
- ٢- وقد ورد المديح في حق أجداد ووالد الناصر الكبير في مصادر حديث الامامية، ولم يرد فيهم أي قدح أو ذم. ومن بين علماء الشيعة الذين مدحهم يمكن الإشارة إلى الشيخ المفيد والسيد المرتضى والسيد الخوئي.
- ٣- ورد المدح أكثر لعمر الأشرف من بين أجداد الناصر الكبير وهو (الجد الثالث لناصر الكبير)، ومنها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام حيث وصفه الإمام بأنه عينه. ومدحه كذلك علماء الشيعة كثيراً ومنهم الشيخ المفيد والسيد المرتضى. وقد روى أحاديث كثيرة عن أبيه الإمام السجاد عليه السلام وذكر الحوادث الواقعة في عصره، وكذلك في عصر- الإمام الباقر والصادق عليهما السلام، وكان متولياً على الأمور الخيرية وصدقات الإمام علي عليه السلام، وأدارها بيدين مبسوطتين.
- ومن خصائصه الأخرى انه كان بعيداً عن الاتجاهات الافراطية والمغالاة. وأما من الناحية السياسية فانه كان شخصاً واعياً وذكياً، وعلى الرغم من مدحه لأخيه زيد، إلا انه لم يشارك في حركته وثورته، وكان له موقف حكيم في مرحلة انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين، وهو موافق لموقف الإمام الصادق عليه السلام، وقد أغلق بذلك الباب على المستغلين والطامعين.
- وأما بالنسبة لآرائه الفقهية، فانه من الواضح انه كان على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وينعكس ذلك من خلال ما يطرحه من مسائل فقهية مثل جواز الجمع بين الصلاتين، والجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

٤- ان علي بن عمر الأشرف (الجد الثاني لناصر الكبير) كان كذلك من رواية الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، وقد روى العديد من الروايات والتي منها ما يخص مقام فاطمة عليها السلام، والجهر بالبسملة في القراءة في الصلوات الخمس، وهي تبين بوضوح اتجاهه الشيعي.

واضافة لذلك، فان صحبته للإمام الصادق عليه السلام في السنوات الأخيرة لإمامته، وفي ظروف حساسة وعصيبة مثل زمان إحضار الإمام من قبل المنصور الدوانيقي، وكذلك فانه لم يرد أي خبر بالنسبة لمشاركته في ثورة محمد بن عبد الله ذي النفس الزكية، ونقله لرواية بخصوص الوصية لموسى بن جعفر عليه السلام، كل ذلك يدل على اقترابه من الرؤية الإمامية. وان كان أبنائه يميلون أكثر لحركة الثورة والنضال.

٥- ان الحسن بن علي بن عمر الأشرف (الجد الأول لناصر الكبير) هو كذلك - كأبيه وجده- من رواية الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ويعد من أصحابه، وقد مدحه السيد المرتضى. ولم يرد خبر يدل على انتمائه إلى المذهب الزيدي، ولكن اخويه موسى بن علي و القاسم بن علي وبعض احفاده توجد أخبار تدل على ميلهم للزيدية والاتجاه الثوري.

٦- كان محمد بن القاسم بن علي (ابن عم والد الناصر الكبير) إماما للزيدية الجارودية، وفي الوقت نفسه كان لديه ميل للفكر المعتزلي الذي كان منتشرًا في أوائل القرن الثالث الهجري القمري. وهو كان يقود حركة ونهضة ضد الحكم الزيدي وإمام الزيدية في زمانه، وبعد وفاته اعتقد بعض الزيدية انه المهدي المنتظر واعتقدوا بوجوب انتظاره. وقد نقلت عن محمد بن القاسم- الذي كان شخصية صوفية- آراء قريبة من آراء أهل السنة كذلك.

٧- يعد والد الناصر الكبير علي بن الحسين بن علي بن عمر الأشرف من رواية الحديث عن الامام الجواد عليه السلام، وقد مدحه السيد المرتضى كذلك. وقد

قضى أكثر عمره في زمان الإمام الهادي عليه السلام، وكالإمام عليه السلام فإنه قد تم إحضاره من المدينة إلى العراق وبقي تحت نظر السلطات في سامراء. وإلى جانب هذه الأخبار فإن هناك روايات عديدة ينقلها عن الإمام الصادق عليه السلام بواسطتين وهما علي بن جعفر عليه السلام موسى بن جعفر عليه السلام.

وفى نفس الوقت فإن ابنائه وأخوته وأبناء أخوته كانوا يميلون إلى الزيدية وحركتهم الثورية. كما أن الرواة المشهورين من الزيدية مثل محمد بن منصور المرادي الكوفي قد نقلوا عنه روايات كثيرة.

٨- أن في عقب محمد بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف (عم الناصر الكبير) العديد من الثوار وأئمة الزيدية. وقد ذكر منهم حفيده محمد بن أحمد بن محمد الذي استشهد في منطقة آبه وابنه أحمد بن محمد الذي قتل في بغداد، والأشهر من بين أحفاده هو المستظهر بالله مانكديم والذي كان إمام الزيدية في شمالي إيران في أوائل القرن الخامس الهجري القمري

٩- وهناك من كان من قادة الثورة عند الزيدية من نسل جعفر بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف (وهو عم آخر للناصر الكبير) وقد ذكر أحياناً أنه كان والياً للمدينة في زمان المأمون.

ومن ابنائه محمد بن جعفر الذي كان متعاوناً مع الحسن بن زيد العلوي - قائد حكومة العلويين الزيدية في مدينة الري - وحارب ضد العباسيين والطاهريين ولكنه في آخر المطاف قد زجّ في السجن واستشهد هناك.

وكذلك فقد قتل ابنه جعفر بن محمد في معركة أخرى ضد الطاهريين في الري. وأن محمد بن الحسن حفيد محمد بن جعفر كان زوج ابنة الناصر الكبير.

١٠- أن أبا الحسين أحمد بن علي المعروف بالصوفي هو من بين أبناء علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف (أخوة الناصر الكبير) الذي كان يعيش في قم

(مركز التشيع والامامية). ولكن أخاه الآخر جعفر بن علي - والذي كان هو كذلك معروفاً بالصوفي - فقد كان ثائراً وقد قتل في معركة في نيشابور وفي زمان ثاني حاكم زيدي في حكومة العلويين في طبرستان محمد بن زيد العلوي.

ان الاخ الثالث والاكثر شهرة ابو عبد الله الحسين المصري كان راوياً للحديث وكان مشهوراً بالمحدث كذلك، وفي الوقت نفسه فانه قد ذكر كذلك بانه زيدي المذهب. وهو قد نقل روايات كثيرة ومنها ما نقله عن والده، وكذلك فقد نقلت عنه الرواة ومصادر الحديث الزيدية. ومن بين أبناء الحسين المحدث (أبناء أعمام الناصر الكبير) ذكر أبو احمد إبراهيم وكان فقيهاً زيدياً.

وان من ابنائه الآخرين هو محمد وكان راوياً للحديث كذلك، وان رواية الحديث نقلوا الحديث عن والده الحسين المحدث بواسطته، ولمحمد هذا ولد يعتبر اماماً معروفاً من ائمة الزيدية في القرن الرابع الهجري القمري في شمالي ايران واسمه ابو الفضل جعفر بن محمد الملقب بالثائر في الله والمعروف بالسيد الابيض. وقد جاء من عقبه العديد ممن كانوا من ائمة وقادة الزيدية في العصور اللاحقة في شمالي ايران .

المصادر :

- ١- ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٥ق/ ١٩٦٥م.
- ٢- ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست، مؤسسة الفرقان، لندن، ١٤٣٠ق/ ٢٠٠٩م.
- ٣- ابن الاثير، على بن محمد، الكامل فى التاريخ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨ق/ ١٩٨٩م.
- ٤- ابن داود الحلي، الحسن بن على، رجال ابن داود، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٩٣ق/ ١٩٧٢م.
- ٥- ابن طقطقي، محمد بن على، الاصيلي فى انساب الطالبين، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤١٨ق/ ١٣٧٦ش.
- ٦- ابن عنبه، احمد بن على، عمدة الطالب فى انساب آل ابي طالب، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤٢٥ق/ ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٤م.
- ٧- ابن عيسى، احمد، امالى احمد بن عيسى (راب الصدع)، دار النفائس، بيروت، ١٤١٠ق/ ١٩٩٠م.
- ٨- ابن مرتضى، احمد بن يحيى، الجواهر و الدرر فى سيرة سيد البشر و عترته الزهر، مقدمه البحر الزخار، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٣٦٦ق/ ١٩٤٧م.
- ٩- الاردبيلي، محمد بن على، جامع الرواة و رافع الاشتباهات، بلا مكان، بلا تاريخ.
- ١٠- الاصفهاني، ابو الفرج على بن حسين، مقاتل الطالبين، تحقيق السيّد احمد صقر، الشريف الرضي، قم، ١٤١٦ق.
- ١١- الامين، السيّد محسن، اعيان الشيعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٣ق/ ١٩٨٣م.
- ١٢- البخاري، ابو نصر- سهل بن عبدالله، سرّ السلسلة العلوية، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣ق/ ١٣٧١ش.

- ١٣- البيهقي، ظهير الدين ابن فندق على بن زيد، لباب الانساب واللقاب والاعقاب، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤١٠ق.
- ١٤- الجنداري، احمد بن عبدالله، رحيق الانهار فى شرح رجال الازهار، (فى المجلد الاول من شرح الازهار)، مكتبة التراث الاسلامي، صعدة، ١٤٢٤ق/ ٢٠٠٣م.
- ١٥- الحسنى الرازى، السيّد المرتضى بن الداعي، تبصرة العوام فى معرفة مقالات الانام، اساطير، تهران، ١٣٨٣ش.
- ١٦- الحلي، الحسن بن يوسف، خلاصة الاقوال فى معرفة الرجال، مؤسسة نشر الفقاهة، بلا مكان، ١٤١٦ق.
- ١٧- الحميري، نشوان بن سعيد، الحورالعين، طهران، ١٩٧٢م.
- ١٨- الخوئي، السيّد ابوالقاسم، معجم رجال الحديث، بلا مكان، ١٤١٣ق/ ١٩٩٢م.
- ١٩- العمري، محمد بن عمر، الشجرة المباركة فى انساب الطالبيه، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤١٩ق/ ١٣٧٧ش.
- ٢٠- السبحاني، جعفر، بحوث فى الملل و النحل، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين، قم.
- ٢١- السيّد المرتضى، علم الهدى على بن حسين، مسائل الناصريات، المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الاسلاميه، طهران، ١٤١٧ق/ ١٩٩٧م.
- ٢٢- الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، الملل و النحل، دار المعرفة بيروت، ١٤١٤ق/ ١٩٩٣م.
- ٢٣- الصابي، ابراهيم بن هلال، التاجي فى أخبار الدولة الديلمية (المنتزع من الجزء الأول، بواسطة: مادلونغ، ويلفرد: أخبار أئمة الزيدية فى طبرستان و ديلمان و جيلان)، المعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٢٤- الصدوق، ابوجعفر محمد بن علي، الامالي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٣٠ق/ ٢٠٠٩م.
- ٢٥- الخصال، مؤسسة النشر التابعة لجامعة المدرسين، قم، بى تا.

- ٢٦- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الامم و الملوك، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤٠٣ق. ١٩٨٣م.
- ٢٧- الطوسي، محمد بن الحسن، الرجال، مؤسسة النشر- التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٥ق.
- ٢٨- العبيدلي، شيخ الشرف محمد بن محمد، تهذيب الانساب ونهاية الاعقاب، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤١٣ق.
- ٢٩- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ق/ ١٩٩٢م.
- ٣٠- العقيقي، يحيى بن حسن، المعقبيين من ولد الامام اميرالمومنين، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش.
- ٣١- العلوي الحسني، ابو عبدالله محمد بن علي، الجامع الكافي، نسخة المكتبة الشاملة.
- ٣٢- العمري، علي بن محمد، المجدي في انساب الطالبين، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤٢٢ق/ ١٣٨٠ش.
- ٣٣- القاسمي، عبدالله بن الحسن، الجداول الصغرى مختصر الطبقات الكبرى، نسخة المكتبة الشاملة.
- ٣٤- كريمان، حسين، سيره و قيام زيد بن علي، علمي و فرهنگي (سيرة وثورة زيد بن علي العلمية والثقافية)، طهران، ١٣٨٢ش.
- ٣٥- الكشي، محمد بن عمر، اختيار معرفة الرجال، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤٢٧ق.
- ٣٦- الكليني، محمد بن يعقوب، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش.
- ٣٧- كياجيلاني، احمد بن محمد، سراج الانساب، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤٢٨ق/ ١٣٨٥ش/ ٢٠٠٧م.

- ٣٨ - المجلسي، محمدباقر، بحار الانوار، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣ق/ ١٩٨٣م.
- ٣٩- المحلى، حميد بن احمد، الحقائق الوردية فى مناقب ائمة الزيدية، مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي، صنعاء، ١٤٢٣ق/ ٢٠٠٢م.
- ٤٠- المرشد بالله، يحيى بن الحسين، الامالى الاثنية، نسخه المكتبة الشاملة.
- ٤١- الامالى الخمسية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ق/ ١٩٨٣م
- ٤٢- المرعشي، ظهير الدين، تاريخ طبرستان ورويان و مازندران، مطبوعات الشرقي، طهران، ١٣٤٥ش.
- ٤٣- المروزي، اسماعيل بن الحسين، الفخري فى انساب الطالبين، مكتبة آية الله المرعشي- النجفي، قم، ١٤٠٩ق.
- ٤٤- المسعودي، على بن الحسين، مروج الذهب، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٥ق/ ٢٠٠٥م.
- ٤٥- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد، دار المفيد، بيروت، ١٤١٤ق.
- ٤٦- المنصور بالله، عبدالله بن الحمزة، الشافي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٤٠٦ق/ ١٩٨٦م.
- ٤٧- المؤيدي، مجد الدين بن محمد، التحف شرح الزلف، مكتبة مركز بدر العلمي و الثقافي، صنعاء، ١٤١٧ق/ ١٩٩٧م.
- ٤٨- الناصر للحق، حسن بن على اطروش، البساط، مكتبة التراث الاسلامي، صعدة، ١٤١٨ق/ ٢٩٩٧م.
- ٤٩- النجاشي، ابو العباس احمد بن علي بن احمد، فهرست اسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي)، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين، قم، ١٤١٨ق.
- ٥٠- الهاروني ابوطالب، يحيى بن حسين، الافادة فى تاريخ الائمة السادة، مركز اهل البيت للدراسات الاسلامية، صعدة، ١٤٢٢ق/ ٢٠٠١م.

٥١- تيسير المطالب فى امالى ابي طالب، مؤسسة الامام زيد بن على الثقافية، عمّان، ١٤٢٢ق/ ٢٠٠٢م.

٥٢- لهاروني المؤيد بالله، احمد بن الحسين، شرح التجريد، نسخة المكتبة الشاملة.

٥٣- الامالى الصغرى، دار التراث الاسلامي، صعدة، ١٤٢٣ق/ ٢٠٠٢م.

الاتجاهات السياسية والدينية لناصر الحق الزعيم البارز للعلويين في طبرستان وأثار تلك الاتجاهات ونتائجها

الدكتور مصطفى مجد

عضو في الهيئة التعليمية في الجامعة الإسلامية الحرة، فرع بندرعباس

المقدمة

العلويون في طبرستان لهم أهمية متميزة في تاريخ إيران؛ وذلك لأنهم استطاعوا تأسيس أول حركة اجتماعية قوامها الناس المحليين من بعد مجيء الاسلام إلى إيران بهدف تغيير الواقع الذي كان قائماً يومذاك وتأسيس أول حكومة شيعية في شمالي إيران وذلك في عام (٢٥٠). ولم يكن ذلك نهاية عملهم طبعاً؛ وذلك لأن المؤرخين وأصحاب النظر كثيراً ما يشيرون ويؤكدون على أهمية وتأثير ومعطيات هذا الدور في تأسيس الحركات والنهضات والحكومات التي كانت ذات طابع شيعي في تاريخ إيران. وانطلاقاً من ذلك يمكن إعطاء أهمية خاصة لهذه المرحلة من تاريخ التشيع في إيران من زاوية الدراسات السياسية والاعتقادية. وفي هذا المضمار يبدو دور الناصر للحق (الأطروش) أبرز من ادوار سائر القادة العلويين؛ ويعود سبب ذلك حسبما تفيد به المصادر الأساسية والفرعية واستناداً إلى آراء المؤرخين والباحثين وذوي النظر المعاصرين إلى أن الدور البارز لناصر الحق (الأطروش) كان دوراً بارزاً ولا يمكن إنكاره

بالمقارنة مع القادة العلويين الآخرين في بلاد طبرستان. فبالإضافة إلى ما كان له من جهود لاقامة حكومة العلويين في طبرستان ونشر الاسلام والتشيع في شمالي ايران، يمكن الاشارة إلى دوره في ما يلي: أولاً أنه اعاد حكم العلويين في طبرستان بعد عهد من الركود استمر اربع عشرة سنة (٢٨٧ - ٣٠١ هـ). ثانياً: انه خلف وراءه نمطاً مميزاً من القيادة التي مارسها اثناء مدة حكمه القصيرة (٣٠١ - ٣٠٤ هـ). كما انه استطاع من خلال توظيفه للامكانيات المتوفرة محلياً واتخاذ مواقف عقائدية وسياسية صائبة، أن يفتح أبواباً تتعدى ظروف الزمان والمكان أمام أهالي تلك البلاد، وهو ما ظهرت آثاره ومعطياته في الادوار اللاحقة، ومنها عصر البويهيين والمرعشيين.

نبذة عن مصادر هذا البحث

إنَّ التعرّف على مصادر هذه الحقبة، يحظى بميزة خاصّة وذلك بسبب تعدد أوجه حركة العلويين ونهضتهم في بلاد طبرستان؛ ويمكن ارجاع سبب ذلك إلى أن العلويين بما كان لهم من مبادئ اعتقادية سياسية شيعية، وارساء حكم قائم على تلك المبادئ في واحدة من اكثر مناطق الخلافة العباسية أهمية، وفي موطن يبعد فراسخ كثيرة عن وطنهم الأصلي، مما جعلهم يتبوأون مكانة متميّزة في تاريخ الاسلام بل وحتى في تاريخ ايران وخاصة في ظل ما كان في تلك الربوع وتلك البلاد من مواقف وتحركات، وهو انعكس بكل جلاء في جميع المصادر الأصلية لهذا الدور، بل وحتى في مصادر ومدونات الادوار التي لحقت. وهذا ما نشير إلى نماذج منه في هذه المقدمة.

تاريخ طبرستان: تأليف ابن اسفنديار الآملي، وهو الكتاب الذي يمكن أن نطلق عليه تسمية أم الكتاب التواريخ المحلية لبلاد طبرستان، ومازندران، ورويان (ابن اسفنديار، الكاتب الآملي، ١٣٣٦)، بما ضمّ بين دفتيه «نامه تنسر»،

وهو كتاب رجل الدين البارز في العصر- الساساني، ومعلومات أخرى حول كيفية ارساء الاسس الفكرية للساسانيين في بلاد طبرستان. فهذا الكتاب أصبح محوراً أساسياً وغدا بمثابة حلقة الوصل بين المصادر التي سبقتة والمصادر التي جاءت من بعده. ورغم أن ابن اسفنديار كان قد كتب تاريخ طبرستان استناداً إلى بعض القصص ذات الطابع الاسطوري وكان هدفه من وراء ذلك تسليط الضوء على جوانب غامضة من تاريخ تلك المنطقة قبل وبعد الاسلام، ولكن بما أن تاريخه من سنخ التواريخ التركيبية؛ أي انه يتألف من عدد من المرويّات المستخرجة من التواريخ العامة والمرويّات المحلية مثل «باوند نامه»، ولكن يبدو أنه قد استوعب جيداً الترابط بين الادوار التي سبقت الاسلام، والادوار التي جاءت من بعده، وبما يفوق التواريخ المحلية والاقليمية. ويمكن في اطار مقياس يسترعي الاهتمام، ملاحظة عمل آخر مشابه لهذا الكتاب في القرون اللاحقة له، كتبه أحد أبناء جلدته ويحمل عنواناً مشابهاً، ألا وهو اردشير برزگر (برزگر، ١٣٨٠).

تاريخ طبرستان: قام مؤلف هذا الكتاب واسمه برزگر عن طريق اعتماد مصادر اصلية وفرعية اضافة إلى التاريخ المنقول شفويّاً، ناهيك عن استنباطاته الشخصية، قام بتأليف هذا الكتاب حول تاريخ طبرستان يتكوّن من ثلاثة مجلّدات. ورغم طول المدة الزمنية الطويلة بينه وبين ابن اسفنديار، إلا أنه دأب في السير في منهجه حيث أكثر كما فعل ابن اسفنديار من نقل الاقوال المتداولة على ألسنة عامة الناس بشكل اسطوري بدون ذكر مصادرها. ويبدو في الواقع ان ابن اسفنديار كان اكثر براعة ونجاحاً من برزگري في هذا المجال. فمن ذلك على سبيل المثال انه عند بيانه لطبيعة العلاقة بين محمد بن زيد والأطروش (الناصر للحق) قارن ونقل مسموعاته مع المرويّات الموثقة عن الهاروني المؤلف المعاصر للاطروش (الهاروني ١٤٢٢هـ). وعلى آية حال يبدو أن كل واحد من هذين

المؤلفين عند محاولة العثور على حلقات الترابط المفقودة لدورين تاريخيين مهمين لبلديهما وربوعهما، وما يربط ذلك بعموم تاريخ الاسلام وايران، لم يكن أمامهما من سبيل سوى اتباع ذلك المنهج. إذ أن مثل هذه النظرة المتفائلة إلى المصادر الأصلية والفرعية بغية تقوية النظرة الفاحصة التي يلقيها المؤرخون ومؤلفو الكتب التاريخية للعثور على اجابات لتساؤلاتهم، يبدو أن لها ما يسوغها.

بالإضافة إلى ذلك فإن بعض المصادر مثل: تاريخ رويان (الأملي ١٣٤٨)، ومؤلفات مير ظهير الدين (مرعشي، ١٣٦١ و ١٣٦٤) تدخل أيضاً في عداد المصادر الأساسية للتواريخ المحلية. ثم ان هناك بعض المصادر كـ (سوادكوه مازندران) (اعتماد السلطنة، ١٣٧٣) و شهرياران كمنام (كسروي، ١٣٧٩) و جنبش هاي ديني (صديقي، ١٣٧٣)، وهذه تمثل في حقيقة الحال مجرد إعادة قراءة لتاريخ طبرستان من المصادر الأصلية والفرعية لأجل التوصل الى حلقات الترابط مع عموم تاريخ ايران. يشير صديقي إلى أن شهرياران كمنام بما فيه التركيز على مثل خروج الديلم من عزلتهم وانطلاقهم نحو الغزو، من أهم المؤلفات لدراسة احوال الديلم في القرون الاسلامية الاولى، ويركز عند بحثه من خلال نظرة تقليدية على أسباب ظهور الحركات الدينية الايرانية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، يركز على دور الديلم من غير المسلمين ومقاومتهم أمام الامويين والعباسيين، ثم كيفية دخولهم في الاسلام بفعل النشاطات التي كانت من الناصر الأطروش.

ومن بين الآثار التي كتبها الباحثون الأجانب نذكر كتاب: تاريخ ايران در نخستين قرون اسلامي (اشبولر، ١٣٦٤)، قدّم هذا الكتاب نظرة اجمالية درس فيها أحوال العلويين في ظل حكم الطاهريين والسامانيين، وفي الكتاب امور قيمة كثيرة. ويبيّن اشبولر أن دخول أهالي الولايات الجنوبية لبحر الخزر وخاصة الديلم، في الاسلام أدى بهم إلى التطور والتكامل وبعث فيهم الشجاعة تدريجياً

فدخلوا الى الساحة السياسية، مبيناً أن معظم ذلك حصل على ايدي العلويين الزيدية، ولكن نتج عنه تقدّم ورقي لعموم التشيع؛ وذلك لأن الشيعة من بعد ذلك استطاعوا القيام بدور لا يُستهان به في التاريخ السياسي والديني للشعب الايراني. وفي ختام المطاف يركّز بشكل خاص على دور الناصر للحق (الأطروش) الذي كانت له مكانة متميزة عند الزيدية لما كان يتّصف به من ذوق شعري وعلم بالفقه. ونشير أيضاً إلى ان ويلفرد مادلونغ تناول في عدد من مؤلفاته القيمة موضوع العلويين في طبرستان و اشار فيها إلى تفاصيل ذات فائدة لباحثي هذا العصر (مادلونغ، ١٣٧٢ و ١٣٧١).

وهناك كتاب آخر يمتزج بطعم الدراسة الميدانية ودراسة الآثار وهو كتاب: ولايات دارالمرز كيلاّن، مازندران و استرآباد (رابينو، ١٣٨٣)، الذي دوّن فيه مشاهداته للآثار المتبقية من العلويين، ويمكن ان يكون هذا الكتاب مكملًا للأخبار التاريخية وكتب التاريخ المحلية والوطنية العامة.

ومن المصادر العربية التي تُرجمت إلى اللغة الفارسية نذكر أيضاً كتاب: قيام الدولة الزيدية في اليمن (حسن خضير احمد، ١٣٨٠) الذي بحث فيه كيفية نشوء الدولة الزيدية في اليمن في الاعوام (٢٨٠ - ٢٩٨ هـ) وقد طرح في هذا الكتاب ان طبرستان كانت المنطلق الاول ليحيى بن الحسين والدعوة إلى امامته، وبذلك نشير إلى ان القاسم جدّ يحيى بن الحسين قد مهّد الأرضيّة لدعوة أهالي طبرستان إلى الزيدية.

وقد بيّن المؤلف في كتابه هذا كيفية دخول يحيى بن الحسين إلى آمل، و اشار إلى ان مخاوف محمد بن زيد الذي كان يحكم تلك البلاد يومذاك من وصول يحيى إلى هناك هو الذي دفع أنصاره (أي انصار يحيى بن الحسين) من أهالي طبرستان إلى الهجرة إلى بلاد اليمن. وهذا هو السبب الذي حال دون تحقيق ما كان يطمح إليه يحيى بن الحسين في طبرستان. ولا شك في أن مثل هذه المعلومات تعبّر عما يوجد

من ترابط عقائدي وسياسي بين الزيدية في طبرستان واليمن. وهذا شيء مفيد لبحثنا هذا خاصة لفهم طبيعة العلاقة بين الناصر والزيدية في اليمن. واما المصادر العربية التي لم يترجم حتى الآن إلى اللغة الفارسية فهي كالآتي:

كتاب المصاييح تأليف احمد بن ابراهيم الحسني (المتوفى ٣٥٣ هـ) الذي شرح فيه سيرة أئمة الزيدية ودعاتهم الى زمان الأطروش (الحسني، ١٤٢٣ هـ). وإذا نظرنا الى تاريخ وفاة المؤلف نفهم أن الكثير من الأخبار التي وردت في هذا الكتاب يمكن أن تكون موثقة بأقوال شهود عيان، والمدونات المكتوبة الأصلية ومن الطراز الأول.

الكتاب الآخر من هذا النمط هو: الإفادة في تاريخ الائمة السادة تأليف يحيى بن الحسين الهاروني (٣٤٠-٤٢٤ هـ) وفيه شرح لسيرة أئمة المذهب الزيدي. تجدر الإشارة إلى أن الكثير من المعلومات التي جاءت في هذا البحث ومنها حياة الأطروش وانجازاته وأعماله في احياء حكم العلويين، ومسار الخط السياسي والاجتماعي لهذا القائد العلوي، قد استُقيت من المصدرين الأخيرين. هذا المصدران نقلًا الاحداث والوقائع عبر واسطة واحدة، أو انها كانت في متناول يديهما مصادر من الطراز الاول، أو أن مؤلفه عاش تلك الأحداث والوقائع بنفسه.

وفي كتاب مآثر الابرار الذي هو من تأليف محمد بن علي بن يونس، جاء شرح وتفصيل لأخبار الناصر للحق تعويلاً على ما جاء من معلومات في كتاب الإفادة (الهاروني، ١٤٢٢ هـ). والحدائق الوردية (محلي، ١٩٧٨ م).

ونشير أخيراً إلى تأليفين آخرين؛ أحدهما على مستوى دراسات طلبة الجامعات وجاء تحت عنوان تاريخ تحولات سياسي، اجتماعي، اقتصادي و فرهنگی ایران در دوره صفاریان و علویان (= تاريخ التطورات السياسي، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية في ایران في عهدي الصفاريين والعلويين) (تركمني

آذروپرگاري، ١٣٧٨) الذي يركّز بشكل عام على الدور الثقافي والاجتماعي لناصر الأطروش في تاريخ العلويين. والآخر الذي جاء تحت عنوان: سيري در تاريخ علويان غربي مازندران (= أضواء على تاريخ العلويين في غرب مازندران) (خلعتبري ليماكي، ١٣٨٢) وهو عبارة عن بحث اتّسم بميزة خاصّة بسبب ما جاء فيه من تحقيق ميداني. وهذا التأليف فيه شرح مبسوط نسبياً تحدّث فيه عن انتهاء ناصر الأطروش الى المذهب الزيدي أو الإمامي.

منهج الناصر للحق في أعماله السياسية والاجتماعية

الافتراض الأساسي الذي طرحناه في بحثنا هذا هو أن الناصر للحق قد اتخذ في أعماله السياسية والاجتماعية منهجاً ومساراً أو مسارات معيّنة، استثمر فيها الظروف التي عاش فيها، اضافة إلى اخذ الواقع الموجود بنظر الاعتبار، وواضعاً المستقبل نصب عينيه. ولكن ما هي هذه المناهج والمسارات؟ وكيف كانت تُتخذ؟ وما هي النتائج والمعطيات التي تركتها؟ ولأجل الاجابة عن هذا السؤال الأساسي، لابد أن نلقي نظرة على كيفية اقامة الحكم العلوي في شمالي ايران.

حكومة العلويين في طبرستان، مهد أولى نشاطات الناصر للحق

كما اشير من قبل، ان اقامة حكومة العلويين في طبرستان كحكومة مستقلة، كانت تمثّل على الدوام تهديداً خطيراً للخلفاء العباسيين. ففي عهد حكم محمد بن زيد (٢٧٠ - ٢٨٧هـ) أخو وخليفة الحسن بن زيد (٢٥٠ - ٢٧٠هـ) مؤسس الحكم العلوي في طبرستان، هجم أمير خراسان اسماعيل الساماني بدعم من حكم الخلفاء العباسيين في بغداد، هجم على طبرستان في اعقاب الانتصار الذي احرزه على عمرو بن الليث الصفار وفي تلك المعركة الدفاعية في

مقابل الجيش القادم من خراسان، قُتل محمد بن زيد واستولى السامانيون على طبرستان (٢٨٧هـ)، واستمر استيلاؤهم عليها أكثر من ثلاث عشرة سنة (٢٨٧ - ٣٠١هـ). إلى أن تمكن سيد حسيني وبمعية وبمساعدة أهالي الديلم أن يخلص طبرستان من السامانيين حيث نجح في إحياء حكم العلويين بعد فترة من الركود (٣٠١هـ). ولم يكن هذا الشخص الذي أحيى وأقام حكم العلويين في طبرستان، سوى الحسن بن علي العسكري بن الحسن بن علي بن عمر الاشراف بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالأطروش والمكنى بالناصر للحق. وكان هذا الرجل قد ولد في المدينة المنورة في عام ٢٢٣هـ (دهخدا، ج ٢: ٢٨٦٦).

ونظراً إلى أن أيام صباه وشبابه تزامنت مع ثورات السادات الحسينيين، وخاصة ما قام به العلويون الزيدية من ثورات وحركات سياسية، يبدو أن الحسن بن علي لم يعيش حياة هادئة ومستقرة. وقد صادف ذلك في زمان خلافة العباسيين وثورة يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد. (الشهرستاني، ج ١: ١٥٧) وهذا الدور ينطبق على عهد خلافت الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ)، والمتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ)، والمنتصر (٢٤٧-٢٤٨هـ)، والمستعين العباسي (٢٤٨-٢٥٢هـ). وهو دور كان مليئاً بالمحن على أهل البيت^١. وبما أن الحسن بن علي كان عضواً من أعضاء هذه الأسرة؛ فكيف كان له أن لا يتأثر بتبعات تلك الظروف. إنما ذكره الشهرستاني من أن ظهور الناصر للحق كان في عام ٢٥٠ للهجرة وصادف مع إمامة الإمام الحادي عشر - للشيعة الإثني عشرية - والحوادث المريعة التي كان يمرّ بها الشيعة يومذاك (المصدر السابق، ج ٢: ٢١٢). يمكن أن يؤثر وجود هذا السيد الحسيني بين سلالة المهاجرين العلويين من المدينة إلى العراق (الكوفة)، ومن بعد ذلك إلى خراسان وطبرستان، الذين كانوا معارضين للحكومة العباسية، واخذوا بالهجرة من بعد إيكال ولاية العهد إلى

الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام. في عصر المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) لقد كان الحسن بن علي في عنفوان شبابه يومذاك، وفي أيام خلافة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ) هاجر إلى طبرستان برفقة حسن ومحمد ابني زيد. كان مير ظهير الدين يعتبر الحسن بن علي من أوائل مقاتلي الحسن بن زيد (الداعي الكبير)، ومستشار مقرب لأخيه محمد بن زيد (٢٧٠ - ٢٨٧ هـ) (المرعشي، ١٣٥: ١٣٦١).

وذكر مؤلف كتاب الافادة إلى أن هذا الشاب الطويل القامة الاسمر البشرة قد مكث مدة من الزمن في الكوفة في سبيل تحصيل العلم على يد أكابر تلك المدينة ومشايخها (الهاروني، ١٤٢٢ هـ: ١١٧)، وبين بعد ذلك انه منذ بداية وصوله إلى طبرستان شرع بالعمل مع الحسن ومحمد ابني زيد، وأن الحسن بن علي قد تأثر كثيراً بهاتين الشخصيتين العلويتين، وفي المقابل كان هو يحظى باحترام وتكريم لديهما لما كان يتصف به من علم وفضل. وقد استند ابن اسفنديار إلى ما جاء في هذه الأخبار، وعرض امثلة من الاشعار التي نظمها الحسن بن علي في مدح الحسن بن زيد، قائلاً:

كأن ابن زيد حين يغدو بقومه بدور سماءٍ حوله أنجم زهر
فيا بؤس قومٍ صبحتهم خيوله ويا نعم قوم ناهم جوره الغمر (ابن اسفنديار، ٢٤٣)

بداية النشاطات السياسية لناصر الحق في شمالي ايران

كتب ابن اسفنديار حول ظهور الناصر للحق ما يلي: «خرج أبو محمد الحسن بن علي الى گيلان والديلم داعياً إلى الثأر لداعي الحق محمد بن زيد» (ابن اسفنديار: ٢٥٩). وفي الحقيقة كان ذلك أول عمل قام به من بعد مقتل محمد بن زيد (٢٨٧ هـ). كما ان الكثير من المؤرخين اعتبروا أول عمل قام به الناصر قد بدأ منذ ذلك التاريخ أو بعد سنتين من ذلك التاريخ كحد اكثر. بينما يمكن

القول انه من المحتمل ان تكون أول تحركاته قد بدأت قبل ذلك التاريخ في بلاد خراسان؛ وذلك لأن يحيى بن الحسين الهاروني قد أشار في كتابه الافادة إلى ان الناصر للحق قد افترق مدّة عن محمد بن زيد وتوجه إلى نيسابور (الهاروني، ١١٨). ولكن هل هذا الافتراق يؤشر حقاً إلى وجود اختلاف بين الأطروش ومحمد بن زيد؟ وفي أي شيء كان اختلافهما؟ لعل التوضيحات التي يسوقها الهاروني تجيب عن هذه التساؤلات. اذ ان مما ذكره في ذلك استقبال حاكم نيسابور محمد بن عبد الله الخجستاني للحسن بن علي وحفاوته به. في حين ذكر في بقية الخبر أن الناصر «في زمان الحسن بن زيد وصل إلى طبرستان واقام عنده» (المصدر السابق). كما يشير أيضاً أنه «عندما بدأ الناصر للحق دعوته السرية، انضم إليه الكثير من قادة الخجستاني» (المصدر السابق).

ربما يمكن اعتبار ذلك الوقت هو بداية النشاطات العلنية والمستقلة للحسن بن علي؛ وذلك لأن هذا المؤلف ينقل عن بعض الكتاب والمؤرخين ان: «بعض الاشخاص الذين كانوا مطلّعين عن اسراره، كانوا يوقعون به عند الخجستاني وهذا ما دفع الخجستاني إلى اعتقال الحسن بن علي وايداعه في السجن. ويبدو ان التعذيب الذي تعرّض له في السجن والضرب بالسياط على رأسه واذنيه، ادى إلى اصابته بالطرش؛ فسَمّي على اثر ذلك بالأطروش (الهاروني: ١٢٤). وعلى هذا الأساس يبدو ان الأطروش قام بالخطوة الاولى من حركته في ذلك العهد، ولكن ليس بصورة علنية جداً. وقد اشار الهاروني إلى مسألة دقيقة وهي انه حتى وان كان قد أُصيب بالطرش، الا انه كان يتطارش احياناً (المصدر السابق).

هذا طبعاً إضافة إلى ان «محمد بن زيد كان يتّهمه بدعوة الناس إلى امامته وزعامته، وكان يتوجّس منه خيفة بسبب ما يتصف به الناصر من حنكة وفضل (المصدر السابق: ١١٩). ورغم ان هذا الوضع يعكس بعض الاختلافات التي كانت بين الأطروش ومحمد بن زيد، إلا ان توسط محمد بن زيد لدى الخجستاني

لاطلاق سراحه، ينفي وجود اختلافات بمثل تلك الشدة والحدة. إلا اذا افترضنا أن يكون اتباع الأطروش الذي كانوا بين أنصار محمد بن زيد، هم الذين كانوا وراء مثل هذه المخاوف وكانوا هم السبب وراء اتخاذ مثل تلك الخطوة. ومنذ ذلك الوقت بقي الأطروش إلى جانب محمد بن زيد إلى النهاية.

النشاطات الدينية والسياسية لناصر الحق في جيلان والديلم

كتب مؤلف الافادة ما يلي: «بعد مقتل محمد بن زيد، توجه الناصر للحق الحسن بن علي مع جماعة من انصاره إلى بلاد الري عن طريق الدامغان. ووصل خبره إلى جستان ملك الديلم وكان بينهما مودة قديمة، فكاتبه وسأله الخروج إليه ليبياعه» (الهاروني: ١١٩). وقبل الأطروش تلك الدعوة!

وهذا الخبر يمكن ان يؤيد صحّة ظن محمد بن زيد فيه. وقد سار الأطروش نحو الديلم. وكان رابينو قد شاهد المسجد الذي بناه الأطروش في القرية المشرفة على رودسر (نهر كيلك چاي، وهو ما يسمّى اليوم: كيلاكجان) (رابينو: ٤٢١، ١٣٧٤).

وهنا نعود إلى ما ذكره الهاروني، وما اكّده فيه من انه على الرغم من استقبال جستاني للأطروش، الا أنه امتنع عن مناصرته للاخذ بثأر محمد بن زيد. وهذا الموقف جعل الأطروش يهزم في أول مواجهة مع جيش الساماني (٢٨٧هـ) في فلاس على بعد نصف فرسخ من أمل. وبعد هذا الموقف افترق الأطروش عن جستاني وعاد إلى بلاد الديلم لدعوة أهاليها الذين لم يعتنقوا الاسلام بعد وكانوا باقين على دين آبائهم واجدادهم، لدعوتهم إلى الاسلام. ثم خرج الى جيلان وبدأ بعرض الإسلام على من لم يكن قد أسلم من أهاليها؛ فأسلم الأهالي في جيلان كلّهم على يديه (٢٨٧هـ).

واقام على هذه الجملة بالجيل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأزال الرسوم الجائرة التي وضعها آل وهسودان على الديلم، واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم في الأنفس والأولاد والأموال، ووقعت له حروب مرة بعد أخرى مع جستان، فكانت الدائرة على جستان، وزال سلطان جستان عن سهل الديلم جملة، وانحسم طمعه عنها، وتخلص المسلمون من قبيح ظلمه لهم، وحكمه في أهاليهم وأولادهم واسترقاقه لهم. وقد كان جستان أظهر أن الأمر له، وسار تحت رايته فزعاً من الخراسانية وقصدهم إياه، ولم يكن الناصر يثق بوفائه، ويعلم أنه إن ظفر عاد إلى عادته، فلم يتشدد في الحرب ولم يثبت ثبات مثله، فصارت الغلبة للخراسانية وانهمز الناصر وجستان، وعاد الناصر إلى موضعه، وكان يقيم تارة بهوسهم فيراعي أمر الجبل وتارة بكيلاكجان فيراعي أمر الديلم (الهاروني، ١٢١).

لقد أشار المؤرخون مراراً إلى هذه الحقبة من تاريخ حياة الناصر الأطروش. حيث قال المسعودي فيمروج الذهب:

«أقام الأطروش سنوات طويلة بين أهالي الديلم الذين كانوا كفرة على دين المجوس، وبعضهم كان على تقاليد الجاهلية، فدعاهم إلى الله عز وجل فاعتنقوا الإسلام وبنى المساجد في بلاد الديلم» (المسعودي: ٦٩٠، ١٣٤٤) وكتب ابن اسفنديار ما يلي: «كان الناصر الكبير في هذه السنوات مشغولاً في الاجتهاد في جيلان، ونظم الكثير من الاشعار، وقال المراثي في داعي الحق محمد بن زيد (ابن اسفنديار: ٢٦٧).

ويبدو انه يقصد من تلك السنوات تلك المدة التي كان فيها الناصر للحق وأولاده يدعون فيها أهالي الديلم إلى الاسلام ويتضامنون مع أهاليها في استنكار الرسوم الجائرة التي كان يفرضها آل وهسودان، والمعارك مع جستان. وهي هذه المدة التي كان فيها الأطروش يتضامن مع الهادي يحيى بن الحسن حفيد القاسم

الرسي في اقامة حكومة زيدية في اليمن (الهاروني: ١٢٢). وهذا التقارب على رغم مما بينهما من فاصل مكاني، يدلُّ على الوجوه المشتركة بين هذين الزعيمين الزيديين، التي كثيراً ما يكون بناؤها على ما هو مشترك مع الشيعة الامامية. وان كان ذلك يوحى إلى الأذهان ما يعتقده الزيدية بوجود امامين في زمان واحد بين اتباع الزيدية. ولكن ما هي المسوغات الدينية والسياسية لقبول الفرضية المذكورة؟ يبدو انه من الممكن أن يكون اتخاذ الموقف المذكور جاء في اطار الظروف التي كانت يومذاك حيث كانت بلاد جرجان وطبرستان تحت سيطرة جيوش الامير اسماعيل الساماني، وما قام به من اعمال وما اتخذ من قرارات في اعادة الاملاك الى اصحاب الاراضي وقادة جيش طبرستان وتخفيض الضرائب التي كانت تُجَبى من الناس، وكان الهدف من وراء كل ذلك، ازالة تأثيرات حكومة العلويين واستمالة قلوب المنتفذين المحليين وعموم الأهالي.

ادت تولية محمد الصعلوك والي الري بدلاً من ابي العباس عبد الله بن نوح من قبل احمد بن اسماعيل الساماني، وذلك من بعد وفاة الامير اسماعيل الساماني، والياً على حكومة طبرستان وتحت اشراف محمد بن عبد الله البلعمي، والوزير الساماني المعروف، ادت إلى ابراز أهمية هذا الموضوع بشكل أوضح (٢٩٨هـ).

وفي تلك الايام أيضاً كان الناصر للحق في جيلان منهمكاً في دعوة أهاليها إلى الاسلام، ولكنه كان يتابع اخبار طبرستان، وكثيراً ما كان يفكر في تجنيد وحشد قوات من بين انصاره واتباعه.

الناصر للحق واحياء حكم العلويين في طبرستان

في أعقاب وفاة عبد الله بن نوح، اتبع محمد الصعلوك الذي أصبح الحاكم الجديد على طبرستان، اتبع اساليب عنيفة لمواجهة احتجاجات الناس الذي اخذوا يعبرون عن سخطهم بسبب زيادة نسبة الخراج. ولاشك في أن هذه

الأخبار كانت تصل إلى الناصر؛ إذ ذكر ابن اسفنديار أن الساخطين «قد التّفوا حول الناصر الكبير؛ فأرسل ولده أبا الحسين أحمد إلى رويان» (ابن اسفنديار: ٢٦٨).

وهذا يمثل في حقيقة الحال ثورته مرّة أخرى ضد السامانيين الذي كان يدعمهم الخليفة العباسي في بغداد. وكانت معركة نورود التي يذكرها مؤلف تاريخ مازندران باسم الجور (جيلاني: ١٣٥٢، ٦٧-٧٠) تعكس المارّة التي كان يعانيها الناصر على الرغم من الانتصار الذي أحرزه في تلك المعركة. ولعلّ الجور الذي أشار إليه مؤلف كتاب تاريخ مازندران يبيّن سعة وعمق المقاومة التي كانت غير متوقّعة، والتي تكشف عنها اقوال الناصر التي سنعرضها بعد عدّة اسطر. فمن بعد اخراج عامل السامانيين من رويان، أرسل الناصر ابنه أبا الحسين أحمد إلى هناك، ثم ذهب هو إلى كلار تلبية لدعوة حاكمها الذي أعلن مبايعته له. ثم ان طلائع جيش الأطروش الذي كان يتألف من أهالي جيلان والديلم، فتحوا شالوس أيضاً، وبعدها اشتبك ذلك الجيش الذي أصبح بقيادة الأطروش، اشتبك مع الجيش الذي كان يقوده محمد الصعلوك. فكانت الهزيمة على الصعلوك وفرّ هو وقتل الكثير من جنده وسقطت قلعة شالوس، واعطى الناصر الأمان لمن تبقى من قلعتها. وبعد يومين توجه نحو آمل ونزل في قصر-الحسن بن زيد، ونهل من فضله وعلمه وورعه ما جعله يسير مع الناس بالعدل والمحبة وعفا عمّن فعلوا الجرائر وأخذ البيعة من أهل آمل ونواحيها (ابن اسفنديار: ٢٦٩).

وهكذا فقد استطاع من بعد ثلاث عشرة سنة من الجهاد ان يعيد احياء حكم العلويين في طبرستان على الرغم من ارادة الخلفاء العباسيين والامراء السامانيين (٣٠١ هـ).

ألقي الناصر للحق خطبة في المسجد الجامع في آمل وعنف فيها الأهالي بسبب خروجهم عليه ومناصرتهم لعدوه (الهاروني: ١٢٣). ويبدو انه يشير في ذلك إلى المقاومة غير المتوقعة التي حصلت في معركة نورود. فقد كان شديد التألم على من قُتلوا في معركة نورود وكان كثيراً ما يعبر عن اساءه ومكابدته، ولكنه رغم كل ذلك فقد اصدر امراً بالعفو العام (نفس المصدر، ١٢٦) في ذلك الوقت التحق الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبدالرحمن بن القاسم البطحائي بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) (ابن اسفنديار: ٩٤ و ٢٧٥ كما جاء في كتاب عمدة الطالب في انساب آل ابيطالب) قائد جيش الناصر، التحق به وانضم إليه لملاحقة من فروا. لقد كانت تلك الثلاثة عشرة سنة التي قضاها الناصر في گيلان وكانت سنوات مليئة بالتقلبات، وما احرزه من نجاح في ايجاد الرغبة لدى أهالي تلك البلاد للدخول في الاسلام، بسبب ما كان لكلامه من تأثير وقدرته على اثارة سخط الأهالي هناك ازاء ما حصل في طبرستان في ظل حكم السامانيين الذي كانوا على المذهب السني، ويلقون الدعم من الخلفاء العباسيين. فهذه العوامل أدت إلى تفوقه في طبرستان في أقصر- مدّة ممكنة وانتصاره على عامل السامانيين هناك، ورفع راية العلويين في طبرستان مرّة أخرى، وبالذات في مدينة آمل التي كانت المقر السابق لحكومة الحسن بن زيد الذي كان أول قائد للعلويين في طبرستان.

ذكر المسعودي ان أول دخول الأطروش إلى طبرستان كان في الأوّل من المحرم من عام ٣٠١ هـ. وانه قد «اخرج منها «سياه جامكان» (= ذوي الثياب السوداء)» (المسعودي: ج الثاني ٦٩٠، ١٣٤٤).

وواصل المسعودي سرد أوصاف الناصر للحق مع تقديم نبذه عن جهاده قائلاً: «كان رجلاً فاهماً وعالماً، ومطلعاً على العقائد والمذاهب، وبقي سنوات طويلة يعيش بين أهالي الديلم الذين كانوا كفرة وعلى دين المجوس وبعضهم

كان يتبع تقاليد جاهلية. كما أن كان يقيم بين أهالي الجيل الذين كان المسلمون في مقابلهم يتحصنون في قلاع مثل قزوين وغيرها. وقد دعاهم الى التوحيد وعبادة الله عز وجل، فاستجابوا لدعوته وأسلموا. وبنى المساجد في بلاد الديلم» (المسعودي، مصدر سابق).

تسليم السلطة وحدوث صدع في القدرة السياسية

موضوع تسليم السلطة وتوزيع القدرة من قبل الناصر للحق يعد نقطة عطف في سلوكه السياسي والاجتماعي، أن إهتمام الناصر للحق لقائده حسن بن قاسم يعد إهتماماً قابل للبحث والنقاش بسبب أنه كان يميل الى هذا السيد الحسيني بالرغم من حيازته علي أبناء بارزين، ويقول ابن إسفنديار بهذا الصدد: "منح الناصر مقاليد الحكم في الأمر والنهي الى ابن عمه أبو محمد الحسن بن القاسم وفضله علي أبناء بارزين من صلبه بشكل أثاروا عليه الحقد والحسد. (ابن إسفنديار ٢٧٥) ويقول مؤلف الإفادة بهذا الصدد أيضاً: "وسبب هذا التفضيل يعود الى الشهامة وروح القتال والديانة والإشراف علي الأمور المحولة اليه وعدم وجود شخص موثوق به من بين أولاد الناصر وإتباع جمع غفير من أبرز أصحاب الناصر من حسن بن قاسم." (هاروني ١٢٦-١٢٦)

وغالباً ما يتبادر هذا السؤال في أذهان القارئ، هل أن طريقة إختيار الخليفة من أوساط السادات الحسينيين يدل على عدم تأكيد الناصر على ذرية الحسين (ع) ليخلفه من بعده؟ ويمكن الإجابة علي هذا السؤال بأنه إتخذ هذا القرار بعد أن وضح له ميول أحد أبناءه أي أبو الحسين أحمد الي مذهب الإمامية وإعتراض الأخير لوالده بإتخاذ هذا الخيار قابل للتشكيك (ابن إسفنديار ٢٧٣-٢٧٢)، وبالطبع لم يستغن الناصر الأطروش أولاده عن مقاليد الحكم حيث عين أحد أولاده قياده جيوش أمل والآخر إمارة ساري (هاروني ١٢٧)، ومن الممكن

إحتراز حسن بن قاسم وأولاد الناصر كان سبب عدم كشف هذا الخلاف القائم بينهما ولكن كان لهذا الخلاف تأثيراً سلبياً علي إدارة شؤون الحكم حيث إبتعد حسن بن قاسم عن أولاد الناصر لتفادي مواجهتهم وجهاً لوجه الأمر الذي أحدث هذا الإبتعاد خلاً خطيراً يمكن الإشارة إليه هنا خاصة أنه تسبب خلافاً واضحاً في وجهات نظر أتباع الطائفة الزيدية مع البعض والشيعة الإمامية كما يكشف السلوك التي إتخذها الناصر في إدارة شؤون دولة شيعة المزمع أن تلعب دوراً متميزاً في المستقبل.

ويستطرد مؤلف الإفادة حول هذه الأحداث قائلاً: "إبتعد الداعي حسن بن قاسم من الناصر بسبب أولاده وأدي هذا الإبتعاد أن يرتكب حسن خطأ كبيراً لدي إعتقاله الناصر ونفيه الي قلعة لاريجان .. حيث ذكر البعض بأنه أرغم علي القيام بهذا العمل وقد حرضه علي ذلك سفهاء جيلان ودليمان الذين كانوا بصحبة الداعي." (هاروني ١٢٧) ولم يشرح المؤلف هذا الحدث أكثر مما ذكر ، ولكن ابن اسفنديار يدلل وقوع هذا الحدث بسخط جمع من كبار الشخصيات العلوية في جيلان من سلوك الناصر وكان الأخير علي علم بما يجري ثم يضيف ابن اسفنديار قائلاً: " كان سخط كبار الشخصيات العلوية من الناصر بسبب عدم وفائه بوعوده حول توزيع المال . " (إبن إسفنديار ١٧٣) والظاهر أن الناصر أخلف وعده مما أدي الي رد فعل هذا القائد المحترف حيال هذا السلوك اللامسؤول ، أما مير ظهير الدين ينظر الي هذا الحدث برؤية أخرى والذي يتهم حسن بن قاسم بحرصه الدنيوي (مرعشي ١٤١) ونقرأ في ملامة ليلي بن نعمان أحد أقرب أصحاب الناصر حيال حسن بن قاسم هذه النقطة الهامة : " هل يجب سجن الأب إذا ما إمتنع عن تقديم الخبز الي أبناءه ؟ " (هاروني ١٢٨) .

يبدو أن الناصر للحق بالرغم من علمه بسخط أهالي جيلان من سلطته ولكنه كان بأمس الحاجة الي تجديد البيعة والولاء من قبل كبار شخصيات

جیلان ، كما أن أهالي جیلان كانت لديهم مطالب ، وفي ظل هذه الظروف ذهب حسن بن قاسم الى جیلان ومن هناك كتب الى الناصر بأن جميع أهالي جیلان يرغبون بزيارتك " (إبن إسفنديار ٢٧٤) ولكن يبدو أن أحداث أخرى وقعت في طريق طبرستان حالت دون وقوع هذا الحدث حيث أعلن جمع غفير من أتباع حسن بن قاسم إستعدادهم لإعتقال الناصر وإعلان البيعة للحسن . " (إبن إسفنديار ٢٧٤) عندما وصل جيش حسن بن قاسم أمل لم يذهب حسن لإستقبال الناصر بل ذهب الى المصلي وعقد إجتماع تشاوري مع بعض خواصه وتمخض عن هذا الإجتماع بأن يذهب حسن لزيارة الناصر ويتبادل معه الحديث دفاعاً عن حقوق أهالي جیلان ورواتب أفراد الجيش ، تنبأ الناصر للحق بخطورة الموقف وكان يفكر بإنقاذ نفسه من التهلكة حيث طارده حسن بن قاسم وافراد جيشه وتم إعتقاله في قلعة لاريجان . لم يكتف أتباع حسن بن قاسم بهذا القدر من الجرأة وهجموا علي مقر دولته وإنتهكوا حرمة ونهبوها ، ويبدو أن حسن بن قاسم كان علي علم بهذا الإعتداء ولكنه عدل عن قراره وأبدي إعتراضه لما حدث ، وبالرغم أن إعتراضه لم يجد نفعاً بل وقد وقع في إشتباك شديد مع المشاغبين ، وفي نفس الوقت .. " أثار هذا العمل غضب معظم أهالي أمل حيال المشاغبين وحملوا عليهم وإستنجدوا الناصر وأنقذوه من التهلكة . " (هاروني ١٢٧) عندما سمع ليلى بن نعمان أحد أقرب أصحاب الناصر أنباء أحداث أمل وهو في مهمة من قبل الناصر الي جرجان ، لم يستكمل مهمته وعاد الي أمل بجيوشه وواجه جيوش حسن بن قاسم وبعد سلسلة من المشادات الكلامية التي جرت بين الجانبين " رفع ليلى بن نعمان رايته وصرخ بأعلي صوته : من يريد إتباع الحق عليه متابعة هذه الراية . " (هاروني ١٢٨) ، ندم العديد من أتباع حسن بن قاسم علي فعلتهم وإلتحقوا بأتباع ليلى بن نعمان ، فما برح أن بعث ليلى بعض من أصحابه الي الناصر وأعادوه الي أمل . ويروي مؤلف الإفادة

نقلًا عن والده الذي كان شاهد عيان عودة الناصر إلى مسقط دولته في أمل قائلاً : " لقد خرج معظم أهالي أمل شيوخاً وشباباً لاستقبال الناصر وكانت كثرة الإزدحام علي وشك أن يسقط الناصر من ظهر جواده . " (هاروني ١٢٨)

الإجراءات التي إتخذها الناصر وعودة الإستقرار

هرب حسن بن قاسم وجمع من خواصه الذين إمتنعوا عن تلبية دعوة ليلى بن نعمان نحو جيلان ولكنهم إعتقلوا من قبل الأهالي الذين كانوا يطاردونهم ، " عندما أتوا بحسن إلى الناصر لم ينظر إليه ولم يلفظ عبارة حادة ضده وأعفي عليه ، وبعد مضي عدة أيام نفاه إلى جيلان ، ولم تمضي مدة وجيزة إلى أن إستشفعه أبو الحسين أحمد بن الناصر وأعادته إلى أمل ثانية وأنكحه إبنة أبو الحسين التي كانت أم أبو الفضل الداعي ومنحه ولاية جرجان . " (إبن إسفنديار ٢٧٤)

بهذا التقرير يطرح علينا هذا السؤال ثانية ما هو السبب ترشيح حسن بن قاسم على رأس الجيش بالرغم من وجود أولاد أشداء وأوفياء يمكن أن يخلفوا الوالد في مسند الحكم ؟ ويرد الناصر علي جملة من الأسئلة والإعتراضات القائمة من قبل أفراد حاشيته وأولاده قائلاً " كنت سعيداً جداً ليخلفني الشخص الذي يحظي بجميع مواصفات وجدارة هذا المقام ولكنني لم أعثر علي أحد سوى حسن بن قاسم الذي لايزال يتمتع بجميع مواصفات هذه القيادة أفضل من أولادي . " (هاروني ١٢٨) ، بعد هذا الحدث " أوفد الناصر حسن بن قاسم في مهمة صعبة إلى جرجان لصدهجوم الأتراك وحقق حسن نصراً باهراً ضد الأتراك في معركة عنيفة وعاد إلى أمل منصوراً . " (إبن إسفنديار ٢٧٤) . وفي هذه المرة عاد ثانية إلى جيلان بعد أن قضى بضعة أيام في أمل ، ولم تمض أيام إلى أن عاد إلى أمل مركز الدولة بتوصية وتشجيع من كبار الشخصيات والفقهاء والأمراء في جيلان .. " يبدو أن الناصر منحه لقب الداعي إلى حسن بن قاسم

تزامناً مع هذه الأيام. " (هاروني ١٢٨) ، وفي الحقيقة أن الناصر منحه هذا اللقب تأييداً لخلافته من بعد وفاته ، ويبدو أنه من الممكن إتخذ الناصر هذا السلوك لتعزيز موقع أتباعه (الجماعة الناصرية) الذين كانوا يميلون الى الشيعة الإمامية (مادلونغ ١٤٣) مقابل أتباع القاسمية والهادوية (موسوي نجاد ٨٩) . ولا إستبعاد في ذلك بعد تأييد ابن إسفنديار والشهرستاني والشيخ الطوسي حضور الناصر في مجلس الإمام حسن العسكري عليه السلام وأنه كان يستمع الى إرشاداته . (مجد : ٩٩) رغم أن الناصر كانت مواقفه قريبة جداً من الزيدية .

التنحي عن الحكم والإهتمام بالنشاطات العلمية والثقافية

ويكتب ابن إسفنديار دون الإشارة الى زمان دقيق قائلاً : " تنحي الناصر الكبير عن الحكم وإلتزم حياة الشريعة مع الخلق . " (ابن إسفنديار ٢٧٥) بالرغم أنه أضاف حول حياة الناصر للحق بعد تنحيه مقاليد الحكم قائلاً " كان يهوي إليه الخلق من أطراف العالم للإستعانة من فنونه وعلومه في الفقه والحديث والشعر والأدب . " (ابن إسفنديار ٢٧٥) هل أن هذا الحدث تعد بصمة تأييد من قبل معظم المؤرخين الذين كتبوا أنباء وتقارير عن الناصر للحق بأنه أسس أول مدرسة دينية في آمل تعد بمثابة حجر أساس للمدارس النظامية التي تأسست لاحقاً ؟ (وكيليان ٣٧٦) في الحقيقة لماذا تنحي عن مقاليد الحكم في حين أنه كان في قمة النفوذ المعنوي لدى الأوساط الشعبية ؟ لا يرد مؤلف الإفادة علي هذا السؤال بل يذكر تاريخ وفاته في شهر شعبان عام ٣٠٤ للهجرة ويقول بأنه توفي في آمل وعمره يناهز ٧٤ عاماً . (هاروني ١٣١) في حين يذكر بعض المؤرخين بأن الناصر للحق توفي وعمره يناهز ٧٩ عاماً . (ابن الأثير ج ١٣ ص ١٥٢) وبهذا يبدو أنه تنحي عن مقاليد الحكم بسبب الشيخوخة وكبر السن بالرغم أنه واصل نشاطاته العلمية علي كبر السن . وقد ألف الناصر للحق

العديد من الكتب والرسائل العلمية يذكر ابن النديم بعض من هذه المؤلفات وهي : كتاب الطهارة ، كتاب الأذان والإقامة ، كتاب الصلوة ، كتاب أصول الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب المناسك ، كتاب الإيمان والنذور ، كتاب الرهن ، كتاب البيع ، أمهات الأولاد ، كتاب القسامة ، كتاب الشفاعة ، كتاب الغضب ، كتاب الحدود . (ابن نديم ٣٦٠) بالإضافة الى ذلك ألف الناصر للحق عدد من المقالات الفقهية في مجال أحكام الطلاق والإرث والمسح التي كانت مقربة من عقائد وأحكام الإمامية (مادلونغ ٥١) ويمكن القول بأنه بذل جهوده لتقريب مذهب الزيدية الى الإمامية ويبدو أن جهود أبناء بويه السماك في شمالي ووسط إيران التي أدت إلى تأسيس الدولة البويهية التي بسطت نفوذها لتشتمل الدولة العباسية في بغداد كانت من آثار ومنجزات الناصر للحق وجهوده الحثيثة لإحياء مذهب التشيع وإنتشاره علي الجانب الآخر لسلسلة جبال ألبرز الشاخنة والتي إستمرت الدولة الشيعية في مركز الخلافة العباسية من قبل الإيرانيين الشيعة لسنوات عديدة بعد وفاته .

المصادر:

١. آملی، اولیاءالله، تاریخ رویان، منشورات بنیاد فرهنگی ایران، ۱۳۴۸.
٢. ابن الأثیر، عزالدین علی، الكامل فی التاریخ، دار صادر للطباعة والنشر، بیروت ۱۳۸۵ هـ - ۱۹۶۵ م.
٣. ابن اسفندیار، بهاءالدین محمد بن الحسن، تاریخ طبرستان، کلاله خاور، الطبعة الثانية، ۱۳۶۶.
٤. ابن النديم، محمد بن اسحاق، الفهرست.
٥. احمد بن ابراهيم بن الحسن، المصاييح، اليمن، مؤسسة الامام زيد بن علي عليه السلام الثقافية، ۱۴۲۳ هـ / ۲۰۰۲ م.
٦. اشپولر، برتولد، ایران در نخستین قرون اسلامی (= ایران فی القرون الإسلامية الأولى)، ترجمه (الى اللغة الفارسية) جواد فلاطوري، المجلد الأول، منشورات علمي فرهنگی، الطبعة الثانية، ۱۳۶۴.
٧. الاصطخري، ابراهيم بن محمد، المسالك والممالك، منشورات علمي فرهنگی، ۱۳۶۸.
٨. اعتماد السلطنة، محمد حسن خان، تاریخ طبرستان (التدوين في احوال جبال شروين)، دنيای کتاب ۱۳۷۳.
٩. الامين، سيد محسن، اعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ۱۴۰۳ هـ / ۱۹۸۳ م.
١٠. برزگر، اردشير، تاريخ تبرستان، نشر سانس، ۱۳۸۰.
١١. پيرنيا، حسن (مشير الدولة)، تاريخ ايران باستان (= تاريخ ايران القديمة)، دنيای کتاب، ۱۳۶۹.
١٢. ترکمني آذرپروين، وپرکاري، صالح، تاريخ تحولات سياسی، اجتماعي، اقتصادي و فرهنگی ايران در دوره صفاريان و علويان (= تاريخ التطورات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية والثقافية في ايران في عهدي الصفاريين والعلويين)، منشورات سمت، ۱۳۷۸.
١٣. خضيری احمد، حسن، قيام الدولة الزيدية في اليمن، ترجمه (الى اللغة الفارسية) احمد بادكوبه هزاوه، پژوهشكده حوزه و دانشگاه (= معهد الحوزة والجامعة)، ۱۳۸۰.
١٤. خلعتبري ليماكي، مصطفى، سيري در تاريخ علويان غرب مازندران، نشر سانس، ۱۳۸۲.

١٥. دهخدا، علي اكبر، لغت نامه (= المعجم)، جامعة طهران، ١٣٧٧.
١٦. رابينو، هـ.. ل، مازندران واسترآباد، ترجمه (الى اللغة الفارسية) غلامعلي وحيدمازندراني، منشورات علمي وفرهنگي، الطبعة الرابعة ١٣٨٣.
١٧. رابينو ديور كومال، ولايت دارالمرز گيلان، ترجمه (الى اللغة الفارسية) جعفر خماني زاده، رشت، منشورات طاعتي، الطبعة الرابعة ١٣٧٤.
١٨. الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن احمد، الملل والنحل، دار المعرفة بيروت - لبنان.
١٩. صديقي، غلامحسين، جنبش هاي ديني ايراني در قرن هاي دوم وسوم هجري (= الحركات الدينية في ايران في القرنين الثاني والثالث للهجرة)، منشورات پازنگ ١٣٧٣.
٢٠. الطوسي، ابو جعفر، رجال الطوسي، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠ هـ.
٢١. كسروي، احمد، شهرياران كمنام (= الحكام المجهولون)، منشورات اميركبير، الطبعة السابعة، ١٣٧٩.
٢٢. كيلاني، شيخ علي، تاريخ مازندران، منشورات بنيادي، ١٣٥٢.
٢٣. مادلونك، ويلفرد، فرقه هاي اسلامي، ترجمه (الى اللغة الفارسية) ابوالقاسم سري، منشورات اساطير، الطبعة الثانية ١٣٨١.
٢٤. -----، سلسله هاي كوچكشالي ايران، تاريخ ايران كمبريج، اميركبير، المجلد چهارم، ١٣٨٠.
٢٥. مادلونك ويلفرد، تشيع امامي وزيديدرايران، ترجمه (الى اللغة الفارسية) رسول جعفريان، كيهان انديشة، شماره ٥٢، بهمن واسفند ١٣٧٢.
٢٦. محلي، حميد بن احمد، الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، بيروت، دارالنشر، ١٩٨٧ م.
٢٧. المرعشي، سيدظهر الدين بن سيدنصير الدين، تاريخ طبرستان ورويان ومازندران، منشورات شرق، الطبعة الثانية ١٣٦١.
٢٨.، تاريخ كيلان وديلمستان، الطبعة الثانية، ١٣٦٤.
٢٩. المسعودي، ابوالحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، نشر دار الأندلس - بيروت، ٤ أجزاء في مجلدين.
٣٠. وكييلان، منوچهر، تاريخ آموزش وپرورش در اسلام وايران، دانشگاه پیام نور، الطبعة الرابعة ١٣٧٦.

٣١. الهاروني، يحيى بن حسين، الإفادة في تاريخ الائمة السادة، اليمن، صعدة، مركز أهل البيت للدراسات الاسلامية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٣٢. المقالات المنشورة على الإنترنت:
٣٣. موسوي نجاد، سيدعلي، آشنائي با زيدية (= أضواء على الزيدية)،
[www. balagh. Net](http://www.balagh.Net)
٣٤. ساكت، محمدحسين، موقع المؤتمر الوطني المحامين، كلمة ألقاها بتاريخ ١٣٩١/٧/٣٠.

دراسة تحليلية لحياة الناصر الكبير من وجهة نظر أخلاقية وثقافية

الدكتور إبراهيم فلاح

الأستاذ المساعد في الجامعة الحرة فرع مدينة ساري

الخلاصة :

لا يمكن سلوك طريق الكمال والسعادة دون أن يكون هناك موجه أو قدوة، وسيضل الإنسان طريقه ولن يصل إلى هدفه. وإن الحسن بن علي والمشهور بـ (الناصر للحق) كان أحد العلماء المعروفين، وكان أسوة عملية للناس ومربيا أخلاقيا وثقافيا، حيث تعتبر حكومته من أول الحكومات الشيعية التي قامت لأجل تطبيق الشريعة الإسلامية.

وبلا شك فإن ما يوصل الإنسان إلى السعادة والكمال هو المعرفة والالتزام بالأصول الأخلاقية والثقافية، حيث إن الناصر للحق يعتبر من أفضل القدوات في هذا المجال. وهذا البحث بعنوان « دراسة تحليلية لحياة الناصر الكبير من وجهة نظر أخلاقية وثقافية »

وستعرض فيه إلى الأصول الأخلاقية والثقافية وكذلك مناقبه وفضائله وآثاره. وبعد دراسة الموضوع، وصلنا إلى هذه النتيجة وهي أن الناصر الكبير استطاع أن يحيي دولة العلويين من خلال أفعاله وأقواله وسيرته حيث ارتقى بثقافة الأمة واستطاع بأخلاقه العالية والسامية أن يهدي الناس إلى الخير والسعادة.

المقدمة

إن الله قد خلق الإنسان وهياً له مقدمات الوصول إلى السعادة، وفي هذا الإطار فانه بحاجة إلى قدوة وأسوة، وقد اعتبر الشيعة الأنبياء وأئمة أهل البيت عليهم السلام هم أفضل من يمكن أن يقتد بهم .

ولذلك، فان الناصر للحق الحسن بن علي هو من الشخصيات المهمة التي يمكن أن يقتدي بها، والذي كان له دور كبير في نشر التشيع ودعوة الناس إلى الأخلاق الإسلامية وإيجاد ثقافة إسلامية في هذا الاتجاه.

وإذا عرفنا حقيقة المنهج الأخلاقي والفكر الصحيح الذي اتبعه الناصر الكبير، فانه بلا شك يكون ذلك من دواعي افتخار الشيعة والعزة الإنسانية، وما ذلك إلا لأنه قد تخلق بأخلاق أجداده الكرام وأخلاق الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

إن الشخصية الأخلاقية والفكرية للناصر الكبير لم يتم التحقيق حولها والبحث العلمي الدقيق فيها وبقيت طي الغفلة والنسيان. وكما قال آية الله جوادي الآمل -المفسر الكبير للقران- في هذا المجال:

"لماذا نحن الشيعة في حين أننا نجلس عند موائد هؤلاء العظماء ونحمل ديننا في رقبتنا تجاههم، ولكننا مع ذلك لا نقوم بمعرفتهم وتجلييلهم" (مجد، ١٣٨٦: ٩) ولذا فإننا في هذا البحث سنقوم بدراسة أبعاد جديدة في الشخصية الأخلاقية والثقافية للناصر الكبير لبيان جانب العلم والوعي والأدب والفكر المتميز عند العلويين.

تعريف عام بالحسن بن علي (ناصر الكبير)

هو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن علي بن أبي طالب عليه السلام والملقب بـ (الناصر للحق الأطروش) والمكنى بـ (أبو محمد)، ولد في المدينة المنورة في سنة ٢٢٥ هجري قمري.

(مادلونغ، ١٩٨٧: ٢٠٩؛ دهخدا، ١٣٣٢، ج ٢: ٢٨٨٩) وأمه حبيبة كانت من خراسان.

إن المصادر التي بين أيدينا لم تشر لمرحلة طفولته وشبابه. وفي بعض الكتب نقل انه كان لديه توقف لمدة قليلة في قم -مركز الشيعة الإمامية- وكان في العشرين من عمره. (مجد، ١٣٨٦: ٧٧) وكان جده لأمه السيد الرضي والسيد المرتضى لأمههما. (محمدي جلالى، ١٣٧٨: ٩٤) وكان السيد طويلا اسمر البشرة وكان أطرشا. ولهذا لقب بالأطروش.

وان سبب فقدان الناصر للحق سمعه هو لأنه تلقى ضربة بالسوط على أذنه بعد أن القي القبض عليه من قبل محمد بن عبد الله الخجستاني، وذلك لدفاعه عن الحسن بن زيد في منطقة جرجان، حيث انه قد فقد سمعه نتيجة لتلك الضربة (مادلونگ، ١٩٨٧: ٢٠٩)، و أطروش من الفعل الثلاثي المجرد طَرَشَ. (مصطفى، ١٣٨٥: ٥٥٤)

وأما في عمدة الطالب فقد جاء: "عندما أمسك به رافع فقد ضربه ألف ضربة بالسوط وعلى إثر ذلك فانه قد فقد سمعه." (حكيميان، ١٣٤٨: ٩٩)

كان الناصر الكبير شاعرا كبيرا وعلامة وإماما في الفقه ورجلا فاضلا وعالما متقيا ومحبوب القلوب وتنقل عنه النوادر. وفي آخر أيام حياته اعتزل الحكم وتوجه لطاعة الله والعبادة. وقد توفي عام ٣٠٤ هجري قمري ودفن في مدينة آمل، وكان عمره أربع وسبعون سنة، حيث أشار لذلك في هذا البيت الشعري: أناف على السبعين ذا الحول رابعٌ ولا بُدَّ لى أنى إلى الله راجعٌ (مادلونغ، ١٩٨٧: ٩٩)

إن الأطروش كان لديه خمس بنات وأربعة أولاد، وقد توفي احد أولاده وهو في سن الشباب وكان اسمه محمد. (المصدر نفسه: ٩٢)، ولم يجعل أحدا من أبنائه قائدا بعده ليقود حكومة العلويين، ولكنه لم يبعدهم عن أمور الدولة والجيش.

١- العفو

إن الناصر الكبير يعتبر أن الصبر سببا لعزة وازدياد الشأن والمكانة الإنسانية؛ لأنه يطلق الصبر على الإنسان عندما يستطيع أن يرد الأذى بمثله ومع ذلك لا يفعل، مما يدل على قدرة الإنسان على السيطرة على غضبه وقدرته على مواجهة الغضب والسيطرة على النفس في مقابل تعدي الآخرين، وهذا هو سبب تقدير ومدح الآخرين، وبالأخص إذا كان هكذا شخص لديه مسؤوليات في الدولة ومناصب عالية.

إن الصبر والعفو بالنسبة له أجمل وأفضل من كل شيء، حيث يقول الإمام علي عليه السلام: "الكريم من يعفو عند المقدرة" (الآمدى، ١٣٦٣، ج ١٢٦: ٢)، وإن المثال البارز لعفو الناصر الكبير يمكن ملاحظته من خلال مواجهته للحسن بن القاسم.

إن الناصر الكبير كان يفضل في جميع الأمور الحسن بن القاسم - والذي كان ابن عمه - على أبنائه. وبالرغم من العلاقة القوية بين الناصر والحسن بن القاسم، إلا أن الحسن بن القاسم لم يبال بالمعاملة الطيبة التي كان يوليها له الناصر الكبير وقام أخيرا مع المتآمرين الظالمين بإلقاء القبض على الناصر الكبير وسجنه في قلعة لاريجان.

إن جيش الحسن بن القاسم المتمرد والديلميين وصل بهم الأمر في التنكر لمعروف الناصر الكبير أن هجموا على داره وصادروا أمواله وأسروا زوجته وأولاده. (المرعشي، ١٣٦٣: ٣٠٧)، لذا فإن إلقاء القبض على الناصر الكبير وزجه في السجن والهجوم على داره هو من الأمور التي تثير التعجب تجاه الحسن بن القاسم الذي قابل الإحسان بالإساءة وتنكر لمن مد له يد المعروف والمساعدة.

ولذلك فإن أهالي مدينة آمل قاموا بتوبيخ الحسن بن القاسم وقالوا للجيش "انتم واجهتم إمامكم وقائدكم بهذا الشكل فانتم لستم مسلمين ولا يوجد أسوأ منكم في العالم" (ابن اسفنديار، ١٣٦٦: ٢٧٤)، وبعد تحرير الناصر الكبير من قبل ليلي بن نعمان والناس، فإن الناصر الكبير دخل مدينة آمل منتصرا، وأثناء دخول الناصر جاء الحسن بن القاسم مستقبلا إياه. ولم يواجهه الناصر الكبير بأي شيء. وقال له إنا عفوت عنك وساحتك على ما فعلت، وسمح له بالذهاب إلى مدينة جيلان.

وبعد فترة، فإن أبو الحسين احمد صاحب الجيش ابن الناصر الكبير زوج ابنته للحسن بن القاسم. وجعل الناصر الكبير الحسن بن القاسم ولي عهد من بعده. (حكيميان، ١٣٦٨: ٩٨)، وان كرم وشهامة السيد قد شمل الحسن بن القاسم وكان بإمكانه أن لا يعفو عنه.

٢- ثبات شخصيته واستقامته في العمل

إن من خصوصيات الناصر الكبير التي كانت تميزه عن الآخرين، وحدة الشخصية لديه، يعني أن ردود أفعاله في مواقف مختلفة كانت متوافقة، مما يدل على انه يتمتع بشخصية منسجمة ومتوافقة في سلوكها.

وهذا يدل كذلك على انه كان يتمتع بتربية الهبة سامية. إن الناصر الكبير كانت مواقفه واحدة وطبقا للمعايير الشرعية ولم يكن يتصرف خلاف الشريعة وكان دائما إلى جانب العدالة سواء كان في الحكم أو قبل أن يتسلم الحكم، أو كان في السجن أو خارج السجن، أو في حال الفرح والاطمئنان أو في حال المصيبة والحزن، فانه لم ينطق سوى كلمة الحق، وكان سلوكه مع الآخرين طبقا للأصول الأخلاقية والإنسانية، وما كان يأمر إلا بالمعروف.

وكان يدافع عن أصول ومباني الإسلام. وكانت تصرفاته وسلوكه مع الأصدقاء والأعداء وأفراد عائلته طبقاً للموازين الأخلاقية والإنسانية وكان دائماً ذاكراً لله تعالى. وقد نقل أن أحد أبناءه كان أهل طرب ويشرب الخمر، فأمر الناصر الكبير بأن يقام عليه الحد الشرعي. (مادلونغ، ١٩٨٧: ٣١)

٣- تصرفاته وسلوكه مع الرعية

إن الناصر الكبير كان عنوان القدوة والأسوة ومركز العاطفة والمحبة لعباد الله. وكان يحمل كل المحبة والود للناس وأهل بيته ومن في خدمته. إن سلوكه العملي يدل على أنه الإنسان الكامل والنموذجي الذي لا تربطه أي علاقة بالدنيا ومظاهرها الخداعة. ولم يكن يجب أن يخشاه أحد لهيبته ووقاره. لأنه يرى أن الإنسان موجوداً ينسباً إليها الإنسان ووجود الهي ومركز الفضائل الأخلاقية ويحمل روحاً أخلاقية خالدة والتي في آخر المطاف تعرج إلى الله تعالى. لذا فإن الناصر الكبير كان محباً للناس وبالأخص ممن يعمل لديه والكل يشعر بالأمان معه. وتنقل المصادر التاريخية "أن السيد الناصر كان لديه غلام، وقد ناداه عدة مرات ولكنه لم يجب. وعند خروجه من الدار، وجد غلامه جالساً قرب باب الدار، فقال له ما الذي دعاك إلى عدم إجابتي، قال الغلام: الإحساس بالأمن تجاهك. فوقع الناصر على الأرض وسجد لله شكراً وقال: الشكر لله الذي جعل عباده في أمان من شري. ثم قال للغلام اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى." (المصدر نفسه، ١٩٨٧: ٢١٦)

٤- احترام وتقدير الإنسان

إن الناصر الكبير يقدر ويحترم جميع البشر من الناحية الأخلاقية. وينهى بشدة عن احتقار الآخرين وإهانتهم والاستهزاء بهم، ولم يكن الشكل واللون والثروة... له أي معيار بالنسبة إليه، بل إن الإنسان محترم وعزيز لديه بإنسانيته. وما هو معروف في عالم اليوم بأنه للوصول إلى المسؤولية والإدارة لا بد من العبور من محاکمات رستم السبعة فان ذلك في حكومة الناصر لم يكن متداولاً. فبرأيه، إن الإنسان كائن حر وحاجاته المادية لا يمكن أن تجعله عبد غيره وتسلب منه حريته التي وهبها إياه الله تعالى، حتى وان لم يكن مسلماً. وان خطبة الناصر الكبير عند دخوله إلى مدينة أمل توضح أسمى القيم والكرامة الإنسانية.

"أيها الناس إنكم لا يجبكم عني احد، فلا يوجد على باب داري بواب أو حاجب، ولا يوجد حارسا لدي، وكبيركم أخي وصغيركم ابني..." (المصدر نفسه: ٢١٥)، ولذلك فان الحسن بن علي في مجال تبليغ وتوضيح المعارف الحقّة للإسلام هو في موقع الحارس والمدافع عن الشريعة المحمدية ليرسم ويهدي الجميع إلى طريق الخير والسعادة.

٥- تواضعه

إن الناصر الكبير باعتباره احد قادة الدولة العلوية، كان يتمتع بموقع سياسي واجتماعي كبير جداً، ومع مقامه هذا فانه كان متواضعاً إلى حد كبير بحيث انه يعتبر قدوة كبيرة للمسلمين في زمانه وللأجيال القادمة.

وكما تنقل المصادر التاريخية " في يوم ما كان هناك شاعر ينشد في مجلس الناصر الكبير شعراً يمدحه فيها. وعندما بدأ الشاعر بإلقاء قصيدته أشار الناصر الكبير بيده إلى أذنه ليخبره بأنه لا يسمع ولا فائدة من إلقاء الشعر. ولكن

الشاعر اخذ يتوسل بناصر الكبير ليسمح له بإلقاء قصيدته، فسمح له الناصر الكبير. ومن ثم استمر الشاعر بإلقاء قصيدته حتى وصل إلى بيت شعري قد اخطأ في إعرابه. ولكن الناصر الكبير نبهه على خطئه. فضحك الناس وقالوا يا الناصر الم تقل انك لا تسمع؟ فضحك ناصر. " (الهاروني، ١٤٢٢: ١٢٥)

إن ما فعله الناصر الكبير في هذه القصة دليل على قمة التواضع، وهي تشير إلى أن الناصر الكبير لم يكن مستعداً لسماع المديح والإطراء.

إن الناصر الكبير كان إنساناً يحمل أخلاقاً عالية وروحاً لطيفة ومتواضعاً، بحيث أن مؤلف كتاب (العلويون في طبرستان) يقول: " لأنه اخذ البيعة من أهل مدينة أمل وكانوا يعيشون تحت ظل رأفته وعاطفته فقد عفا عنهم و كانوا في امن وراحة لحسن سيرته وصلاحه "

إن أخلاقه الحسنة مع الناس والتي كانت مصحوبة بالعدل والإنصاف تبين مدى فضله وتقواه. وهذه المعاملة الحسنة كانت سبباً في أن يبايعه حكام طبرستان والديلم. (ابن اسفنديار، ١٣٦٦: ٢٦٨) وذلك لان الناصر الكبير كان يسير بهم على نهج الإسلام.

التثقيف ونشر العلوم والمعارف

في مجال الثقافة ونشر المعارف الدينية فإننا نشهد جهود مستمرة وواسعة لناصر الكبير في سبيل ذلك. لأنه كان كاتباً ومقاتلاً في الوقت نفسه، فمن جانب فهو قد كان عالماً ومن جانب آخر كان يحمل الراية خفاقة. لذا فهو يعد من الشيعة القلائل الذين مزجوا العلم بالعمل. وسنشير الآن إلى بعض التطورات الثقافية التي شهدتها عصر الناصر الكبير.

جهاد الناصر الثقافي

إن هجرة العلويين إلى طبرستان والديلم ترك تأثيرات فكرية وثقافية مهمة في تلك المناطق. إن يحيى بن عبد الله دخل تلك المناطق، ودعا أهل الديلم إلى الإسلام، وبنى مسجدا هناك. واستطاع أن يهدي قلوب الناس إلى الإسلام. وبعد ذلك فإن تواجد العلويين في تلك المناطق ترك وبالتدريج تأثيرات إيجابية في أذهان الناس، حيث أصبح أهل تلك المناطق بالخصوص معروفين بالطهارة والزهد والتقوى. (ابن اسفنديار، ١٣٦٦: ٢٢٨)

إن الناصر الكبير باعتباره أحد علماء الشيعة الكبار، فإنه قد أعلن للناس في بداية توسعته لدولة العلويين: "إنني أبايعكم على تطبيق ما في كتاب الله وسنة رسوله (ص) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر." (المصدر نفسه: ٢٢٩)، فإنه قد ابتدأ حركته الدعوية على هذا الأساس والذي يشير إلى وجود خطة معينة لديه.

إن النشاطات الفكرية والثقافية شملت تأسيس مكتبة ومسجد ومدرسة ونشر وتبليغ الدين الإسلامي. وقد ذكر المسعودي: "إن الناصر الكبير قد قام بنشاطات فكرية وثقافية وتربية الطلاب وإرسالهم إلى المناطق المختلفة لتبليغ الدين الإسلامي وبناء المساجد." (المسعودي، ١٣٨٥، ج ٤: ٣٣٧)

إن الناصر الكبير كانت لديه إجراءات خاصة في مجال نشر الثقافة والعلم والفكر بواسطة حكومة شيعية جديدة التأسيس، ومن أهم تلك الإجراءات: الدعم المالي والمعنوي لأصحاب العلم والفكر باعتبارهم المبلغين والناشرين للفكر العظيم للشيعة. (الصمدى، ١٣٧٠: ١٢٠)

تشكيل مجلس استشاري من الفقهاء والعلماء الشيعة للمناظرة والحوار. (الهاروني، ١٤٢٢: ١٢١)

دعوة سادة طبرستان لنشر الثقافة والفكر الشيعي والجهاد الثقافي. (فقيه محمدى، ١٣٨٩: ٣٨٣)

إقامة وتأسيس مراكز في جيلان وديلمان وآمل لممارسة النشاطات الثقافية والدينية. (المرعشى، ١٣٦٣: ٣٠٢)

تعليم وتدرّيس القرآن الكريم ونشر- ثقافة الأسماء الإسلامية (مادلونگ، ١٩٧٨: ٨٣)

تكریم وتشجيع الشعراء من خلال دفع الهدايا لهم. (ابن اسفنديار، ١٣٦٦: ٢٧٥)

تأليف الكتب الكثيرة في المجالات المختلفة. حيث وصلت طبقا لنقل بعض المصادر التاريخية إلى ما يقارب ٣٠ مجلداً (الناصر للحق، ١٤١٨: ١٤)

تأسيس مساجد ومدرسة بعنوان مراكز ثقافية مهمة (المسعودى، ١٣٨٥، ج ٤: ٣٧٣)

تدرّيس الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم (الأمين، ١٤٠٣، ج ٥: ١٨٠)

وبلا شك فان من النتائج المهمة للجهاد الثقافي والفكري والإجراءات التي اتخذها الناصر الكبير في هذا السبيل هو إحياء حكومة العلويين في طبرستان بعد فترة من الركود.

تأسيس أول مراكز تعليمية

طبقا لما وصلنا من الإخبار والروايات التاريخية فإن أصحاب الدعوة العلوية كانوا هم من أصحاب الفضل والعلم والمعرفة وقبورهم أصبحت ملجأ وملاذا للمحققين في العلوم الدينية ومختلف الفضلاء.

وقد كتبوا حول الناصر الكبير والذي كان هو من كبار أهل العلم والفكر في الدولة العلوية: "انه كان له اهتمام خاص بالتربية والتعليم والتعلم، وقد نسب

بعض المحققين لناصر الكبير انه أنشأ أول مراكز تعليمية في إطار مدرسة في عهده. " (صديق، ٧٩)

وعلى كل حال فانه من المؤكد أن الناصر الكبير يعتبر من أول الحكام في مجال التعليم والتربية أبدى اهتماما خاصا بالتعليم العام. ويعتقد الدكتور ميترامهر آبادي في كتاب تاريخ السلالات الإيرانية: " يمكن القول أن ابرز الشخصيات العلمية والأدبية في دولة العلويين هو الناصر الكبير. " (مهرآبادي، ١٣٨٧: ٤٦١)

وفي الحقيقة فانه يمكن القول ان هذه المدارس كانت تعتبر من اكبر العوامل لنشر الثقافة وتربية العلماء الكبار والتي تفتخر بهم هذه الأرض والديار. ومن هذه المدارس يمكن ذكر حوزتين علميتين دراسيتين مهمتين في مدينة آمل وهما مدرسة الناصر الكبير ومدرسة الداعي الصغير. (سيد كباري، ١٣٨٧: ٥٥٠)

ويكتب ظهير الدين المرعشي كذلك: " وحول محل دفن الأطروش حاليا، توجد مدرسة كانت عامرة لسنوات ، والأطروش كان ساكنا هناك لفترة من الزمن وكان الناس يقدمون من النواحي عند الأطروش للاستفادة من علوم الفقه والحديث. "

ولهذا السبب يمكن القول ان عصر حكومة الناصر الكبير تعتبر من العصور المزدهرة في تاريخ طبرستان بسبب الأوضاع الثقافية والتعليمية والاجتماعية. (المرعشي، ١٣٦٣: ٣٠٨؛ قهرمانى نجاد، ١٣٨٧: ١٠٢)

مؤلفات الناصر الكبير

إن الناصر الكبير إضافة لكتابه ونظمه للشعر، فانه كان كاتباً كبيراً حيث كتب أكثر من ثلاثمائة كتاب. (الناصر للحق، ١٤١٨: ١٤)

وان مشاركته في ساحات الجهاد والحرب وتجهيز الجيوش والتفكير في أمور المسلمين والدعوة إلى الله تعالى ، كل ذلك لم يمنع الناصر الكبير من التأليف والكتابة ، حيث ترك لنا ميراثا عظيما من الكتب وفي جميع الميادين العلمية.

وقد ذكر المؤرخون بعض كتبه:

١- البساط: وهو يتناول فيه أهم المسائل التي يختلف حولها الناس والحقائق الدينية مثل: الإيمان والكفر والنفاق والهداية والضلال والجبر والقضاء والقدر.

٢- التفسير: وهو قد استشهد فيه بألف بيت شعر من ألف قصيدة.

٣- الحجج الواضحة بالدلائل الراجعة، ويتكلم فيه حول الإمامة.

٤- الأمالي في الحديث، وموضوعه حول فضائل ومناقب أهل بيت الرسول عليه وعليهم السلام.

٥- كتاب حول أصول الدين لم يعرف اسمه.

٦- المغنى؛ ٧. المسفر؛ ٨. الصفى؛ ٩. فذك والخمس؛ ١٠. الشهداء؛ ١١.

فصاحة ابى طالب؛ ١٢. معاذير بنى هاشم فيما نقم عليهم؛ ١٣. انساب الأئمة و مواليدهم؛ ١٤. الظلامة الفاطمية. (الأمين، ١٤٠٣، ج ٥: ١٨٤-١٧٩)

وقد جمع العلماء في حياته وبعد وفاته مجموعة من الكتب في مجال الفقه والحديث ، ومن هؤلاء أبو عبد الله القاضي، حيث كان يحضر في مجلس الناصر الكبير وكان يجمع كل ما يسمع منه في فنون العلوم المختلفة، ومنها:

١٥. ألفاظ الناصر؛ ١٦. الباهر فى الفقه والذي جمعه احد علماء عصره؛

١٧. الحاصر لفقه الناصر والذي جمعه الإمام المؤيد بالله؛ ١٨؛ الناظم، فى فقه

الناصر وهو من ابو طالب؛ ١٩. الموجز فى فقهه، وهو من الشيخ أبو القاسم

البستي؛ ٢٠. الإبانة فى فقهه وقد شرح في أربعة مجلدات كبيرة من قبل الشيخ

أبي الهوسمى. (الناصر للحق، ١٤١٨: ١٥-١٤)

وإضافة لذلك، فإن الناصر الكبير الفقيه والعالم والشاعر قد ترك لنا مؤلفات كثيرة، والتي نذكر منها:

١. كتاب الطهارة؛ ٢. كتاب الأذان والإقامة؛ ٣. كتاب الصلاة؛ ٤. كتاب اصول الزكاة؛ ٥. كتاب الصيام؛ ٦. كتاب الإمامة؛ ٧. كتاب السير؛ ٨. كتاب الإيمان والنذور؛ ٩. كتاب الرهن؛ ١٠. كتاب البيع؛ ١١. كتاب بيع أمهات الأولاد؛ ١٢. كتاب القسامة؛ ١٣. كتاب الشفعة؛ ١٤. كتاب الغصب؛ ١٥. كتاب الحدود، وكتب أخرى كثيرة.

وكذلك فقد ذكر النجاشي في كتاب الرجال أن الناصر الكبير لديه كتابان في مسألة الإمامة، أحدهما كبير والآخر صغير. (حكيميان، ١٣٤٨: ١٠٠)، ولديه كتاب فقهي في الطلاق والخمس، وعدة كتب في موضوع فدك والشهداء وفصاحة أبي طالب وحول الأئمة عليهم السلام ومواليدهم إلى صاحب العصر- والزمان. (التستري، ١٤١٠، ج ٣: ٢٩٨)

٧- فضائل ومناقب وكرامات الناصر الكبير

إن العزة والاحترام للسادة العلويين عند أهل طبرستان له أساس يستمد من زهدهم وتقواهم وورعهم، ولذلك فقد ذكرت فضائل وكرامات كثيرة للسادة العلويين، ومنهم الناصر الكبير هذا السيد الذي جمع في شخصه الصفات الحسنة. وقد نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه في إحدى خطبه قال: "سيظهر في ناحية الديلم من جبال طبرستان شاب اسمه على اسم سبط النبي (ص) الحسن بن علي عليه السلام" (مادلونغ، ١٩٨٧: ٢١١)

إن المجد والعظمة والشرف لناصر الكبير كانت بالحد الذي لا يمكن لأحد أن يجاريه فيها. لذلك فإن الحكومة العباسية كانت تسعى لتقتل الناصر

الكبير من خلال دس السم إليه ولم تفلح، وينقل الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي، ان احد الأشرار في طبرستان كان قد ربى كلبا وحشيا، وكان يرسله ليقطع الطريق على المارة والغريب والوحيد منهم، ليسرق أمواله، وكان يترك الكلب ليقتلهم في بعض الأحيان.

وفي يوم من الأيام كان الناصر الكبير في طريق هذا الرجل الشرير، وهجم الكلب على الناصر الكبير طبقا لأوامر صاحبه، وعندما وصل إليه جلس بقربه ولم يهجم عليه، فأعطاه الناصر الكبير مقداراً من الطعام وطلب من الله تعالى أن يسلط الكلب على صاحبه، فأشار للكلب وأرسله باتجاه صاحبه، وهجم الكلب على صاحبه وافترسه. وبعد تلك الحادثة تبع الكلب الناصر الكبير. (ابن فند، بى تا، ج ٢: ٣٢)

وبقي هذا الكلب مدة طويلة يخرج مع الناصر الكبير في حروبه ومواجهته للأعداء، حتى أن رجلاً دعا الناصر الكبير لمأدبة في داره، فأجابه الناصر الكبير وكان الناصر في المقدمة و الكلب يمشي- خلفه حتى وصلوا إلى منزل ذلك الرجل، وعندما وضعوا الأكل أمام الناصر، اخذ الكلب ينبج بصوت عال وبخلاف عادته، حتى يمنع الناصر الكبير من تناول الطعام. وصعد على قلة، فانزلوه قرب الناصر، ومن ثم صعد الدرج فأمر الناصر أن ينزلوه مرة أخرى حتى جلس أمام الناصر واكل من الطعام قليلاً وتسمم وهلك. وأنقذ الناصر الكبير وأصحابه من خطر كبير. ففدى الكلب نفسه وأنقذ الناصر الكبير بتناوله الأكل المسموم. (المصدر نفسه: ٣٢)

وقد ذكر في سيرته ان الحاكم الذي كان قبل الناصر الكبير وهو محمد بن زيد العلوي كان يصر على الناصر الكبير- والذي كان صديقاً مقرباً له- ان يجلس على دكة القضاء. ولكنه امتنع عن قبول منصب القضاء، ولكنه بعد إصرار محمد

عليه قال له : إنني إذا اجلس على كرسي القضاء ، فإن أول شخص أقدمه للمحاكمة كمتهم هو محمد بن زيد الحاكم العلوي. (الحسني، ١٤٢٣ : ٥٤٤)

وقد ذكروا أيضا في أحوال الناصر الكبير انه كان في يوم من الأيام واقفا إلى جانب النهر ، وكانت في ذلك النهر ضفادع وأفاعي كثيرة ، فخرجت ضفدعة من النهر وكانت تلاحقها أفعى لتأكلها، فالتجأت الضفدعة عند ناصر الكبير، فطلب الناصر الكبير من الله أن يسلط الضفدعة على الأفعى ، فاستجاب الله دعاءه، وطاردت الضفدعة الأفعى فقتلتها، ولازال هذا الأمر على حاله إلى الآن، حيث إن الضفادع في تلك المنطقة تقتل الأفاعي. (مادلونغ، ١٩٨٧ : ٢٢٤)

وهذه الأمور تشير إلى الفضائل الكثيرة لناصر الكبير ومدى قربه من الله تعالى.

النتيجة

- إن هناك نتائج يمكن أن نستخلصها بعد هذه الدراسة " دراسة تحليلية لسيرة الناصر الكبير من وجهة نظر أخلاقية وثقافية "
- ١- إن الناصر الكبير قد أحيى حكومة العلويين والتي كانت من أولى الحكومات الشيعية التي أرادت تطبيق القوانين الإلهية.
 - ٢- يعد الناصر للحق - من بين العلويين في طبرستان- من أفضل الشخصيات التي يقتدي بها الناس في المجال الأخلاقي والثقافي.
 - ٣- لقد أرسى الناصر للحق أسمى سنة وسيرة أخلاقية وبالأخص في مدة الثلاث سنوات ونيف التي حكم فيها وذلك من خلال سلوكه الأخلاقي والإنساني .
 - ٤- ومن بين صفاته وسيرته الأخلاقية يمكن ذكر صفة العفو لديه ، وثبات الشخصية في مجال العمل، وتصرفاته وسلوكه الحسن مع الرعية والعاملين تحت إمرته ، واحترام الإنسان والتواضع .
 - ٥- إن ناصر الكبير بعد نشره هذه الثقافة والفكر دعا إلى الجهاد الثقافي لنشر- الفكر والأخلاق في أقصى مكان ممكن .
 - ٦- كانت هناك إجراءات كثيرة لناصر الكبير في مجال الجهاد الثقافي، والتي يمكن أن نذكر منها : الدعم المالي والمعنوي الذي قدمه لأصحاب العلم والثقافة ودعوة السادة العلويين في طبرستان للتبليغ، وإرساء وتأسيس المراكز الثقافية والفكرية والتعليمية، وتعليم القرآن الكريم ونشر- ثقافة الأسماء الإسلامية ، وتأسيس المساجد والمدارس ، وتدريس الفقه وتفسير القرآن الكريم ، وتأليف الكتب الكثيرة، وتشجيع الشعراء .
 - ٧- كان عصر حكومة الناصر الكبير من العصور المزدهرة في تاريخ طبرستان وذلك لتحسن وازدهار الأوضاع الثقافية والتعليمية والاجتماعية.

- ٨- إن طبرستان والديلم كان لهما الفخر أن تأسست فيهما أول حكومة ودولة شيعية مستقلة، واستضافت على ربوعها رجال أطهار من نسل الرسول(ص).
- ٩- كان الناصر الكبير يجمع في شخصيته الصفات الحسنة والأخلاق الفاضلة والكرامات .
- ١٠- كما ورد عن بعض المصادر التاريخية فإن الناصر الكبير كان كاتباً ومؤلفاً كبيراً حيث بلغت مؤلفاته ما يقارب ٣٠٠ كتاب.
- ١١- إن الناصر للحق كان من الحكام الشيعة القلائل الذين استطاعوا أن يجمعوا بين العلم والعقل و الجهاد و الحكم، فقد كان عالماً كبيراً، وكان كذلك يحمل لواء الجهاد بيده خفاً.

المصادر والمراجع :

- ١- الآمدى، عبدالواحد بن محمد (١٣٦٣)؛ غرر الحكم و درر الكلم، المترجم محمد على انصاري، قم: عصر إمام.
- ٢- ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن (١٣٦٦)؛ تاريخ طبرستان، تصحيح عباس إقبال آشتياني، بی جا، مطبعة بديده.
- ٣- ابن خلدون، عبدالرحمن (١٣٩١)؛ تاريخ ابن خلدون، بيروت: مؤسسة الاعلمى.
- ٥- ابن فند، بدرالدين محمد بن علي الصمدى (بيتا)؛ مآثر الأبرار، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه خالد قاسم المتوكل، الاردن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
- ٨- الأمين، سيد محسن (١٤٠٣)؛ أعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
- ١٢- جعفریان، رسول (١٣٧٥)؛ تاريخ تشييع در ايران (تاريخ الشيعة في إيران)، قم: أنصاريان.
- ١٣- الحسنی، أبو العباس احمد بن إبراهيم (١٤٢٣)؛ المصاييح، اليمن: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.
- ١٤- حكيميان، أبو الفتح (١٣٦٨)؛ علويان طبرستان (العلويون في طبرستان)، تقریظ عبدالحسين زرین كوب، طهران: جامعة طهران.
- ١٥- دهخدا، علی اکبر (١٣٣٢)؛ لغت نامه (المعجم)، تحت اشراف محمد معين، طهران: جامعة طهران.
- ١٧- سيد كباری، سيد علي رضا (١٣٨٧)؛ حوزه های علمیه شیعه در گستره ی جهان (الحوزات والمدارس العلمية للشيعة في العالم): طهران: أمير كبير.
- ١٨- صديق، عيسى (١٣٥٥)؛ دوره مختصر تاريخ فرهنگ ایران (دورة مختصرة في تاريخ إيران الثقافي)، طهران: شركة مساهمة لطبع الكتاب.
- ١٩- الصمدى، حسين (١٣٧٠)؛ در قلمرو مازندران (في إقليم مازندران)، بابل: نقش جهان.
- ٢٠- الطبرسى، ابوعلی فضل بن حسن (١٤١٥)؛ مجمع البيان فى تفسير القرآن، بيروت: مؤسسة الاعلمى.

- ٢١- فقيه محمدى جلالى، محمد مهدي (١٣٨٥)؛ تاريخ تشييع و مزارات شهرستان سارى (تاريخ التشيع والمزارات في مدينة ساري)، قم: وثوق.
- ٢٢-، (١٣٨٧)؛ امامزادگان حافظ (أبناء الأئمة الحفاظ)، المفسر و قارى القرآن، قم: فقه.
- ٢٤- قهرمانى نژاد شائق، بهاء الدين (١٣٨٧)؛ علويان طبرستان (العلويون في طبرستان)، قم: نور السجاد.
- ٢٥- مادلونغ، ويلفرد (١٩٨٧)؛ أخبار أئمة الزيدية، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.
- ٢٦- مجد، مصطفى (١٣٨٦)؛ ظهور و سقوط علويان طبرستان (ظهور و سقوط العلويين في طبرستان)، طهران: نشر رسانش.
- ٢٧- المرعشى، ظهير الدين (١٣٦٣)؛ تاريخ طبرستان و رويان و مازندران، باهتمام برنهارد دارن، طهران: نشر گستره.
- ٢٨- المسعودى، أبو الحسن على بن حسين، (١٣٨٥)؛ مروج الذهب، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ٣١- مصطفى، إبراهيم و آخرون (١٣٨٥)؛ المعجم الوسيط، طهران: مكتبة المرتضوى.
- ٣٢- مهرآبادى، ميترا (١٣٨٧)؛ تاريخ سلسله هاى المحلى إيران (تاريخ السلالات المحلية في إيران)، طهران: دنيای كتاب.
- ٣٣- الميرداماد، مير محمد باقر (١٤٠٥)؛ الرواشح السماوية، قم: مكتبة آية الله المرعشى.
- ٣٤- الناصر للحق، حسن بن على (١٤١٨)؛ البساط، تحقيق عبد الكريم احمد جذبان، صعه: مكتبة التراث الإسلامى.
- ٣٥- الهارونى، أبو طالب يحيى بن حسين (١٤١٦)؛ الإفادة فى تاريخ أئمة السادة، تحقيق محمد سالم يحيى عزان، الاردن: مؤسسة الإمام زيد بن على الثقافية.

الخدمات والتوجهات الثقافية

والاجتماعية للناصر الأطروس في شمالي ايران

السيد علي ميراحمدي

ماجستير في فرق التشيع من جامعة الاديان والمذاهب الاسلامية

المقدمة

بعد مضي حوالي نصف قرن من الايام الأولى لمساعي العلويين لبسط نفوذهم وهيمنتهم علي الجيل والديلم اصبح الاسلام الدين الوحيد لتلك البلاد. ان اقتدار القاده العلويين والتزامهم بالاخلاق والسيرة النبوية زاد سرعة نفوذ الاسلام في هذه المنطقة . وقد تحقق هذا الامر في اواخر القرن الثالث للهجرة علي يد احد الشخصيات العلوية الشهيرة والمحترمة ، سيد من أعتاب الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) المعروف بـ " الناصر الأطروش " .
ان إمامه بالعلوم واقتداره وسلوكه الفريد مع الناس في شمالي ايران جعل منه قائدا شعبيا وطارت شهرته طوال القرون وملا ذكره الافواه والاسماع وسجل لنفسه صفحات مشرقه في تاريخ هذا البلد.

نحن في هذا المقال سنتطرق الى كيفية تعامل وسلوك الناصر الأطروش مع الجنود والاقرباء واهالي الديلم وجيلان وطبرستان وتوجهه الثقافي عند مواجهه الملوك والساسة والخدمات التي قدمها الى ثقافته هذا البلد.

ان بعض المواضيع التاريخية كهذا الموضوع لها مصادر محدودة وموازية ونصوص مكرره ولهذا سوف نجتنب في هذا المقال عن ذكر الوثائق التاريخية المكرره وتقديم التحاليل الشخصية ونستفيد من المصادر الرئيسية ذات النصوص المتقنه الموثوقة .

يضم هذا المقال ثلاثة فصول : الفصل الاول يشتمل علي تاريخ موجز لدولة طبرستان والديلم واطواها الثقافية ويتطرق بشكل ملخص الى آثار الناصر وشخصيته العلمية والدينية ويتطرق قليلا ايضا الى وجهه نظر الزيدية بالنسبة الى موضوع الامامة والفصل الثاني يتطرق الى توجهات الناصر الثقافية والاجتماعية في ديلمان و طبرستان وفي فصل الثالث نتطرق الى خدماته الثقافية والعلمية.

١ - العلويون والناصر الأطروش في شمالي إيران

ان شمالي ايران بسبب طبيعتها وموقعها الجغرافي الخاص وسلسله جبالها الشاهقه وغاباتها واتصالها بالبحر تعتبر منطقه رائعه للحياة والسكن .

ان بني العباس بعد استيلائهم علي الحكم اظهروا مدي كراهيتهم وعداوتهم وبغضهم لال محمد (ص) وقاموا بقمع العلويين واستئصالهم وفرضوا ضغوطا كبيره عليهم وقد اضطر العلويون الى الهروب من بطش الحكومه العباسية الجائره وغادروا الحجاز والعراق وكما قلنا سابقا فان الظروف الاقليمية الرائعة في شمالي ايران استقطبتهم الى هذا البلد.

إن ظروف شمالي ايران الجغرافية الخاصة كانت تساعد العلويين لكي يكونوا في امان من هجوم اعدائهم الدينيين والمسافه الكبيره التي كانت تفصل حكومه بني العباس عن شمالي ايران وفرت الفرصة للعلويين لكي يهتموا بأمر التبليغ وترويج الاسلام ومدرسه التشيع بنفس مطمئنه وبال مرتاح.

عندما دخل العلويون الى مناطق ايران الشمالية كان اكثر اهالي جيلان وديلمان مجوسا لكن بعد استتباب واستقرار الدوله العلوية اعتنق الاهالي الاسلام شيئا فشيئا ٤ .

جدير بالذكر ان القاده العلويين هم أنفسهم كانوا من العلماء وأفاضل دهرهم (الأملي، ص ١٤٦؛ المرعشي ١٣٤٥، ١٢٧) وقد تبنا الشؤون الدينية والثقافية للمجتمع ومن خلال السيطره علي بعض النواحي في شمالي ايران أسسوا مقرا شيعيا فيها. ان المستندات والوثائق التاريخية تشير الى ان التشيع العلوي في بداية الامر كان من نوع التشيع الزيدي.

ان العلويين بعد توطيد حكومتهم من خلال بناء العديد من المساجد (الحسني، ص ٦٠٤) قاموا بإنشاء البني التحتية الثقافية والدينية بشكل جيد وبعدها اهتموا بإنشاء المدارس العلمية لترويج وتطوير العلوم الدينية (الأملي، ص ١١٢) وقاموا بتربية وتعليم علماء الدين الكبار في هذه المدارس مما قدمت عددا كبيرا من فحول العلم والادب والفقهاء للمجتمع. (شوشتري، ج ١، ص ٩٧)

ان نشر المدرسه الاسلاميه وتنفيذ الاحكام الالهية ومكافحه الظلم والجور ونهب ثروات المسلمين هي من أهم النقاط التي رسمت تاريخ تواجد الساده العلويين في شمالي ايران . (مرعشي ١٣٤٥، ١٣٦ و ١٣٧) وكان يحظي العلويون بحسن الثقة والمعتقدات لدي الاهالي في شمالي ايران (نفس المصدر، ص ١٢٧) وقد استثمروا هذا الامر لنشر المذهب الشيعي. لكن بعض الاحيان كانوا يتنازلون عن الحكم لصالح منافسيهم .

دخل الناصر الأطروش جيلان والديلم في شمالي ايران بعد استشهاد محمد بن زيد العلوي عام ٢٨٧ للهجرة عندما كانت الحكومه تنتقل من العلويين الى السامانيين .

الناصر الأطروش امام مجاهد و مجتهد

ابو محمد حسن بن علي بن حسن بن علي بن عمر اشرف بن علي بن حسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام الملقب ب "الناصر للحق" والمعروف ب "الناصر الأطروش"، "الناصر الكبير" و "صاحب الديلم" (فخر الرازي، ص ١٣٦) كان سيدا طويل القامة، أسمر اللون (الهاروني، ١٤١٧ ص ١٤٧) أمه أم ولد خراسانية الاصل (نفس المصدر) ولد عام ٢٣٠ للهجرة في المدينة. إنه جد السيد مرتضي والسيد رضي علم الهدي من جهة الام. (الأمين، ج ٥، ص ١٧٩) لا علم لنا بطفولة الناصر سوى تقارير متفرقة.

هاجر الأطروش في عهد حكومة حسن بن زيد الحسني مؤسس دولة العلويين المستقلة في طبرستان (٢٧٠ - ٢٥٠ ق) المعروف بالداعي الكبير الى طبرستان وبعد موته التحق بأخيه محمد بن زيد (٢٨٧ - ٢٧٠ ق). (الهاروني، ١٤١٧ ص ١٤٨-١٤٧)

وقد سافر الناصر بعد فترة وجيزة في الخفا لكي يدعوا الناس الى الاسلام وإلى الداعي محمد لكنه تم اعتقاله وتعذيبه هناك (نفس المصدر، ص ١٤٧) وبعد مقتل محمد بن زيد عام ٢٨٧ للهجرة خلال الحرب مع السامانيين ذهب الى مدينه ري ومن ثم الى الديلم ومن هناك حاول مرتين خلال عامي ٢٨٩ و ٢٩٠ فتح طبرستان مجددا لكنه واجه الفشل. (الهاروني، ١٤١٧ ص ١٥٥-١٥٤) إن الناصر الأطروش مره اخري عام ٢٩٣ للهجرة ارسل جيشه الى طبرستان لكنه انهزم وقتل الكثير من اصحابه. (الصابي، ص ٢٦)

ان الأطروش بعد مرور اعوام من السفر ونشر الاسلام في الجيل والديلم وتغيير الاوضاع في طبرستان واستياء الناس من حكاهم في تلك الديار ارسل جيشه مره اخري عام ٣٠١ الى طبرستان وبعد فتح جالوس تمكن من الدخول الى طبرستان واخيرا تمكن من فتح آمل. (ابن اسفنديار، ج ١، ٢٦٩-٢٦٨)

حكم الناصر الكبير في مدينه آمل حتي عام ٣٠٤ بالعدل بين الناس وبعد ان مضت حياته في الجهاد في سبيل الله توفي في ال ٢٥ من شهر شعبان عام ٣٠٤ للهجره في ٧٤ من العمر ودفن في مدينه آمل . ان مرقد الناصر منذ تلك الايام والي الان محط احترام الناس في تلك الديار . (الأمين، ج ٥، ص ١٧٩)

كان الأطروش قائداً تقياً مقتدراً (الحسني، ص ٦٠٣) ورجلاً فاضلاً خبيراً بجميع العلوم وله مؤلفات (آملي، ص ١٠٤) ويعترف الجميع بمقامه العلمي والفقهية . (علم الهدى ، سيد مرتضى، ص ٦٢) ويعتبره الجميع ادبياً شاعراً عالماً حاضراً البديهة وعلامة والخبير في الفقه والدين (ابن الأثير، ج ٨، ص ٨٢) ومن أصحاب الامام الهادي (ع) (الطوسي، ص ٤١٢)

آثار الناصر

كانت شخصية الناصر العلمية كشخصيته السياسية ممتازة وذكر له آثار كثيرة لكن لم يصل الينا من هذه الآثار الا القليل جداً . ابن النديم (م ٣٨٠ هـ ق) يشير الى مزاعم الزيدية بان الناصر له اكثر من مائة تاليف لكنه يعترف بانه لم يشاهد هذه المؤلفات . (ابن النديم ص ٢٤٤) لكن بعض العلماء المعاصرين للزيدية مثل مجد الدين المؤيدي دون ان يذكر المصادر افاد نقلا عن بعض الاشخاص ان مؤلفات الناصر تبلغ حوالي ٣٠٠ تأليف (المؤيدي، ص ١٨٦)

بعض مؤلفات الناصر التي ذكرها المؤيدي في كتابه هي : البساط، المغني ، المسفر، الصفي، الباهر (ان هذه الكتب تم جمعها من قبل بعض العلماء المعاصرين لناصر) التفسير (الذي يشتمل علي الف بيت من الف قصيدة) الامالي (الذي يحتوي علي فضائل اهل البيت عليهم السلام) .

قد كتب ابو عبدالله الوليدي احد تلاميذ الناصر بعض الاقوال والاحاديث له و قد جمعها في كتاب باسم " الالفاظ " والذي حالياً لم نجد له أثراً لكن هذا

الكتاب كان موجودا حتي القرن الخامس للهجرة . ان كتاب البساط مع كتاب الاحتساب هما من الآثار القليلة المنتسبة الى الناصر التي وصلت الينا وتم نشرها حاليا في اليمن . (موسوي نجاد، ص ٦٩)

٢ - توجهات وتأثيرات الناصر الأطروش الثقافية والاجتماعية

ان اخلاق واسلوب حياة الناصر في مجتمع جيلان والديلم غير الاسلامي قد أثر ايجابياً بسرعة علي ظروف تلك المنطقة الثقافية . تمكن الناصر خلال ١٤ عاما من التواجد في الديلم وبعد ان قاد ثلاث سنوات المجتمع الكبير في طبرستان وجيلان والديلم تمكن من تطوير وتوسيع نفوذ الاسلام في تلك المنطقة بحيث ان الكثير من المورخين قد اذعنوا ان انتشار الاسلام في منطقته جيلان والديلم كان مرهون بمساعي الناصر في مجال التبليغ وقد أثر علي الناس في تلك الديار بحيث ان بعض الذين اعتنقوا الاسلام بدلوا اسمائهم الى اسماء اسلامية . (الحسني، ص ٦٠٤)

ان التدقيق في تعامل واسلوب الناصر الاجتماعية وذكر مصاديق هذا التعامل يفتح امامنا ملفا من اساليب وتوجهات ناصر . بعبارة اخري من خلال التدقيق في تعامل الناصر خلال فترتي التبليغ والحكم بامكاننا ان نتعرف علي اساليب الناصر الدعائية بين اهالي شمالي ايران .

دراسة الأساليب الدعائية لناصر الأطروش علي اساس قياس السلوك

عندما دخل الناصر الأطروش الى بلاد الجيل والديلم لم تكن هناك آثار دينية سوى نار ومعابد المجوس . ادرك اطروش ان من اجل سيطرة الاسلام علي

مثل هذه المنطقة لا يحتاج الى ارسال الجيوش بل بإمكانه ان يدعو الناس الى الاسلام من خلال اتخاذ اسلوب صحيح و الرسوخ في قلوبهم .
ان دراسته تاريخ الناصر خلال فتره التبليغ والتي استمرت اربعة عشر- عاما (٢٨٧-٣٠١) وايضا خلال عهد الزعامه والقيادة السياسية (٣٠١-٣٠٤) نري ان ادائه الاعلامي كان يتصف بخمسه نقاط رئيسية وهي :

- ١ - التركيز علي الشخصية الاخلاقية المتعالية وتكريم الناس
- ٢ - حسن المعاشرة مع الناس والاعتناء والاهتمام بامورهم
- ٣ - السلم مع المعارضين
- ٤ - التاكيد علي بساطه العيش
- ٥ - الدعوة الى تحقيق العدل

التركيز على الشخصية الاخلاقية المتعالية وتكريم الناس

كان يحظي الناصر الأطروش بصفات اخلاقية متعالية وكان انسانا ذات اوصاف انسانية متكامله . (المحلي، ج٢، ص٥٦) حياته لم تخلو من العباده وكان زاهدا ناسكا تقيا . (الهاروني، ١٤١٧ ص ١٤٧)

وكان يحظي بسلوك فريد وكان عالما عاملا والناس توجهت نحو الاسلام بسبب علمه وعمله . في الحقيقة انه من خلال تعامله الكريم والسخي تمكن من استقطاب الناس نحو الاسلام ولو لم يكن هكذا لبقوا علي دين المجوسية سنوات عديده لان قبل الناصر كان هناك علويون يدعون الناس الى الاسلام لكن لم يحالفهم التوفيق كثيرا . انه أمضي ١٤ عاما من حياته في جيلان والديلم قام خلالها بارشاد الناس . (الحسني ص ٦٠٢) من الامور اللازمه لمثل هذه الاقامه الطويله ان يكون الشخص له ثبات خاص وان يكون له توجهها مبني علي الاخلاق الحسنه .

انه كان يعيش كسائر الناس ولم يتدارك لنفسه مكانه خاصة وكان بعض الاحيان يركب جواده ويخرج من المدينة ويلعب لعبة كرة الخيل . (المحلي، ج ٢، ص ٥٧) انه شخصيا كان يحضر جنازات الفقهاء وكبار المنطقة . (نفس المصدر)

انه لم يهتم بسعاية ووصايا الآخرين ضد الاشخاص . علي سبيل المثال كان ابنه ابو القاسم جعفر يذم الحسن بن القاسم عند أبيه دوما لان لم تربطه علاقة جيدة به وكان يحذر أبيه من بغضه وشنائه . (ابن اسفنديار، ج ١، ص ٢٧٥) لكن الناصر لم يهتم بكلامه ولم يلتفت اليه . (هاروني، ١٤١٧، ص ١٥٤) انه كان يمر من هذه الامور مرور الكرام .

بعد سنوات من وفاة الناصر ، قام عدد من العلويين خلافا لسيرة اجدادهم بالحق الاذي للناس لكن قام لهم شخص باسم " سياهجيل بن هروسندان" وخاطبهم قائلا ان حياة اهالي جيلان والديلم كانت تمر بجهل وضلال وقد انقذنا الله بأجدادكم من الجهل وأهدي لنا الاسلام وتعرفنا علي كتاب الله والفرائض والحلال والحرام من خلالهم وانهم كانوا يمضون علي سبيل الحق والرشاد لكن انتم اولادهم الآن تمضون علي غير ذاك السبيل وتلحقون الأذي بالناس . (الصابي، ص ١٥)

هذا التقرير يشير الى ان سلوك اجداد العلويين خاصة الناصر الأطروش في تكريم الناس والالتزام بالمبادئ والاخلاق الاسلامي كان له اثرا بليغا بين الناس وكان أمرا معروفا قد اشتهروا به بين الخلائق.

مدارة وملاطفة الناس ومتابعة شؤونهم

ان توجه الناصر الاجتماعي كان مبني علي التعاليم الاسلامية . انه ليس فقط في عهد التبليغ بل خلال فترة الحكم ايضا كان يتعامل مع الناس بلطف ومروءة . عندما كان حاكما في طبرستان كان في نواياه أن لا يستلم الضرائب من الناس الا

العُشر منها لكن الناس قد طلبوا منه ان يستلم منهم الضرائب كما كان يؤخذ منهم في الماضي أي يدفعوا ضرائب قليلة وقام وفقا لما طلبه الناس منه. (ابن اسفنديار، ج ١، ص ٢٧٠)

انه كان يسعى ان يكون له تواجد قوي بين مختلف الاقوام في جيلان والديلم. انه كان بعض الاحيان يقيم في "جلاكجان" لمتابعه شؤون الناس وحل مشاكلهم واصلاح امورهم وبعض الاحيان كان يتوجه الى "هوسم" مدينة رودسر الحالية وكان يتابع القضايا شخصيا. (المحلي، ج ٢، ص ٦٩)

ان الأطروش كان يتعامل مع الجيوش والساسة ايضا بمرؤة وانصاف. عندما ارتكب حسن بن قاسم قائد جُنده خيانة بحقه ونفاه الى قلعة لاريجان وهتك حرمة أهل بيته، إنه عفي عنه ولم يعاقبه. (ابن اسفنديار ج ١، ص ٢٧٤) وأجري صيغة النكاح بينه وبين بنت ابنه ابوالحسين احمد. (نفس المصدر) لكنه مع مداراة الناس والساسة وملاطفتهم كان يوجه لهم الوصايا الاخلاقية ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر. (المحلي، ج ٢، ص ٦١)

السلم مع معارضيه في الإتجاهات الدينية

ان الناصر الأطروش من اجل السيطرة علي الاوضاع في مناطق شمالي ايران كان لابد له ان يقاتل العديد من الاعداء. ان السامانيين هم أهم اعداء الناصر وأكبر عائق كان يحول دون استيلائه علي شمالي ايران. (ابن اسفنديار، ج ١، ص ٢٧١-٢٧٠) ان العديد من الحروب معهم قد شغلت القسم الاعظم من تفكيره وقدراته الجسمية ولهذا كان يتعد الناصر كل البعد عن اثاره العداوة والبغضاء بينه وبين مختلف الاقوام الدينية المعارضه له وكان يدعوهم الى السلم لكي لا تتلوث حكومته بالفتن الدينية. وتبني المداراة والرفق مع اهل السنه في المنطقة.

عندما أصبح حاكما علي مدينة آمل كان الكثير من اهالي هذه الديار هم من اهل السنه ولهذا كان ينبغي له اما ان يحاربهم او يدخل معهم في السلم . انه كان ذكيا ولهذا اختار الطريق الثاني . انه تصالح مع اباجعفر الذي كان من اتباع احمد بن حنبل وكان عدوا للزيدية وعقد معه معاهده السلام . (الصابي، ص ٢٤)

انه كتب الى معارضيه ونهاهم عن الحروب الطائفية والدينية . انه كتب الى الحسين بن علي الأملي الذي كان من معارضيه وكان يحرض الناس للجهاد ضد الناصر كتب له : " يا ابا علي نحن و اياكم خلفاء لسلفنا ومن واجب الخلف ان يتبع سلفه ويقتدي بهم . ان سلفك الذين تقتدي بهم انت هم من الصحابه من امثال عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمه واسامه بن زيد . هم الذين لم يقاتلوا معاوية ولم يذهبوا الى قتاله مع انهم كانوا يفضلون علي بن ابي طالب علي معاوية وكانوا يتشبهون بهذه الذريعه باننا لم نشهر سيوفنا علي الذين يشهدوا الشهادتين وهم من اهل التوحيد . فلماذا لم تختار انت طريق اسلافك ولم تتبعهم ؟ انت ايضا اجعلني مقام معاوية واجعل ابن نوح مقام المعارض لمعاوية ولا تقا تلني . انت ايضا لا تتدخل في هذا الامر (أي الخلاف بيني وبين ابن نوح الساماني) كما لم يتدخل اسلافك في الصراع بين علي ومعاوية . انت ايضا ابتعد عن القتال مع الذين يشهدوا الشهادتين كما كان يبتعد هم عن ذلك وخاصة من اراقه دماء الآخرين . يا ابا علي اعلم بأني قلت هذه الامور من باب الانصاف والمرؤة . (الهاروني، ص ١٠٣)

بساطة العيش

من ضمن الامور التي جعلت الناس يميلون الى الناصر هي بساطه العيش لديه . كانت عادة الحكام ان يبنوا لانفسهم قصورا وحريما (الحسني، ص ٦٠٧) لكن الناصر لم يبن لنفسه قصرا او عمارة فخمة أبدا وعندما كان يسئله احد عن

سبب حياته البسيطة كان يجيبه قائلا: " انا جئت من اجل الهدم والخراب (اي مكافحة الترف) وليس من أجل بناء العمارات واعادة بنائها. (الحسني، ص ٦٠٦) ابوطالب الهاروني ايضا يشير الى زهده. (هاروني، ١٤١٧، ص ١٤٧)

الدعوة الى تحقيق العدالة

الدعوة الى تحقيق العدالة كانت من ابرز الخصال لدي الناصر . انه في هذا المجال لم يكتفي بالقول بل كان يقوم بتحقيق العدالة عمليا ولهذا قد اشتهر في الكتب التاريخية بانه قائدا عادلا وشهرته بهذا الخصوص قد اجتازت الحدود بحيث محمد بن جرير الطبري من مواليد عام ٣١٠ للهجرة والذي كان من اهالي طبرستان في ايران وكان سنيا متعصبا وقد هاجم الشيعة مرارا في كتابه التاريخي لكنه قد اعترف بكبرياء وشموخ الناصر قائلا: " الناس لم تري مثيلا لاطروش في العدل وحسن التعامل واقامه الحق. " (الطبري، ج ١٠، ص ١٤٩)

قد كتب ابن اسفنديار: " السيد الناصر جاء بعد يومين الى آمل ودخل الى بيت حسن بن زيد وقد تعامل مع الناس بعدل ولطف ورفق كما كان يليق بعلمه وفضله. " (ابن اسفنديار، ج ١، ص ٢٦٩)

ابوطالب الهاروني المتوفى عام ٤٢٤ للهجرة ومن الشخصيات البارزة الزيدية قد اشار الى هذا الأمر قائلاً: " قد بسط الناصر العدل في المنطقة وازال السنن الظالمه. " (الهاروني، ١٤١٧، ص ١٥٧) ان الناصر كان يحظي بمكانه رفيعه في عهد حكم الحسن ومحمد بن زيد الحسني ومع ان الظروف كانت فيه متوفره ليتولي أي منصب في الحكومه في عهدهما لكنه كان يرفض تولي المناصب في هاتين الحكومتين لان حسن و محمد بن زيد لم يسيرا علي مسار الاعتدال . (الحسني، ص ٦٠٣) وبعض الاحيان قد انتهجا سبيل التطرف وانحرفا عن طريق الحق والعدل وانه لم يكرر اخطائهم في اداره شؤون البلاد والعباد . (ابن اسفنديار،

ج ١، ص ٢٥٣ و ص ٢٥٤) ان اخلاق الناصر المتسم بالعقلانية والعدل والحكمه في التعامل مع الناس والساسه جعل منه اماما مقتدرا شجاعا (الحسني، ص ٦٠٣) وقائدا لامثيل له .

نظرة الى أسفار الناصر الدعويّة

قد زار الأطروش جميع المدن والقرى طوال ١٤ عاما من تواجده في الديلم وقد دعا اهالي تلك الديار الى الاسلام . (الصابي، ص ٢٣) ان حضوره الاعلامي بلغ منطقه اسبارود (سفيد رود) . (نفس المصدر)

ان الناصر كان ملازماً لمحمد بن زيد الى ان استشهد عام ٢٨٧ للهجرة لكن بعد استشهاده في جرجان لم يري مجالا للبقاء وقد توجه الى ري عن طريق دامغان . (المحلّي، ج ٢، ص ٦٧) ان الناصر قد نزل ضيفا في ري عند احد الساده باسم محمد بن حسن بن محمد بن جعفر الحسيني وكان تربط الناصر مع "جستان" حاكم الديلم علاقة صداقة وطيدة (المحلّي، ج ٢، ص ٦٧) ولهذا عندما سمع نبأ دخوله الى ري طلب من الناصر ان يسافر الى الديلم وقد لبى الناصر هذه الدعوه شرط ان يتوب جستان عن المعاصي التي اقترفها في الماضي . (نفس المصدر)

ذهب الناصر الى الديلم وقام بتليغ دين الاسلام وخلال زيارته لمختلف المناطق في جيلان والديلم قدم دين الاسلام لاهالي تلك الديار المجوس ودعاهم الى الاسلام (الأمين ج ٥، ص ١٨٢) وقد اعتنق الكثير من الناس هناك الاسلام . (المحلّي، ج ٢، ص ٦٨)

قد ازال الأطروش السنن الظالمة الجائرة الرائجة في عهد آل وهسودان في منطقه الديلم (المحلّي، ج ٢ ص ٦٨) وقد انقذ اهالي هذه الديار من ظلم وجور هذه العائلة . (نفس المصدر) وقد القي فيها خطباً بليغة ملحمية ذات مضامين

رفيعه. انه بعد الدخول الى مدينة آمل بقي كلمة امام الحشد الجماهيري قال فيها: " ايها الناس انا دخلت بلاد الديلم عندما كان اهلها مشركين ويعبدون الحجر والشجر ولا يعرفون ربا لهم ولم يدينوا بأي دين ... لكن الله قد هداهم علي يدي الى سبيل الرشاد. انهم الان يتحدثون عن التوحيد والعدل وقد استبصروا وعلمائهم يلقون محاضرات في مجال التوحيد والعدل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤدون الفرائض الالهية. (الهاروني، ص ١٥٥)

وقال في مكان آخر: " ايها الناس اتقوا الله واقيموا القسط والعدل. ان الله قد أمركم بهذا. أمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وجاهدوا في سبيل الله ... هذه الدنيا محل رحيل لامقام لكم فيها (مُحَلِّي، ج ٢، ص ٦٢)

٣ - خدمات الناصر الأطروش الثقافية والاجتماعية والعلمية

قدم الناصر خلال ١٧ عاما من التبليغ والحكم خدمات كثيرة الى مناطق جيلان والديلم وطبرستان وان آثاره الثقافية مازالت موجوده في تلك المنطقة رغم مرور اكثر من الف عام لانه قد اهدي الاسلام الى مناطق واسعه في شمالي ايران . من اجل التعرف علي آثار الناصر في مناطق الديلم وطبرستان هنا نشير الى بعض منها :

نشر وتوسيع الاسلام

لاشك ان ترويج ونشر وبسط الاسلام في شمالي ايران اعظم خدمه قدمها الناصر الكبير في تلك الديار . مع ان المؤرخين لم يذكروا عدد الذين اعتنقوا الاسلام علي يد الناصر في تلك الديار لكن الجميع يؤكدون ان الناصر كان له دورا لا مثيل له في نشر- الاسلام وتوطيده في شمالي ايران في مناطق جيلان والديلم وطبرستان . ان الكثير من المصادر التاريخية تشير الى هذا المعني ان اهالي

الديلم قد اعتنقوا الاسلام اول مره علي يد الناصر مع ان بعض الاخبار تشير الى ان بعض اهالي الديلم كانوا مسلمين قبل دخول الناصر الى تلك الديار لكن المعروف هو ان سكان الديلم قد اسلموا لاول مره علي يد الناصر . (صاي، ص ٢١)

تقارير المؤرخين حول انتشار الاسلام علي يد الناصر

من اجل التعرف علي وجهات نظر الكتّاب والمؤرخين الشيعة والسنة نشير هنا الى بعضها بشكل موجز :

١ - قال المسعودي (٣٤٦) المورخ وعالم الجغرافيا والسائح البغدادي في كتابه مروج الذهب حول اطروش : " ان اعتناق الاهالي المجوس الاسلام تم علي يد الناصر الأطروش . " (المسعودي، ج ٤، ص ٢١٧)

٢ - قال ابوطالب الهاروني المعروف بالناطق بالحق (م ٤٢٤ هـ) بشأن سيرة الناصر الكبير قبل قيامه وقبل فتح مدينه آمل علي يده : " انه توجه الى الديلم وعرض الاسلام علي الكفار في البداية ومن ثم توجه الى جيلان وقدم الاسلام الى اهالي تلك الديار الذين كانوا كفارا ومن ثم اسلموا علي يده وتطهروا . هذا الحدث حصل عام ٢٨٧ للهجرة.

(الهاروني، ١٤١٧، ص ١٥٢) ومن ثم اشار الى ان " ناصر قد أمر بالمعروف ونهي عن المنكر في تلك الديار وازال السنن الجائره . " (نفس المصدر)

٣ - ذكر ابن الأثير الجزري (٦٣٠ هـ) المورخ الشهير في كتابه " الكامل " احداث عام ٣٠١ للهجرة قائلا : " ان حسن بن علي الأطروش قد التجأ الى الديلم بعد مقتل محمد بن زيد العلوي وسكن ثلاثه عشر - عاما الديلم ودعاه سكان هذا البلد الى الاسلام ... وقد دافع عنهم امام ابن حسان (جستان) حاكم تلك الديار وقد اعتنق الكثير منهم الاسلام والتفوا حوله .. ان اهالي

الديلم الذين كانوا يقيمون من سفيد رود الى آمل قد اسلموا علي يده. " (ابن الأثير، ج ٨، ص ٨٢-٨١)

٤ - قال فخر الرازي (م ٦٠٦ هـ) من ابرز المتكلمين والمفسرين المسلمين حول الناصر الكبير : " ان الناصر قام بتبليغ الدين طوال ١٤ عاما في الديلم واعتنق علي يده عدد غفير من اهالي جيلان والديلم الاسلام . انه علمهم الحلال والحرام والشريعة الاسلامية . " (فخر رازي، ص ١٣٦)

٥ - قال المُحَلِّي (م ٦٥٢ هـ) في كتابه " الحقائق الوردية " حول آثار الناصر الدعائية : " قالوا حوله (الناصر الأطروش) انه قد اسلم علي يده مئات الآلاف بل قالوا آلاف الآلاف . " (المحلي، ج ٢، ص ٥٩) وقد نقل عن ابوالقاسم البستي ان خلال يوم واحد فقط اعتنق ١٤ الف شخص الاسلام علي يده . (نفس المصدر) و اشار مُحَلِّي ان الكثير من الاهالي في نواحي الديلم حتي لم يسمعو كلمة "الله" قبل ان يدعوهم الناصر الى الاسلام . (نفس المصدر) وذكر ان جستان حاكم الديلم كان يتزوج مع محارمه واصفا الاوضاع الثقافية الوخيمة لتلك الديار معترفا بعظمه ما قام به الناصر من انجازات. (نفس المصدر)

٦ - قال ظهير الدين المرعشي (م ٨٩٢ هـ) حول آثار الناصر الدينية : " قد بايع عددا غفيرا من اهالي جيلان والديلم الناصر وقد اعتنقوا الاسلام بسببه وقد اجتمع عددا كبيرا من الناس حوله . (المرعشي، ١٣٤٥، ص ١٤٤)

٧ - قال ستوده من المؤرخين المعاصرين شمالي ايران : " ان الكثير من اهالي "رانكوه" كانوا من الشيعة وقد اعتنق سكان رانكوه واشكور في اواخر القرن الثالث للهجرة المذهب الزيدي علي يد الناصر الكبير . " (ستوده، ج ٢، ص ٢٣٢)

جميع التقارير التاريخية تشير الى ان نشر- الاسلام في جيلان والديلم جاء نتيجة لزياراته الاعلامية والمتاعب والمشقات التي تحملها الناصر طوال ١٤ عاما قبل تصدي الحكم وان اهالي رانكوه واشكور وجيلانجان وهوسم (مدينه رودسر الحالية) وتقريبا اكثر النواحي في ديلم قد استفادوا من وجوده .

بناء العديد من المساجد

احد الخدمات الخالده الناصر الأطروش في طبرستان وديلمان هي بناء العديد من المساجد . قبل دخول الناصر الى منطقته جيلان والديلم كانت معابد المجوس قائمه في جيلان والديلم واهتم الناصر الى جانب الدعاية بامر انشاء الآثار الدينية وخاصة بناء المساجد ونستنتج ان اكثر المساجد القديمه تم بنائها بامر من الناصر محل معابد النار .

ومن ضمن المساجد نستطيع ان نشير الى مسجد " آدينه " في جواهرده والذي تم بنائه مكان معبد المجوس وذلك بعد ان تم هدمه . لكن هناك خلاف حول من تولي امر بناء هذا المسجد لكن القرائن والشواهد تشير الى ان تم بنائه وفقا لما أمر به ناصر .

هناك تقارير موثوقه حول بناء العديد من المساجد بأمر من الناصر والتي نشير هنا الى بعض منها : ذكر ابن الاثير في كتابه الكامل سيره الناصر الكبير ونشر الاسلام علي يده قائلا : " بني الناصر في بلاد الجيلان والديلم عددا من المساجد . " (ابن الاثير، ج٨، ص ٨١)

وقال ستوده في كتابه من آستار الى استرآباد : " لا يوجد اليوم بناء باسم المسجد في رودبارك لكن باعتقادي ان " آستانه ي هفت امام " ينبغي ان يكون مسجد رودبارك والذي تم بنائه بأمر من الناصر للحق . " (ستوده، ج٢، ص ٣٩٢)

واستطرد ستوده قائلاً: "رودبارك هي من القرى القديمة في أشكور والتي تم ذكر اسمها في تاريخ جيلان وديلمستان ايضاً . " يقول سيد ظهيرالدين المرعشي حول مسجد هذه القرية : " قد توجه كاركيا سلطان محمد من لوسن الى رانكوه وبات الليله في قرية كيأرمش ويوم الاحد اقام الصلاه في مسجد مبارك رود (رودبارك) والذي تم بنائه بأمر من الامام الهمام الناصر للحق . (المرعشي، ١٣٦٤، ص ٤٧٢)

ويقول يوسف البحراني: "الناصر قد بنا مسجداً وانشأ مدرسة دينية والتي كان يتم دراسة الفقه والاصول فيها . " (بحراني، ج ٩، ص ٢١٩) وقال رابينو نقلاً عن ابن اسفنديار ان الناصر انشأ مقبره ومدرسه ومكتبه واهدي موقوفات والتي كانت موجوده حتي القرن السابع للهجره في آمل . (رابينو، ص ٧٣)

ومن المساجد التي تم بنائها بأمر من الناصر وما زالت موجوده هو مسجد كيلاكجان . كيلاكجان اسم قرية تقع حوالي رانكوه والذي ذكر ستوده في كتابه من آستارا الى استرآباد ان هذا المسجد تم بنائه بأمر من الناصر . (ستوده، ج ٢، ص ٣٢٥)

اقامة المجالس العلمية و احياء العلوم الدينية

ان الناصر الأطروش خلال سنوات ٣٠١ الى ٣٠٤ الى جانب حروبه المتعدده ودفع شر ماتبقي من السامانيين لم يغفل ابداً عن مجالسه ومصاحبه اهل العلم . ان الناصر بسبب طاقته العلمية كان دوماً طرفاً في المناقشات والمباحثات والحوار العلمي وبعض الاحيان كان يقول الروايات والاحاديث في بعض المجالس والتي تم تأليفها واشتهرت باسم كتاب امالي الناصر . (الهاروني، ١٤١٧، ص ١٥٩)

قال الهاروني في كتابه الافاده حول مجالسه العلمية : " الناصر عند دخوله أمل كان المشايخ والكبار والفقهاء يأتون الى استقباله ويرحبون به. انه نشر- العدل وازال السنن الجائره واقام مجالس المباحث العلمية والتي كان يحضرها الفقهاء وكانوا يناقشونه وهو ايضا كان يتحاور معهم . (الهاروني، ١٤١٧، ص ١٥٧)

قال اولياء الله الآملي ان الناصر سكن في مدرسه علمية انشائها هو بنفسه وكان يتعامل مع الناس وفقا للشرع الاسلامي وتوجه الناس من شتي انحاء العالم اليه لكي يستفيدوا من علمه وفقهه واحاديثه وآرائه وشعر وادبه . (الآملي، ص ١١٠) وابن اسفنديار ايضا يشير الى هذا الامر . (ابن اسفنديار، ج ١، ص ٢٧٥)

وذكر ظهير الدين المرعشي تاريخ حياه الناصر المُلِيء بالاحداث و اشار الى السنين الاخيرة من حياته قائلا : " الناصر الكبير في اواخر حياته ترك الحكم واشتغل بالعباده وفي القرب من المكان الذي دفن فيه انشأ مدرسه دينية وتلك المدرسه كانت عامره حتي الفتره الاخيره واقام هناك وتعامل مع الناس علي اساس الشريعه الاسلاميه والناس من شتي انحاء العالم توجهوا نحوه لكي يستفيدوا منه وتعلموا منه علم الفقه والحديث . (المرعشي، ١٣٤٥، ص ١٤٨)

اقامة مجالس الشعر

ان الناصر كانت له علاقة خاصة بالشعر وكان بعض الاحيان ينشد بعض الاشعار وأنشد اشعارا رائعه في رثاء الداعي وغيره من الاشخاص (الآملي، ص ١٠٥) وكان يقيم مجالس الشعر (الهاروني، ١٤١٧، ص ١٥٩) وكانوا يصفونه بانه " امام الشاعر " (الناصر الأطروش، ص ١٧) وقد ترك اشعارا كثيرا من نفسه نشير هنا الى بعض منها :

انشد الناصر في رثاء محمد بن زيد اشعارا كثيره منها :

لَهْفَانُ جَمٍّ وسَاوِسُ الْفِكْرِ بين الغياض فساحل البحر
يدعو العباد لرشدهم و كأن قد ضَرَبُوا الاذان بالوقر
كيف الإجابة للرشاد و هم أعداؤه في السرّ و الجهر
لو ايقنوا بالله لارتدعوا خوف الوعيد و بالغ الزجر
(المحلّى، ج ٢ ص ٧٤)

وايضا انشد في رثاء محمد بن زيد :

الدين و الدنيا تظل تفجع أم انت علي الداعي تبكي و تجزع
فقم فانه للشرق و الغرب معلنا فقد وقع الخطب الذي يتوقع
فلا رزء إلا رزؤه منه أقطع و لا يوم إلا يومه منه أشنع
أصيب به الاسلام فانه عرشه و أضحت له أركانه تتضعضع
(الناصر الأطروش، ص ٢٠)

وله ايضا اشعار عرفانية منها :

واهاً لنفسي من خياري و اها كلّفْتُهَا الصّبر علي بلوها
و سوغ مرّ الحق مذ صباها و لا أري إعطاءها هواها
أريد تبليغا بها علياها في هذه الدنيا و في أخراها
بكل ما أعلم يرضي الله
(المحلّى ج ٢ ص ٦١)

ومن ضمن اشعاره هي :

أراني أهوال المعاد بصيرتي و تصديقٌ وعد الغيب رأي عيان
فأيقنت أني بالذي قد كسبته مدينٌ فقلبي دائم الحفقان
و أنّ وعيد الله حقٌ و وعده فمن موبقٍ أو فائزٍ بجنان
فأعلنت بالتوحيد و العدل قائلاً و أظهرتُ أحكامَ الهدي ببيان

(المحلّى ، ج ٢، ص ٦٢)

ومن ضمن اشعاره ايضاً :

فخشيت أن ألقى الإله و ما
أو أن أموت علي الفراش ضني
و علمت أني لا آزاد بها
(الناصر الأطروش، ص ٢٤)

وذكر اشعارا في مصائب اهل البيت عليهم السلام منها :

و بي لأحوال بني المصطفي
عاداهم الخلق فذوا نُسكهم
في كل أرض منهم طاهر
(المحلّى ج ٢ ص ٦٤)

وانشد الناصر في انزجاره من الدنيا قائلاً :

فلاتكن الدنيا لهمك غاية
و يكفيك قول الناس فيما ملكته
(نفس المصدر، ص ٦١)

وانشد الناصر في بداية عهد التبليغ لديه :

عهود الصّبا سقياً لكنّ عهدا
لقد حلّ مغناكنّ حلمٌ و شبيّه
فتي غادرت منه الخطوبُ بغشمها
(نفس المصدر، ص ٧٤)

وانشد الناصر ارجوزه في بعض الحروب قائلاً :

شيخٌ شرّي مُهَجَّتَه بالجنّه
و لم يزل علّم الكتاب فنّه
واستنّ ما كان أبوه سنّه
يجاهدُ الكفّار و الأظنّه

بالمشرفيات و بالأسيّة

(نفس المصدر، ص ٦٣)

الناصر بعد العديد من الحروب مع جستان بن وهسودان حاكم الديلم دخل
في السلم معه وجستان اعتنق الاسلام مضطراً وانشد الأطروش حول جستان
هذه الاشعار قائلا :

و جستان أعطي موثيقه
و ليس يظنُّ به في الدمور
وإني لآمل بالديلمين
وأيما طائعاً في الحفل
غير الوفاء بما قد بذل
حروباً كبدرٍ و يوم الجمل
(الحسني، ص ٦٠٤)

وانشد اشعاراً جميله في اواخر حياته قائلا :

أناف علي السبعين ذا الحول رابعُ
صرتُ أبا جدٍ يقوّمني العصا
و لا بدّ لي أني الى الله راجعُ
أدبُ كأني كلما قمتُ راععُ
(المحلّي ، ج ٢ ص ٧٨)

تراث اطروش العلمي في اطار المدرسة الناصرية

الخلافات الفقهية بين الناصر الأطروش مع سائر الفقهاء أسست مدرسة
استمر النقاش حولها عدة سنين بعد وفاته . الناصر له وجهات نظر قريبة من
الامامية حول بعض القضايا الفقهية الهامة مثل الطلاق والميراث والوضوء
(مادلونغ، ١٣٨١ ص ١٤٣) كانت له وجهات نظر مشتركة مع الامامية حول
٨١ قضية فقهية تم الاشارة اليها في كتاب "مسائل الناصريات" . هذه الحقيقة
تشير الى ان فقه الناصر كان متأثراً بالامامية اكثر من الزيدية . من الطبيعي ان
ينتج من مثل هذه العقيدة مدرسه تختلف عن سائر المدارس الزيدية مثل
القاسمية والهادوية .

ان الناصريين الذين كان اكثرهم من اهالي جيلان كانوا يفضلون دوماً أبناء الأطروش علي سائر العلويين الذين كانوا يدعون الامامة. (نفس المصدر ، ص ١٤٦) لكن القاسمية والهادوية الذين كانوا متواجدين اكثر في رويان والديلم (نفس المصدر ، ص ١٤٣) لم يعتقدوا بمثل هذا الامر. وقد حصل منازعات بين هذه الفرق الزيدية لكن تصالحوا معا في نهاية المطاف علي يد ابو عبدالله محمد بن الحسن بن القاسم المتوفى عام ٣٦٠ للهجره والذي كان من زعماء الزيديين القاسميين . (نفس المصدر، ص ١٤٤)

المصادر

- (١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٣٨٥ ق بيروت، دارالصادر
- (٢) ابن اسفنديار، تاريخ طبرستان، تحقيق عباس اقبال، الطبعة الأولى ١٣٨٩ طهران، اساطير
- (٣) ابن الطقطقي، الاصيلي في انساب الطالبين، الطبعة الأولى ١٤١٨ ق، قم مكتبة آية الله العظمي مرعشي نجفي
- (٤) ابن نديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد، الطبعة الأولى، ١٣٨١، طهران، اساطير
- (٥) الأطروش، الناصر، الإحتساب، ١٤٢٣ ق، صعبه، مكتبة التراث الإسلامي
- (٦) الآملي، اولياء الله، تاريخ رويان، تحقيق منوچهر ستوده، ١٣٤٨، طهران، مؤسسه الثقافه الايرانية
- (٧) الأمين، محسن، اعيان الشيعة، بيروت، دارالتعارف للمطبوعات
- (٨) البحراني، يوسف، الحقائق الناطرة في احكام العترة الطاهرة، بيروت، دارالضواء، ١٤٠٥ ق
- (٩) الحسنی، ابوالعباس، المصابيح، صنعاء، مؤسسه الامام زيد بن علي الثقافية
- (١٠) رابينو، سفرنامه مازندران و استرآباد، ترجمه غلامعلي وحيد مازندراني، ١٣٤٣، مؤسسه الترجمة و نشر الكتاب
- (١١) ستوده، منوچهر، از آستارا تا استرآباد، الطبعة الأولى ١٣٥١، انجمن آثار و مفاخر فرهنگي.
- (١٢) شوشتری، قاضي نورالله، مجالس المومنين، ١٣٥٤ طهران، اسلامية
- (١٣) الشيخ الطوسي، رجال الطوسي، چاپ نخست، نجف، منشورات المكتبة و المطبعة الحيدرية.
- (١٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الامم و الملوك، تاريخ الطبري، ١٣٨٧ ق، بيروت، روائع التراث العربي.
- (١٥) علم الهدی، سيد مرتضي، مسائل الناصريات، ١٤١٧ ق، رابطه الثقافه و العلاقات الاسلاميه.
- (١٦) الفخر الرازي، الشجرة المباركة، تحقيق سيد مهدي رجائي، ١٣٧٧ كتابخانه آيت الله مرعشي نجفي.

- (١٧) فرمانيان و موسوي نجاد، در سنامه تاريخ و عقائد زيدية، قم دانشگاه اديان و مذاهب
- (١٨) مؤيدي، مجد الدين، التحف شرح الزلف، صنعاء، مكتبة مركز بدرالعلمي، و الثقافي، للطباعة و النشر و التوزيع
- (١٩) مادلونج، ويلفرد، اخبارائمه الزيدية في طبرستان و ديلمان و جيلان، الجزء المنتزع من الجزء الاول من الكتاب المعروف بالتاجي في اخبار الدولة الديلمية من تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الكاتب الصابي، ١٩٨٧، بيروت، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية
- (٢٠) —، —، الفرق الاسلامية، ترجمه ابوالقاسم سري، الطبعة الثانية ١٣٨١، طهران، اساطير
- (٢١) المُحلي، حميد الشهير بن احمد، الحقائق الوردية في مناقب أئمه الزيدية، ١٤٢٣ق، صنعاء، مطبوعات مكتبة البدر
- (٢٢) المرعشي، ظهير الدين، تاريخ طبرستان و رويان و مازندران، ١٣٤٥ طهران، مؤسسة مطبوعاتي شرقي
- (٢٣) —، —، تاريخ جيلان و ديلمستان، تحقيق منوچهر ستوده ١٣٦٤، طهران، اطلاعات
- (٢٤) المسعودي، علي بن حسين، مروج الذهب و معادن الجواهر، ١٣٦٥، طهران، الانتشارات العلمية و الثقافية
- (٢٥) الموسوي نجاد، سيد علي، تراث الزيدية، ١٣٨٤، قم، مركز الدراسات و تحقيقات الاديان و المذاهب
- (٢٦) النجاشي، رجال النجاشي، قم، موسسه دار النشر الاسلامي
- (٢٧) النوبختي، حسن بن موسي، فرق الشيعة، تحقيق محمد جواد مشكور، ج سوم ١٣٦١، الانتشارات العلمية و الثقافية
- (٢٨) الهاروني، يحيى بن الحسين بن هارون، تيسير المطالب في أمالي السيد أبي طالب، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة.
- (٢٩) —، —، الإفادة في تاريخ ائمة الزيدية، صنعاء دارالحكمه اليانبة، الطبعة الأولى ١٤١٧ق.

أهمية المخطوطات

في دراسة التاريخ الثقافي للعلويين في شمالي إيران

محمد كاظم رحمتي

الأستاذ المساعد في مؤسسة الموسوعة الإسلامية

المشكلة الرئيسية التي نواجهها المرء لدى دراسة تاريخ الزيدية في شمالي إيران وبالتحديد في القرن السادس حتى التاسع الهجري هي قلة المآخذ والمصادر المدونة بإستثناء مصدر أو مصدرين تم العثور عليهما في الآونة الأخيرة ، الأمر الذي يجعل دراسة هذه الفترة من تاريخ الزيدية في إيران صعباً للغاية ، وفي ظل هذه الظروف يجب التعرف على المصادر في بداية الأمر ليتسنى لنا الخوض في صلب موضوع المقال في نهاية المطاف ، ومن حسن الحظ تتمتع أساليب الدعوة الزيدية التقليدية في إيران بميزات خاصة يمكن من خلالها التعرف على المخطوطات العائدة الى الزيدية في طبرستان ومن ثم الحصول على بعض المعلومات حول الزيدية في طبرستان في القرن السابع حتى العاشر الهجري . ويحاول المقال الحاضر تقديم دراسة حول التاريخ الثقافي للزيدية في طبرستان في القرن السابع حتى العاشر الهجري .

تمهيد

يتزامن دخول المذهب الزيدي الى طبرستان وديلمان في القرنين الثالث والرابع الهجريين مع نشر - الإسلام في هاتين المنطقتين ، وقد إنتشرت سائر المذاهب الإسلامية كالحنبلية والشافعية الى جانب إنتشار المذهب الزيدي في طبرستان وديلمان بشمالى إيران ، ويذكر بأن إنتشار سائر المذاهب الإسلامية كانت أكثر رواجاً في شمالى إيران من المذهب الزيدي ، وبالرغم من ذلك إشتهرت منطقتي طبرستان وديلمان بشمالى إيران من أكثر المناطق إنتشاراً للمذهب الزيدي . ولم يفلح بعض العلويين أمثال حسن بن زيد (المتوفى ٢٧٠) والناصر الكبير (المتوفى ٣٠٤) في تأسيس دولة زيدية مستدامة في تلك الفترة حيث إنتهت المرحلة الأولى للدولة الزيدية بوفاة المهدي لدين الله محمد بن حسن في عام ٣٦٠ ثم تمكن المؤيد بالله (المتوفى ٤١١) تأسيس الدولة الزيدية للمرة الثانية بإعتبارها بداية نجاح الزيدية بتأسيس دولتهم المقتدرة في شمالى إيران للمرحلة الثانية ، وبعد وفاة المؤيد بالله كان علماء الزيدية يمارسون نشاطاتهم في مناطق من شمالى إيران بصفة محتسب فقط وليس الإمام ، والمحتسب هي وظيفة دينية وأحياناً يطلق عليها الحسبة ، كانت تقوم بتطويع من الذين يودون تطبيق أحكام الشريعة وبالأخص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ودون مقابل .

وقد تأثر المذهب الزيدي في مسيره التكويني بشكل كبير من المدرسة الفقهية - الكلامية للداعية الزيدي قاسم بن إبراهيم الرسي (المتوفى ٢٤٦) ثم تأثر من تعاليم حفيده الهادي الى الحق يحيى بن (حسين بن القاسم بن إبراهيم المتوفى ٢٩٨) الذي حظي بإهتمام بالغ بين أوساط الزيدية في شمالى إيران وقد أخذت مدارس فقهية أخرى مكانة مرموقة في أوساط الطائفة الزيدية في طبرستان وديلمان وبالتحديد نواحي هوسم (رودسر) الى جانب المدرسة

الفقهية التي أسسها الهادي الى الحق مثل مدرسة الناصر الأطروش (المتوفى ٣٠٤) الفقهية والتي إشتهرت بالمدرسة الناصرية ، وقد سار معظم أتباع الطائفة الزيدية في إيران على نهج مدرسة الناصر الأطروش الفقهية ، وسرعان ما أدت الخلافات الفقهية القائمة بين هاتين المدرستين الى نشوب بعض النزاعات بين أتباعهما وقد بلغ ذروة هذه النزاعات في القرون الوسطى ، والشئ الجدير بالاهتمام أن الطائفة الزيدية الإيرانية حتى في القرن الحادي عشر- كانت على مدرسة الناصر الأطروش الفقهية خلافاً للطائفة الزيدية اليمينية التي كانت على مدرسة الهادي الفقهية .

وقد إتسع الدولة الزيدية في شمالي إيران إبان حكم أبي طالب الأخير (المتوفى ٥٢٠) والذي إعترفت الطائفة الزيدية اليمينية إمامته لأول مرة وقد شكل هذا الإعتراف نقطة عطف في تاريخ الزيدية في طبرستان ، وبعد وفاته شهدت العلاقات الدينية والثقافية بين الطائفتين الزيدية في إيران واليمن تطوراً ملحوظاً، حيث إعترفت الطائفة الزيدية في إيران بإمامة كبار الأئمة الزيديين في اليمن ، وبلغ ذروة هذه العلاقات في فترة إمامة المنصور بالله عبد الله بن حمزة (المتوفى ٦١٤) حيث زادت تبادل الزيارات واللقاءات بين أئمة الزيدية في كلا البلدين بالأخص بعد أن أبدى الإمام المنصور بالله عن رغبته الحثيثة للتعرف على تراث وثقافة العلماء وكبار الشخصيات الزيدية وأفكار وتعليقات الشيوخ المعتزلة التي كانت رائجة في إيران والتي لاقت موالين في اليمن بشكل لم يسبق لها مثيل .

المواضيع التي تمت الإشارة إليها أعلاه تعد عمدة معلوماتنا حول الطائفة الزيدية في إيران حتى القرن السابع الهجري والفترة الفاصلة بين القرن السابع والعاشر الهجري وقيام الدولة الصفوية الشيعية ، ولم نحصل على معلومات مستجدة أخرى حول الأوضاع الثقافية للزيدية في إيران أكثر ما تم الإعلان عنها

مسبقاً بإستثناء بعض المعلومات التي تركزت حول الأحداث السياسية . على أي حال نظراً لبعض الميزات الخاصة التي تتمتع بها أساليب الدعوة الزيدية التقليدية في إيران والتي لم تحظ بإهتمام بالغ حتى الآن من الممكن أن نتعرف على الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة إبان الدولة الزيدية في طبرستان خلال الفترة بين القرن السابع حتى العاشر الهجري بشكل ملفت للإهتمام ، ومن هذا المنطلق يتسنى لنا إعادة النظر في دراسة الأوضاع الثقافية للزيدية في إيران .

ويستعرض المقال الحاضر أساليب الدعوة الزيدية التقليدية في إيران وطريقة التعرف على المخطوطات المتعلقة بالمذهب الزيدي في إيران ، ثم يتطرق المقال الى الأوضاع الثقافية للزيدية في إيران بالإستعانة من المعلومات المستحصلة في هذه المخطوطات .

المخطوطات الزيدية في إيران وطريقة التعرف عليها

لقد بدى واضحاً بأن علماء الطائفة الزيدية في إيران كانوا يمارسون نشاطات كثيرة ومختلفة في شمالي إيران خلال الفترة بين القرن السابع حتى العاشر الهجري، وقد تم التعرف على أسماء بعض هؤلاء العلماء بفضل المخطوطة " رسالة في علماء الزيدية " ^١ التي تم تأليفها من قبل أحد العلماء الزيديين الإيرانيين في القرن الثامن ولم يعرف إسمه ، وبإمكان البحث عن أسماء العلماء الذين ورد ذكرهم في هذه المخطوطة في بعض الكتب والمصادر المتأخرة للزيدية،

١ - أنا بدوري أشكر الأستاذ السيد محمد رضا جلالی الذي وضع هذه المخطوطة في متناولي والتي تعد من أهم مصادر هذا المقال ، ويذكر بأن هذه المخطوطة محفوظة حالياً في مكتبة كاشف الغطاء العامة (النجف : منشورات مكتبة كاشف الغطاء العامة ١٤٣١ / ٢٠١٠ ص ٣٨٧).

ولكن هؤلاء العلماء لم يكتبوا في كتبهم شيئاً حول الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة في المجتمع الزيدي الإيراني سواء قبل وأثناء أيام زمانهم وبهذا لم نحصل على معلومات وافية بهذا الصدد خلال الفترة الفاصلة بين القرن السابع حتى العاشر الهجري ، والسبيل الوحيد للحصول على هذه المعلومات يكمن في معرفة المخطوطات التي تهتم بأساليب الدعوة الزيدية التقليدية في إيران بشكل كبير حيث من الممكن أن نتعرف على الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة خلال هذه الفترة عن طريق الإمعان في مواضيع هذه المخطوطات والتي تعد من أهم مصادر البحث والتحقيق في تاريخ الزيدية في إيران ، وتضع هذه المخطوطات معلومات قيمة حول علماء الزيدية في إيران والمراكز الثقافية لأتباع هذه الطائفة في متناولنا إما عن طريق درج مواضيع في طياتها أو عناوينها ، حيث تقوم هذه المخطوطات بسرد بعض المعلومات حول بعض الأفراد والشخصيات المختلفة كصاحب المخطوطة أو كاتبها وفقاً لأسلوب إعداد التراجم الرائجة حالياً .^١

تعد كتابة التعليقات من جملة الأعمال الثقافية الأخرى للطائفة الزيدية في إيران والتي واجهت إهتماماً بالغاً من قبل الشيخ آقا بزرك طهراني والمحقق محمد تقي دانش بجوه ولم يجلب إهتمام أصحاب الفهارس والمخطوطات القديمة . والتعليقة هي عبارة عن كتابة تعليق على هامش الكتاب رداً على موضوع ما سبق ذكره في الكتاب ، ويشرح الشيخ آقا بزرك طهراني أسلوب كتابة التعليقة لدى تسميته نسخة من كتاب تفسير أبو الفضل الديلمي قائلاً :

١ - توجد بعض المخطوطات المتعلقة للطائفة الزيدية في المكتبات الإيرانية والتي تم تأليفها من قبل العلماء غير الزيديين أمثال مخطوطة "النبوات" تأليف المؤيد بالله أحمد بن حسين هاروني (متوفى ٤١١هـ).

".. وتفسيره كبير في مجلدين ضخمين على كيفية خاصة ، وهي أنه يكتب مقداراً من أي القرآن الشريف في وسط الصفحة ثم يكتب التفسير على نحو التعليق على ألفاظ الآيات في حواشيها ، ولم يبين محل التعليق بما هو المتعارف من كتابة علامة على التعليق ومثلها على الموضع المعلق عليه ، بل يعينه بإيصال خط طويل أو قصير بين أول التعليق والموضع المعلق عليه من الآية الشريفة." ^١

يمكن مشاهدة التعليقة التي يصفها الشيخ طهراني في كتابه حول مخطوطة الزيدي الطبرستاني في عدد من المخطوطات الزيدية الأخرى وأهمها مخطوطة المجلد الأول لتفسير القرآن الكريم تحت عنوان تفسير كتاب الله تأليف أبو الفضل بن شهردوير بن يوسف بن أبي الحسن الديلمي ، وأن هذه المخطوطة موجودة حالياً في مكتبة الشيخ صدوقي يزدي في مدينة يزد وسط إيران ، وهي عبارة عن تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الكهف ، حجم المخطوطة غير اعتيادية بسبب صفحاتها التي تضم ٣٥٢ ورقة وقد تم إستنساخ المخطوطة ودرجها في الفهرس (ص ٧٦) وتبين هذه المخطوطة أسلوب كتابة التعليقة من قبل الطائفة الزيدية في إيران بوضوح . وإستلهم مؤلف المخطوطة من أسلوب المفسر الكبير جار الله الزمخشري (المتوفى ٥٣٨) في كتابة التفسير والذي يعد كتابه " تفسير الكشاف " من أشهر كتب التفسير في أيام زمانه الأمر الذي إستلهم منه العديد من المفسرين بعده . ^٢ ويعد أبو الفضل بن شهردوير بن يوسف بن أبي الحسن الديلمي (المتوفى قبل ٦١٤) من كبار علماء الزيدية في

١ - آقا بزرك طهراني ، الذريعة الى تصانيف الشيعة (بيروت ١٤٠٣ / ١٩٨٣ ج ٤ ص ٢٥٧)

٢ - يذكر إندرو لين نقلاً عن الفهرس الشامل بأنه تم إستنساخ ٨٤٣ نسخة من كتاب تفسير الكشاف مع الشروح والتعليقات ولكنه لم يذكر شيئاً عن تفسير كتاب الله وأهميته لدى الزيدية ، إنظر

Andrew J.Lane, The Kashaf of Jar Allah (Leiden ٢٠٠٦)

إيران والذي كان يعيش في النصف الأول من القرن السابع ، وقد ألف كتب أخرى ولكن لم يعثر حتى الآن على هذه الكتب سوى كتابه الشهير " تفسير كتاب الله " والذي ألفه في مجلدين ، المجلد الأول تفسير سورة الفاتحة الى سورة الكهف والمجلد الثاني سورة مريم الى آخر القرآن ، وكان هذا الكتاب من أهم كتب التفسير لدى علماء الطائفة الزيدية في إيران من القرن السابع الى العاشر الهجري .

ويمكن الحصول على معلومات هامة حول علماء الطائفة الزيدية في إيران بواسطة تفسير كتاب الله وتحتفظ مكتبة صدوقي يزدي بالمجلد الأول لهذه المخطوطة ، وقد تم نشر إستنساخ صورة فوتوغرافية عن هذه المخطوطة أخيراً بمقدمة الصديق الفاضل سيد محمد عمادي حائري . ويحظى هذا التفسير بأهمية بالغة بالرغم من وجود نقص في صفحاته الأولى والأخيرة ، نلقي أدناه نظرة على أسلوب كتابة هذا التفسير :

" الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب فلم يجعل له عوجاً وأعان بإتمام تنميق بعضه عبداً محوجاً // والصلوة على رسوله الذي // دخل الناس في دينه أفواجاً // وآله الذين كانوا // سباه الهدى نجومياً وفي بحر العلوم // أمواجاً العبد الحقير // المحتاج الى رحمة خالق الأمم يوسف بن رستم // الموطن ببلاط لاجل فقيه العالم العامل // الأجل فقيه سليمان بن فقيه حسن جماستاني أسعده الله تعالى في الدارين وأبلغه الأمانى بحق // القرآن والسبع المثاني // والسلام على من // قراء وعمل به . "

وفي نهاية الكتاب يذكر المؤلف تاريخ فراغه من كتابة التفسير قائلاً :

" قد وقع الفراغ من كتبه صبيحة يوم الأحد سابعة عشر- من شهر الله المبارك صفر في تاريخ أربع وثمانين وثمانمائة من هجرة خير البرية والسلام وبه نستعين . " ^١

لم أعثر معلومات حول الفقيه الزيدي سليمان بن حسن الجماستاني الذي ورد ذكره في مقدمة التفسير ولكن وجدت إسم شقيقه يوسف بن حسن الجماستاني في فهرس مخطوطات جامعة طهران برقم ٦٦٢٣ حيث تم ذكر إسم تفسير كتاب الله في الفهرس مع شرح جامع ودقيق لهذا التفسير من قبل المحقق محمد تقي دانش بجوه . ^٢

كما ذكر أنفاً بأن أسلوب كتابة التعليقة لدى الزيدية في طبرستان يتميز بأسلوب خاص وفريد من نوعه حيث يمكن الإستعانة منه في مجال التعرف على بعض المخطوطات العائدة الى الطائفة الزيدية في إيران ، على سبيل المثال توجد مخطوطة لكتاب نهج البلاغة في مكتبة آية الله مرعشي نجفي في قم برقم ١٢٤٥٢ التي يعود تاريخها الى القرن السادس الهجري وإنها تحظى بأهمية بالغة من حيث

١ - أنظر فهرس مخطوطات مكتبة صدوقي يزدي ، تأليف السيد أحمد حسيني الأشكوري (قم ، مجمع ذخائر إسلامي ١٣٨٣ ش / ١٤٢٥) ص ٧٥ / ٧٦

٢ - أنظر فهرس مخطوطات جامعة طهران ، تأليف محمد تقي دانش بجوه ج ١٦ ص ٣١٤ / ٣١٩ حيث يقول المؤلف بأنه لم يعرف شيئاً عن حياة مؤلف تفسير كتاب الله سوى أن جده الأعلى هو يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الديلمي ومن المحتمل أنه توفي قبل ٦١٤ للهجرة ولم يأتي ذكره في كتب التراجم سوى شيئاً ضئيلاً ، وقد تم ذكره في طبقات أعلام الشيعة للشيخ آقا بزرك طهراني تحقيق علي نقوي منزوي (بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٧٢) ص ١٣١ / ١٣٢ بشكل مختصر- على النحو التالي : " ترجم والده وجده في مطلع البدور في عداد علماء الزيدية لكن تفسير الكبير لصاحب الترجمة يشهد بأنه إمامي يرفض الخلافة الظاهرية في كثير من المواضع ومنها في أول سورة مريم حيث ذكر أن حديث نحن الأنبياء لا نورث إفتاء منها لإغتصاب فدك الى غير ذلك ويكثر فيه النقل عن الزمخشري (م ٥٣٨) وعن الطبرسي (م ٥٤٨) . "

أسلوب الكتابة كما إن صياغتها قريبة جداً لأسلوب كتابة مخطوطة نهج البلاغة للنيشابوري الذي يعد من كبار علماء الزيدية في اليمن الذي هاجر الى خراسان في القرن السادس وتوطن في نيشابور ، ويعد كتاب نهج البلاغة للنيشابوري من أشهر كتب نهج البلاغة رواجاً في اليمن . أما الشيء الملفت للنظر حول هذه المخطوطة هو تعليقاتها المماثلة لأسلوب التعليقات التقليدية التي كانت رائجة لدى الطائفة الزيدية في طبرستان - إيران ، مما يدل على أن المخطوطة الأخيرة لنهج البلاغة تعد شاهداً جديراً للاهتمام بسبب تداولها في أوساط الزيدية في القرن السادس الهجري فصاعداً حيث يتعين على الباحثين التدقيق في مضامينها وإعتبارها من إحدى أهم مصادر الزيدية في طبرستان قديماً .

مجموعة حصرية من تراث الزيدية في إيران

قام علماء الطائفة الزيدية في إيران خلال الفترة الفاصلة بين القرن الثالث والسادس الهجري بتأليف العديد من الأعمال والكتب باللغة العربية ، وبالرغم من ذلك توجد بعض مشاكل وعقبات في مجال إعادة تسمية وتعريف تراث الزيدية في إيران ، المشكلة الأولى هي إنه بالرغم من ذكر عدد كبير من تأليفات وكتب العلماء الزيدية الإيرانيين في كتب تراجم الزيدية أمثال "مطلع البدور ومجمع البحور" تأليف أحمد بن صالح بن أبي الرجال (المتوفى ١٠٩٢) وكتاب "طبقات الزيدية الكبرى" تأليف إبراهيم بن قاسم الشهاري (المتوفى ١١٥٢) ولكن بسبب تأخر إعداد هذه التراجم لم يستطع أصحاب التراجم في اليمن إعطاء صورة واضحة عن علماء الطائفة الزيدية الإيرانية ، كما إنهم واجهوا صعوبة في لفظ أسماء هؤلاء العلماء التي كانت معظم أسمائهم تكتب باللفظة الفارسية ، هذا ومن جانب آخر لم يهتم الإيرانيون بالمحافظة على تراث الزيدية بالأخص بعد تأسيس الدولة الصفوية وزوال الدولة الزيدية في إيران ، مما أدى

الى إتلاف العديد من هذه الكتب والأعمال الثقافية ، وفي الحقيقة إذا لم يتم نقل تراث الزيدية من إيران الى اليمن في القرنين السادس والسابع لم نستطع الحصول على أية معلومات حول التراث الحضاري الزاخر للطائفة الزيدية في إيران . مع أي حال تحتوي المكتبات الإيرانية على مجموعة متواضعة من الكتب والمؤلفات الزيدية حيث يمكن من خلالها التعرف على تاريخ وثقافة الطائفة الزيدية في إيران ، كما أنه يمكن عن طريق الفحص والتدقيق في أسلوب كتابة التعليقة لدى الزيدية في طبرستان يمكن الإستعانة منه في مجال التعرف على بعض المخطوطات العائدة الى الطائفة الزيدية في إيران حيث من الممكن أن نتعرف على الأوضاع الثقافية التي كانت سائدة خلال هذه الفترة عن طريق الإمعان في مواضيع هذه المخطوطات والتي تعد من أهم مصادر البحث والتحقيق في تاريخ الزيدية في إيران والتي لم يحظ بإهتمام بالغ من قبل الباحثين وأصحاب التراجم حتى الآن .^١

ومن جملة المخطوطات الأخرى التي تتميز بأسلوب كتابة التعليقات الزيدية في طبرستان هي مجموعة رسائل تعود الى القرن الثامن ومحفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي برقم ١٠٧٢٧ تأليف الحاكم الجشمي (المتوفى ٤٩٤) ولكن لم تهتم المخطوطة بهوية مؤلفه الزيدي المذهب ، وتتألف المخطوطة من ٦٧ ورقة

١ - شهدت العلاقات الثقافية والسياسية بين الطائفتين الزيدية في إيران واليمن إزدهاراً واسعاً في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس وذلك بفضل الاتحاد السياسي والديني الذي حصل بين الطائفتين في عهد إمامة أبي طالب يحيى بن أحمد الذي يشتهر بأبي طالب الأخير (المتوفى ٥٢٠) الأمر الذي جعلت الزيدية في اليمن ينظرون الى التراث الحضاري للزيدية في إيران بإهتمام بالغ ، أنظر كتاب "الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية" تأليف حميد بن أحمد المحلي ، تحقيق المرتضى بن زيد المحطوري الحسني (صنعاء مركز بدر العلمي والثقافي ١٤٢٣ / ٢٠٠٢ ج ٢ ص ٢٠٣-٢١٨)

وقد تمت كتابتها من قبل شخصين يمكن مشاهدة التباين الواضح في الصياغة والفارق الكبير في رسم الخط ، وتشتمل المخطوطة على سبع رسائل ، الرسالة الأولى حول الصلاة وهي مزودة بقصائد وأشعار باللغة الفارسية ، والرسالة الثانية حول العقائد ومكتوبة باللغة الفارسية كتبها شخص يدعى محمد بن صالح بن مرتضى تنهجاني ويعد من أبرز العلماء الزيدية في إيران في القرن السابع ، وقد ذكر إسمه في عداد كبار علماء ومشايخ الزيدية ، ولد محمد بن صالح تنهجاني في السابع من شهر رمضان عام ٦٠٨ وتوفي في نفس الشهر عام ٦٧٥ وقد ذكر إسم ثلاثة من أولاده في كتاب التراجم علي وحسن وحسين ، في حين لم يأت ذكر إسم هذا العالم الزيدي الكبير في تراجم الزيدية في اليمن إلا بمقدار ضئيل جداً.^١

أما الرسالة الثالثة مكتوبة باللغة الفارسية ومضمونها عرفانية ولم يذكر إسم مؤلفه ولكن يقول كاتب الرسالة في مقدمتها بأنه هذه الرسالة تتعلق الى فقيه يكنى شهر آشوب شوشكي ، وينقل الكاتب في ختام الرسالة بعض الأشعار المنسوبة الى محمد الغزالي باللغة الفارسية .

١ - على سبيل المثال يذكر أحمد بن صالح بن أبي الرجال (المتوفى ١٠٩٢) في كتابه مطلع البدور ومجمع البحور ، تحقيق عبد الرقيب مطهر محمد حجر (صعدة ، ١٤٢٥ / ٢٠٠٤) ج ٤ ص ٣١٨ لدى شرح سيرة حياة محمد بن صالح جيلاني بأنه أب لعالمين زيديين إيرانيين حسن وحسين ويكتفي بالقول بأنه يعد من أبرز الشخصيات الناصرية في طبرستان فقط . وقد أضاف الشهاري في كتابه طبقات الزيدية الكبرى ج ٢ ص ٩٨٦-٩٨٧ معلومات جديدة أخرى حول شخصية محمد بن صالح قائلاً بأنه من كبار مشايخ الزيدية في إيران وهو تلميذ محمد باجويه .

والرسالة التالية (الرابعة) عبارة عن رسالة قصيرة للشيخ أبو علي بن حسن بن عبد الله إلى أحد أصدقائه . والرسالة الخامسة هي رسالة «إبليس إلى إخوانه المناحيس» تأليف الحاكم الجشمي ، وذكر تاريخ كتابة الرسالة جمادي الآخرة ٧٣٢ وقد ذكر في آخر صفحة من الرسالة موضوع هام جداً وهو ذكر إسم إثنين من رسل المنصور بالله عبد الله بن حمزة إلى جيلان وعلى النحو التالي :

«ذكر محمد بن أسعد اليميني أن أمير المؤمنين عبد الله بن حمزة حين بعثه إلى جيلان أداء الرسائل خرجت من ثلا وهو حصن في بلاد شوط من بلاد اليمن ووصلت إلى شرجة بلد باليمن ومن شرجة إلى لؤلؤة وهي جزيرة من بلاد اليمن ثم ركب السفينة ووصلت إلى ملطية ومنها إلى سيواس من بلاد الروم ومنها إلى كنجة ومنها إلى باكوية ومنها إلى جيلان أجلها الله وأدام دولتها ووصلتها».

أما موضوع الرسالة السادسة فهو عبارة عن حكم وأخبار وحكايات باللغتين العربية والفارسية . والرسالة السابعة تفسير للحديث النبوي الشريف "لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب" مكتوبة باللغة الفارسية ويعتقد بأن تاريخه أقدم من القرن السابع ، وتروي الرسالة في صفحاتها الأخرى بعض حكايات وأشعار ومواضيع مختلفة باللغتين العربية والفارسية ، حيث يذكر فيها بوضوح أسماء الشعراء وهم أبو الفتح بستي وسديد الدين الإصفهاني ومونس الدولة طيطراني .

والرسالة الأخيرة (الثامنة) هي "لباب المقالات لمقع الجهالات" تأليف أبو مضر شريح بن المؤيد الشريحي الجيلاني المؤيدي ، وهو من أشهر علماء الزيدية في القرن السادس .^١

نعود ثانية الى الرسالة الخامسة لإلقاء نظرة عميقة حول مضامينها بدقة وإمعان، أن كاتب الرسالة يعد من علماء الزيدية في النصف الأول للقرن الثامن، وقد جاء على هامش الرسالة بأن موضوع الرسالة تم إستصوابه من قبل أستاذه محمد كيا البخاري وهو أحد مشايخ الزيدية الذي كان يعيش في النصف الثاني للقرن السابع ، ثم تستعرض الرسالة نبذة عن حياته قائلة : " والفقيه العالم محمد كيا البخاري وهو ليس سيد بل من جملة العلماء الرشائقة قيل إنه من تنهجان وذريته باقية الى يومنا هذا على ما قيل والله أعلم " . وقد أضاف كاتب الرسالة عبارتين على هامش الصفحة ١٨ الأولى حكاية حول العقيدة الخيرية للمؤرخ محمد بن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠) نقلاً عن كتاب الملحق الإفادة للسيد أبوطالب الحسني ، والعبارة الثانية فقرة من كتاب المواعظ والزواجر للمؤلف أبو أحمد حسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، يشتمل موضوع هذا الكتاب على مفردات وخطب نهج البلاغة ويعد من المصادر الرئيسية لكتاب " الإعتبار وسلوة العارفين " تأليف الموفق بالله الشجري ، وسوف أوافيكم بأهمية هذا الجزء من الرسالة ، أن أهمية الجزء الأخير من هذه الرسالة تدل بأنها كانت في متناول الزيدية في طبرستان حتى نهاية القرن الثامن ومن المؤمل العثور على نسخة منها في المخطوطات الزيدية التي تم نقلها من إيران الى اليمن في المستقبل.

١ - وقد جاء ذكر هذا العالم الزيدي في فهرس مخطوطات مجلس الشورى الإسلامي (طهران مكتبة مجلس الشورى الإسلامي ١٣٨٨ ج ١ / ٣٣ ص ٢٠٤-٢٠٦

المشايع الزيدية في القرن الثامن

بالإضافة الى معلومات حديثة حول الطائفة الزيدية في طبرستان كما تمت الإشارة في بداية المقال ، قلة المآخذ والمصادر المدونة في مجال تاريخ الزيدية في شمالي إيران وبالتحديد في القرن السادس حتى التاسع الهجري يجعل الحصول على معلومات حول تاريخ وتراث الزيدية في إيران خلال هذه الفترة صعباً للغاية ، والأسلوب الوحيد لدراسة أوضاع الزيدية في طبرستان هو البحث في المخطوطات ليتسنى لنا الحصول على بعض المعلومات حول الأوضاع الثقافية والتراث الحضاري للطائفة الزيدية في شمالي إيران ، أنا أشكر الأستاذ السيد محمد رضا جلالي الذي وضع المخطوطة التي تحمل رقم ٣١ ومحفوطة حالياً في مكتبة كاشف الغطاء العامة في متناولي والتي تعد من أهم مصادر هذا المقال ، كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الصديق العالي سيد علي موسوي نجاد الذي كتب حول هذه المخطوطة وشرح أهميتها في مقال منفصل . تشتمل هذه المخطوطة على ثلاثة أجزاء ، الجزء الأول حول أحد مشايخ وعلماء الزيدية الذي كان يعيش في القرن الثامن وتشير المخطوطة الى بعض أستاذة هذا العالم ويتكون هذا الجزء من ٢٧ فصل حيث لم تبق هذه الفصول في الوقت الحاضر سوى الفصل الثاني عشر .

وقد حصل كاتب المخطوطة معلوماته حول هذا العالم من أهالي المنطقة حسب تعبيره ، كما إستفاد من معلومات أحد مشايخ الزيدية وإسمه ابو الفضل بن شهر دوير بن يوسف بن ابي الحسن الديلمي (المتوفى قبل ٦١٤) حيث يذكره في طيات هذه المخطوطة بإعتباره إحدى مآخذ كتابه بوضوح ، ويقوم صاحب المخطوطة بتسمية أحد علماء الزيدية وهو السيد الداعي أعرج البجاريسي نسبة الى موطنه في بجاريس حيث يضيف قائلاً : " .. والسيد الداعي أعرج البجاريسي ، قرية من قرى أعالي جيلان وبجاريس بضم الباء مكتوب بخط

العلامة أبي الفضل بن شهردوير بن يوسف بن أبي الحسن الديلمي " . الفصل الرابع عشر عبارة عن شرح حياة إستاذين من مشايخ الزيدية نقلاً عن رسالة أبو الفضل بن شهردوير وهو على النحو التالي : " الفصل الرابع عشر- في تمييز الأساتذة من التلامذة أعلم أن الفقيه العالم بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الديلمي المركالي قرية من ديلمان كان تلميذ الفقيه شيرزاد بن إسحاق الجيلي وتلميذ الفقيه شعيب بن دلير بن مرتضى ومات هو أي الفقيه شعيب يوم السبت عشرة ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبعمائة هجرية .. " . ويذكر صاحب المخطوطة في الفصل ذاته إسم الشيخ أبي ثابت قوريه قير بن محمد لدى شرح حياته بنفس رسم الخط الذي كتبه بهاء الدين أي قوربقيز (بالفارسية : گوربگير) ، وفي إنتهاء الفصل ٢٢ لدى تسميته كبار أصحاب النبي الأكرم (ص) يستطرد قائلاً : " قال بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن : فهذه كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله بحيث يكون قولهم حجة رضي الله عنهم " . والذي يشير فيه بصراحة الى كلام بهاء الدين يوسف الديلمي .

أن حجم فصول الرسالة غير متساوية من حيث عدد السطور وتشتمل بعض الفصول على بضعة أسطر فقط ، ويبحث الفصل السادس عشر حول أصحاب الهادي الى الحق يحيى بن حسين (المتوفى ٢٩٨) كما جاءت في الرسالة إسم ابو العباس الحسن بن العجيري الملقب بشمس آل الرسول وهو أستاذ الأخوين ولا يزال قبره ومزاره في مدينة آمل بطبرستان وهو الذي صنف كتاب شرح الأحكام وجمع نصوص القاسم بن إبراهيم . ويذكر الفصل التاسع عشر- أهم أعمال الناصر الأطروش وأهميتها لدى الطائفة الزيدية في طبرستان ويشكك مؤلف الرسالة إنتساب بعض الأعمال الفقهية الى الأطروش ويشير الى إختلاف آراء العلماء الزيدية حول إنتساب هذه الأعمال ، على سبيل المثال يرفض إنتساب كتاب العلل الى الأطروش ويضيف نقلاً عن أبو جعفر

الهوسمي بأن الكتاب المذكور من أعمال الطائفة الإسماعيلية وأن إنتسابه الى الأطروش أمر مرفوض ، وقد أيد هذا الكلام أبو الفضل بن شهر دوير بن يوسف أيضاً وفي المقابل أكد محمد بن صالح تنهجاني (المتوفى ٦٧٥) إنتساب هذا الكتاب الى الأطروش ، وكتاب العلل حسب تعبير الشيخ أبو جعفر الهوسمي من دسائس الملاحدة والناصر للحق برئ منه وهكذا ذكر أبو الفضل بن شهر دوير بن يوسف .. وتظهر نفس المشكلة في إنتساب كتاب النصيحة الذي أخطأ بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن الديلمي في إنتسابه الى الأطروش في حين أن هذا الكتاب الشهير تم تأليفه من قبل شخص شيعي المذهب وإسمه السيد حسين الهاروني الحسيني الذي نسبته الى الناصر الأطروش تشنيعاً لأئمة الدعوة وخوفاً من كشف مذهبه.

الرسالة الثانية هي عبارة نصيحة من حسين بن محمد بن صالح التنهجاني (المتوفى ٧١٤) الى ابنه يحيى بن حسين عندما كان يقصد الأخير التوجه الى بغداد لطلب العلم ، ويختص معظم أجزاء النصيحة الى المواعظ الأخلاقية قد تكون موضع إهتمام الباحثين ، وفي نهاية الرسالة ينصح الأب ابنه بضرورة إتباع نهج وتقاليد الطائفة الزيدية في طبرستان . للمزيد أنظر طبقات الزيدية الكبرى للشهاري ج ١ ص ٣٩٣-٣٩٤ .

وفي جانب آخر من الرسالة ينصح التنهجاني ابنه قائلاً : " رأيت التفسير الكبير لفخر الدين كماله مهذباً فكن من ورائه وجد ولا تغفل عن شرائه .. " ثم يضيف قائلاً : " وجدت التفسير لبرهان الدين النسفي فكذلك فإنه عزيز الوجود في الممالك .. " ويطلب من ابنه شراء نسخة من كتاب أساس البلاغة قائلاً : " فإن وجدت أساس البلاغة من حرف الطاء الى آخره ، إشتريه غير فاتر فإنه في باب اللغات من أهم الدفاتر ، به يعرف الأديب الحقيقة والمجاز ويستغني عن تعرفها من فصحاء تهامة والحجاز الى غيرها من الكتب لم نقصصه عليك

ويظفر الله به ثم يدرك فإن ذكر أساميها كلها يطول ويميل من يسمعها .. " وفي نهاية الرسالة يشجع الأب ابنه بأخذ الإجازة وأهميتها قائلاً : " .. وعليك أن تأخذ الإجازة من جميع من عليه قرأت ومنه سمعت ومن رواياته شيئاً جمعت ، فإن الإستجازة والإجازة من السلف الى الخلف أمر معهود ، فذلك شاهد وهذا مشهود ، بني هذا تكاليف والتكاليف شاق ولكن رأيتك في الحرص عليها كالحرص العشاق فذكرتها والذكرى تنفع إن شاء الله " . ثم يحذر حسين بن محمد في ختام الرسالة ابنه من تحويل مذهبه ودخول مذهب الشيعة قائلاً : " لا تدخل في الرفض وإذا دخلت فتأب .. " ويمكن تفسير سبب هذا التحذير هو أنه كثرة دخول الزيدية في مذهب الشيعة الإمامية وذلك بسبب ظهور علماء الشيعة بارزين في طبرستان في القرن الثامن أمثال السيد حيدر الآملي .

والنص الأخير من الرسالة عبارة عن حكم إنتصاب الأستاذ أبو يوسف في مقام القضاء وهو على النحو التالي : " السيد الأجل المعظم المؤيد المظفر المنصور المفخم الناصر للحق ابو عبد الله الحسين بن الحسن نصر- الله في الخافقين لواءه وحرس دولته و.. " وهذا النص هو نموذج لإسلوب الإنتصاب في مقام القضاء الذي كان رائجاً لدى الطائفة الزيدية في شمال إيران في القرن الخامس الهجري .

هوية مؤلف المشايخ

إشارة مؤلف المشايخ الى أساتذته جدير للإهتمام ، حيث يصف أستاذه الفقيه حامد خشكرودي على النحو التالي : " .. وخواجه ابو نصر الفاداري الموسمي أصله من فادار وهي قرية من خوارزم وسمعت عن أستاذه الفقيه حامد الخشكرودي إنه من ذرياته .. " . وفي جانب آخر يصف أبناء أستاذه قائلاً : " .. والفقيه أحمد الخشكرودي قرية خلفانية من قرى جيلان وإبنه العالم العامل وإستاذه الكامل حامد بن الفقيه أحمد الخشكرودي .. " . ثم يصف المؤلف

أستاذه الآخر حسن بن محمد بن علي قائلاً: " .. الأستاذ الحسن بن محمد بن علي الإستاذي وهو مات ليلة السبت قبل تغريد الدجاج في أواسط صفر سنة سبع وعشرين وسبعمائة من هجرة خير البرية .. " . وأستاذه الآخر هو علي بن إبراهيم كرفستاني وإبنة محمد بن علي حيث يذكره على النحو التالي: " .. وأستاذنا الكامل علي بن إبراهيم كرفستاني ، قرية من قرى أعالي جيلان وإبنة العالم وأستاذنا الفاضل محمد بن علي وقبرة بالري .. " .

لم نتعرف على هوية هؤلاء الأستاذة بسبب قلة المعلومات كما أشرنا آنفاً بإستثناء بعض معلومات حول مؤلف المشايخ التي تم الحصول عليها من خلال التدقيق في كتاب مطلع البدور لابن أبي الرجال نقلاً عن الملا يوسف الحاج جيلاني .

بعض الأسر العلمية الزيدية الإيرانية

ظهرت بعض الأسر العلمية للطائفة الزيدية في شمالي إيران في القرن السادس حتى التاسع الهجري حيث لعبت أعمالهم العلمية دوراً هاماً في أوساط هذه الطائفة ، وإشتهرت أسرتان من بين هذه الأسر العلمية وهي أسرة بهاء الدين / محي الدين يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الديلمي والذي كان معاصراً للإمام الزيدي اليمني عبد الله بن حمزة (المتوفى ٦١٤) ، ومعظم معلوماتنا حول هذا العالم يتلخص في رسائله التي بعثها الى العالم والفقير اليمني عمران بن حسن بن الناصر العذري الهمداني الشتوي في عام ٦٠٧ ، وقدم هذا العالم الزيدي وصفاً هاماً للطائفة الزيدية في إيران عبر رسائله والتي تعد من أهم المآخذ التاريخية التي يمكن من خلالها التعرف على الأوضاع الإجتماعية والثقافية للزيدية في إيران خلال فترة حياته في القرن السادس الهجري ، وقد نقل ابن أبي الرجال معلومات متناثرة حول هذا العالم وأفراد أسرته دون أن يصفح

عن مصدر هذه المعلومات ومن المحتمل أنه إستعان من كتاب المشايخ في سرد هذه المعلومات ، ويقول أبي الرجال حول شهر دوير بن بهاء الدين قائلاً : "علامة تشد إليه الرحال ، وهو المدفون في شكيل (بالفارسية : گیل وهي مدينة لاهيجان حالياً) له تفسير القرآن وكتاب سمط الدرر شرح التحرير وعمدة الوافي وسير الأئمة .. " (ج ٢ ص ٤٠٨)

ولعب بهاء الدين يوسف دوراً ملحوظاً في دعم المنصور بالله وبسبب موقعه الرفيع لدى الطائفة الزيدية في إيران أدى الى تعزيز موقع ومكانة المنصور بالله الدينية لدى أوساط هذه الطائفة في إيران ومن الآثار الأخرى التي إشتهر بها بهاء الدين هي إجابته على رسالة عمران بن حسن التي بعثها من لاهيجان ، ولم نحصل على أية معلومات حول عمران بن الحسن صاحب الرسالة ، وذكر بهاء الدين في رسالته الجوابية موطنه في لاهيجان وقال بأن عمران بن حسن طلب منه في الرسالة تزويده ببعض الكتب مثل تفسير النجار الذي ألفه في مجلدين ثم نقله الى اليمن ، كما طلب منه تزويده بمعلومات حول سيرة حياة الناصر الأطروش وأبناءه . ويعد هذا الكتاب من أهم مصادر ومآخذ الزيدية بسبب ما يحتويه من أنباء ومعلومات حول أوضاع الطائفة الزيدية في إيران ، وقد إستعان العديد من علماء الزيدية من معلومات هذا الكتاب بإعتباره المصدر الرئيسي- للزيدية في أعمالهم العلمية ، حيث نقل عنه حميد بن أحمد المحلي (المتوفى ٦٥٤) في كتابه " الحقائق الوردية " حول سيرة حياة ثلاثة من الأئمة الزيدية ابو عبد الله الناصر حسين بن أبي أحمد الهوسمي (المتوفى ٤٧٢) والهادي الحقيني (المتوفى ٤٩٠) وأبو الرضا الكيسمي الحسيني من دون الإشارة الى مأخذ الكتاب . كما

إستخدم ابن أبي الرجال والشهاري (ج ٣ ص ١٣٠٠ / ١٣٠٤) من معلومات الكتاب الذي ألفه بهاء الدين .^١

لم نعرف شيئاً عن تاريخ وفاة بهاء الدين سوى أنه توفي قبل عام ٦١٤ وهو نفس العام الذي توفي فيه عبد الله حمزه لأن الأخير ذكر عبارة نقلاً عن بهاء الدين في إحدى رسالاته رداً على معارضيه حيث إستقدم إسمه بعبارة المرحوم دليل على أن تاريخ وفاة يوسف بن أبي الحسن كان قبل تاريخ تأليف هذه الرسالة .

وقد ورد أساتذة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني في مخطوطة العلماء الزيدية تحت عنوان : " الفصل الرابع عشر في تمييز الأساتذة من التلامذة .. " وعلى رأسهم بهاء الدين يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الديلمي المركالي نسبة الى مسقط رأسه قرية مركال من قرى ديلمان ، ثم تتطرق المخطوطة الى بعض أساتذة بهاء الدين يوسف أمثال شيرزاد بن اسحاق الجيلي وشعيب بن دلير بن مرتضى (المتوفى ٦٢٧) ومحمد الداعي الحسيني ومحمود بن اصفهان بن الشيخ الحافظ بن الناصر بن الداعي بن حسين الحسيني ومحمود بن اصفهان بن الشيخ الحافظ بن اصفهان الديلمي الجيلي ، وبخصوص الفقيه شيرزاد بن اسحاق الجيلاني يقال أنه كان تلميذاً لأبو منصور مظفر بن علي الشيخ الحافظ ، وأبو منصور كان تلميذاً لأبيه الشيخ الحافظ ، ثم تواصل المخطوطة تسلسل نسب هذا الشيخ الزيدي وعلى النحو التالي : " .. والشيخ الحافظ تلميذ الإمام الناصر الرضي بن مهدي من ناقلة الناصر للحق عليه السلام والناصر الرضي تلميذ أبي شجاع الجيلي وهو أي الناصر الرضا كان أيضاً تلميذاً لإبي حامد محمد بن محمد الغزالي

١ - المحلّى ، الحقائق الوردية، ج ٢ ، ص ١٩٥-٢٠٢ .

الطوسي ..". (أنظر أخبار الأئمة الزيدية ص ١٤٠-١٤٢) ويقول مؤلف المخطوطة بأن الغزالي دخل مذهب الزيدية بعد لقاءه مع رضي بن مهدي بن محمد الناصري وهو من أبناء الناصر الأطروش وقدم اليه توصية للخليفة العباسي لدى سفره الى العراق (إنظر الشهاري ، طبقات الزيدية الكبرى ج ١ ص ٤٤١-٤٤٢ ج ٢ ص ١٠٦٨-١٠٧٠) ، وكان شعيب بن دلير من تلامذة أبو منصور بن علي الشيخ الحافظ أيضاً ، وأبو منصور نفسه كان تلميذاً لأحمد بن الداعي بن حسين تنهجي والذي قرأ عليه تصنيفات القاضي أبو مضر الشريحي (أنظر الشهاري ، طبقات الزيدية الكبرى ج ١ ص ٨٥٤-٤٨٦) . ويقال بأن الناصر بن الداعي كان أستاذاً لبهاء الدين يوسف وهو أيضاً كان تلميذاً لداود بن أبي منصور بن علي بن الشيخ الحافظ (أنظر رسالة في علماء الزيدية ص ٥-٦) وكان الفقيه قاسم بن إبراهيم الديلمي وأبو يوسف شهردبير الديلمي الجيلاني والسيد علي بن حسين الحسيني من أساتذة بهاء الدين أيضاً (أنظر رسالة في علماء الزيدية ص ٦ ، الشهاري ، طبقات الزيدية الكبرى ج ٣ ص ١٢٨٢) . وقد نقلت في سيرة المنصور بالله بأن يوسف كان عالماً زيدياً وفاضلاً ومطلعاً وكان المنصور بالله قد أوفد اليه رسله في عام ٦٠٥ وهما محمد بن أسعد المرادي ومحمد بن قاسم بن يحيى بن بصير ، ويمكن إستنباط هذه الحقيقة من فحوى الرسالة بأن رسل عبد الله بن حمزة كانوا يقيمون في جيلان قبل عودتهم الى اليمن في عام ٦٠٧ .

وقد تمت الإشارة الى أحد تلامذة بهاء الدين ويدعى محمد بن أسعد المذحجي المرادي بإعتباره من أحد دعاة عبد الله بن حمزة وقد سافر الى جيلان وإلتقى مع بهاء الدين في لاهيجان ثم عاد الى اليمن ومن المحتمل أنه الشخص الذي حمل رسالة عمران بن حسن من اليمن الى لاهيجان وأجاب بهاء الدين على هذه الرسالة ثم أعادها الداعية الى اليمن (أنظر رسالة في علماء الزيدية ص ٧) ، وقد إشتهر بين الطائفة الزيدية في اليمن إسم يوسف بن أبي الحسن بن

أبي القاسم الجيلاني بوصفه أحد رواة كتاب "المسفر" والذي يشتمل على مجموعة من آراء الناصر الأطروش الفقهية ، وقد جاء ذكر بهاء الدين أيضاً في رسالة " الدرة اليتيمة في تبين أحكام السبأ والغنيمة " تأليف عبد الله حمزة نقلاً عن كتاب المسفر (ج ١ ص ١١٠-١١٢) وعلى النحو التالي : " العالم يوسف بن أبي الحسن بن أبي القاسم الجيلاني من علماء الزيدية بالجيل والديلمان عنه بالكتابة منه ومن المحمدين ويحيى بن شهر آشوب " .

كما تم ذكر الأعمال المختلفة التي ألفها يوسف بن أبي الحسن الجيلاني في كتب التراجم الزيدية ، ويبدو بأن الكتاب الوحيد الذي لازال في متناولنا والذي من أعماله العلمية هو كتاب " سير الأئمة " الذي ألفه تلبية لرغبة عمران بن حسن الشتوي (أنظر أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان : نصوص تاريخية جمعها وحققها ويلفرد مادلونج - بيروت : المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ١٩٨٧ ص ١٣٧-١٦١) ، هذا ويعد المستشرق الألماني مادلونج أول باحث الذي أدخل الكتاب المذكور ضمن كتب أخبار الأئمة الزيدية ، كما تم نشر النص الكامل للرسالة العلمية في المجلد الثاني لمجموعة رسائل الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ، تحقيق عبد السلام بن عباس الوجيه (صنعاء مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ١٤٢٣/ ٢٠٠٢ ص ٥٠١-٥٤٠) وقد ذكر في هذا الكتاب بأن المنصور بالله أشار الى فتوى عالم زيدي إيراني يدعي القاضي عماد الدين أبو مضر المؤيدي والذي أفتى بجواز الصلح مع الطائفة الإسماعيلية ، وإنتقد يوسف بن أبي الحسن الجيلاني الذي كان يعد كبير مشايخ الزيدية في خراسان وديلمان وجيلان هذه الفتوى ورفض جواز الصلح مع الإسماعيلية بإعتبارهم كفار وأكد على ضرورة التأسّي والإلتزام بسنة وأحكام أسلاف الأئمة الزيدية . ويذكر بأن يوسف بن أبي الحسن وصف في جانب آخر من كتاب " سيرة العلماء الزيدية " سيرة حياة عدد من العلماء الزيدية من غير السادة

أي " الرشانة " ^١ وأشار الى أعمالهم العلمية ، وقام المستشرق الألماني مادلونج بتصحيح هذه العبارة وكتبها بلفظ " الرساتقة " وقد أخطأ في هذه التسمية لعدم معرفته الإلفاظ التي كانت شائعة في طبرستان ، كما إستعرض يوسف بن أبي الحسن عدد من العلماء الزيدية الذين أستكفروا الإسماعيلية وهي العقيدة التي كانت تؤمن بها معظم أسلاف العلماء الزيدية .

وكان ابنه شهردوير عالم فاضل وأديب وقد ألف كتاباً بإسم " لوائح الأخبار في بحث الروح والنور وعذاب القبر ، وكان له ولدين آخرين أبو الفضل وإسماعيل ولم يأتي إسمائهما في عداد العلماء ، وبموجب الوثائق التاريخية توفي جده في عام ٦١٤ في حين كان يعيش أبو الفضل شهردوير في النصف الأول من القرن السابع ، وعرف أبو الفضل بكتابه الشهير تفسير كتاب الله الذي يعد من أهم كتب التفاسير لدى الزيدية في إيران وقد تم التعرف على بعض نسخ من هذا الكتاب (أنظر الذريعة ج ٤ ص ٢٥٦-٢٥٨) وإستلهم أبو الفضل من أسلوب كتاب تفسير " الكشف " للمفسر الكبير جابر الله الزمخشري (المتوفى ٥٣٨) في كتابة التفسير والذي يعد من أشهر كتب التفسير في أيام زمانه . كما إستلهم من كتاب الكشف والبيان للثعلبي (المتوفى ٤٢٧) وتفسير مجمع البيان وجوامع الجامع للطبرسي (المتوفى ٥٤٨) وبعض الأحيان إقتبس من كتاب إيجاز البيان تأليف بيان الحق نجم الدين محمود بن أبي الحسن النيشابوري (المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس) ومفاتيح الغيب للفخر الرازي (المتوفى ٦٠٦)

١ - عبارة رشنيق في الأساس عبارة طبرية بمعني غير السيد وكانت هذه العبارة شائعة في الجبال وقد إستخدمه عبد الجليل القزويني في القرن السادس بنفس المعنى (أنظر عبد الجليل الرازي القزويني، بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض ، تصحيح مير جلال الدين محدث الأرموي ، قم دار الحديث ١٣٩١ ص ٤٧٨)

وتفسير الناصر الأطروش (المتوفى ٣٠٤) وتفسير جده الأكبر بهاء الدين يوسف. وينسب إلى أبو الفضل بن شهردوير بن يوسف بن أبي الحسن الديلمي كتاب كلامي بإسم "دلائل التوحيد" ومع الأسف لم يعثر عليه حتى الآن (أنظر الذريعة ج ٤ ص ٢٥٧-٢٥٨)، وقد ألف كتب عديدة أخرى ولكن لم يعثر حتى الآن على هذه الكتب سوى كتابه الشهير تفسير كتاب الله والذي ألفه في مجلدين، المجلد الأول تفسير سورة الفاتحة إلى سورة الكهف والمجلد الثاني سورة مريم إلى آخر القرآن، وكان هذا الكتاب من أهم كتب التفاسير لدى علماء الطائفة الزيدية في إيران من القرن السابع إلى العاشر الهجري.

ومن الأسر الزيدية الشهيرة التي اشتهرت بالعلم والآداب هي أسرة صالح بن مرتضى الجيلاني التي ترعرع في أحضانها ثلاثة أجيال من الشخصيات العلمية، وتعرف الطائفة الزيدية في اليمن على هذه الأسرة من خلال كتابات الملا يوسف الحاج الناصري (إنظر ابن أبي الرجال، ج ٢ ص ٢١٧)، ولم تتوفر معلومات خاصة حول شخصية صالح بن مرتضى سوى ذكره بالفقيه في معظم مآخذ الزيدية، وكان من كبار علماء الزيدية في القرن السادس وسبب شهرته هو ابنه محمد بن صالح بن مرتضى الذي ولد في شهر رمضان عام ٦٠٨ وإشتهر بالناصري بسبب إتباعه المدرسة الفقهية لناصر الأطروش، ومن أشهر أساتذته مهدي بن أبي طالب ومحمد بن بانويه (باجويه) حسب رواية ابن أبي الرجال والشهاري (ج ٢ ص ٩٨٦)، ومن المؤكد أن مهدي بن أبي طالب هو نفس الفقيه نور الدين مهدي بن أبي طالب بن علي الذي توفي في شهر رجب عام ٦٨١، كما توفي أستاذه الآخر ويدعى محمد بن أبي جعفر باجويه كالموتى في نفس العام (أنظر رسالة في علماء الزيدية ص ٢)، وتوفي محمد بن صالح بن مرتضى في رمضان عام ٦٧٥ وقد رزقه الله ثلاثة أولاد: علي وحسن وحسين، وكتب حسن عدة تعليقات على هامش كتاب الأمانة (أنظر ابن أبي الرجال ج ٢

ص ٢١٧) وكان لحسين ولد إسمه يحيى ولحسن ولد إسمه برهان وكان لبرهان ولدين محمد وحسين الذين أصبحا في عداد الفقهاء فيما بعد (أنظر رسالة في علماء الزيدية ص ٤) وكانا على قيد الحياة في القرن الثامن ، ولم نحصل على معلومات حول حيات يحيى بن محمد بن صالح . عندما رحل السيد علي كيا الى لاهيجان في عام ٧٦٠ كان يقيم في هذه المدينة فقيه زيدي آخر يدعى يحيى بن محمد صالحى والذي من المحتمل أن يكون نفس يحيى بن محمد بن صالح الذي تم ذكره آنفاً ، وقد هاجر السيد علي كيا هذه المدينة بسبب أنه رفض إمامة يحيى وإتجه نحو مدينة رشت وأقام هناك بالرغم من أن مذهب غالبية هذه المدينة كان سنياً وبالرغم من ذلك إستقبل بحفاوة من قبل والي المدينة الأمير محمد تجاسبى^١ . وكان ليحيى بن محمد صالحى مدرسة الذي أشار إليها ظهير الدين المرعشي (أنظر تاريخ جيلان وديلمستان ص ١١٧) .

١ - يقول نيكويه في مقال نشره حول مذهب أهالي رشت وبالتحديد غرب منطقة جيلان في القرون الوسطى بأنهم كانوا على مذهب السنة والجماعة (إنظر محمود نيكويه ، رشت ، شهر باران ١٣٨٧ ص ٤٨-٥٢) ويقول المستشرق الألماني مادلونج بأن الإسلام إنتشر- في نواحي شمالي غرب إيران بواسطة داعية وعالم سني وحنبلي المذهب من مدينة أمل يدعى أبو جعفر الثومي والذي لا زال مرقده مزاراً للمؤمنين في مدينة رشت ويعتقد بأنه من ذرية الرسول الأعظم (ص) وأخ غير الشقيق للإمام حسن بن علي Wilferd Maldeung, The Minor Dynasties of Northern Iran, London ١٩٧٥ vol. ٤ p. ٢٠٩

نظرة فاحصة في الأسس النظرية التي اعتمدها الشريف المرتضى في كتابه «الناصرية»

الدكتور حميد رضا شريعت مداري
أستاذ مساعد في جامعة الأديان والمذاهب في قم

التمهيد :

لا شك في أن «مسائل الناصرية» لمؤلفه الفذّ الشريف المرتضى - يعتبر من أولى المؤلفات الشيعية في حقل «فقه الخلاف» أو بتعبير أدق «الفقه المقارن». هذا الكتاب القيم قد تمحور حول الآراء الفقهية للناصر الكبير جدّ الشريف الأعلى من ناحية أمّه الكريمة «فاطمة» و ما استهلّ به الشريف الكتاب يدلّ بوضوح على أنّه كان مبتهجاً ومعتزاً بعمله هذا أي التعليقة على المواقف الفقهية لأحد من كبار أئمة الزيدية في إيران في القرن الثالث الهجري. من هنا يمكننا أن نعدّ هذا الكتاب خطوة عظيمة في التقريب بين المذاهب الإسلامية والشيعية الى جانب كونه نموذجاً ناجحاً من الدراسات الفقهية المقارنة.

إذا نظرنا الى «فقه الخلاف» باعتباره ذا طابعٍ جدلي واعتبرنا - كما فعل الكثير - «الفقه المقارن» ذا نزعة علمية محايدة تهدف الى معرفة ما هو صحيح و نابع من الأدلة المعتمدة فلندرج «الناصرية» كنظيره «الانتصار» في لائحة مؤلفات «الفقه المقارن». ففي هذا النوع من التأليف الفقهي قد يعتزل الكاتب

من المواقف السائدة في مذهبه الذي ينتمي اليه ويفضّل رأياً يتمتع بأدلة اظهر واقوم وهذا ما قد نجده في «الانتصار» و «الناصريات». وهذا ما نحتاجه اليوم اكثر من اي وقت آخر وهو من متطلّبات العصر والجيل الجديدين وله دوره في تهميش كثير من الخلافات واستبدال الخصام والتنازع بالتحاور والفهم المتبادل وسوف يمهد الطريق للتوصل الى مواقف مشتركة او متقاربة واقله اعذار بعضنا البعض في مواقفنا الفقهية والكلامية وحتى التاريخية.

جدير بالقول أن المنتفع الأوفر حظاً في الدراسات المقارنة هو الذي ينتمي الى مذهب واتجاه قلما يعرف او الذي إتهموه بالشذوذ والتفرد وخرق الاجماع. ما كتبه الشريف المرتضى في تمهيدته لكتابه «الانتصار»، يشير بوضوح الى إتهام الامامية بالخروج عن إجماع المسلمين والذي دعا الشريف الى كتابة «الانتصار» لم يكن سوى إزاحة هذه الشبهة والكشف عن موافقة المذاهب او الوجوه العلمية الأخرى لكثير من مواقف الامامية ومدى التوثيق والرّصانة العلمية اللذين يتمتع فقه الامامية بهما.

«مسائل الناصريات» كسائر كتب الشريف المقارنة، لها دلالات اكثر من كونها مقارنة فإنها تقف في طليعة الكتب التي تبرز الجراءة على الاجتهاد والتطور في الاستنباط في الأوساط العلمية الشيعية فإن الاجتهاد - ليس بهذا المصطلح - بل بمضمونه ومغزاه كان قد فتح قديماً آفاقه في الجهود الفقهية الشيعية متمثلاً بالقدمين اي ابن ابي عقيل العمّاني وابن جنيد الاسكافي ولنا ان نعود الى ما قبل ذلك حيث كان فضل بن شاذان النيسابوري وسلفه يونس بن عبدالرحمن القمي - اللذان كانا كابن الجنيد متهمين بالقياس المردود - اصحاب الاجتهاد والاستنباط إلا أن الذي فتح باب الاجتهاد المقبول الشيعي ومهد طريقه الى الأوساط الشيعية لم يكن سوى الشيخ المفيد وتبعه في ذلك في نطاق اوسع

الشريف المرتضى وتم ازدهاره في الدراسات والكتابات الفقهية والأثرية للشيخ الطوسي شيخ الطائفة الامامية.

والذي يدعو الى الإعجاب والمديح هو أن الشريف المرتضى يحاول - وينجح - من خلال التراث الفقهي الذي خلفه ووصل اليه أن يستدل على مواقف الشيعة الامامية الفقهية ليس في إطار المعايير الاصولية والمصادر الحديثية المعترف بها عند الامامية فحسب بل كذلك على أساس ما يعتمده الآخرون من القواعد والمصادر وقد صرح الشريف في خاتمة «الناصریات» (ص ٤٤٦) أنه في بعض كتبه الذي لم يصل اليه - وهو «مسائل الخلاف» - قد تمسك لصالح آرائه الفقهية بالقياس الفقهي كما يقبله الآخرون. ما نرمي اليه في هذه الوجيزة هو التريث فيما اعتمده الشريف المرتضى في الناصريات - آخذين بعين الاعتبار كتابه الآخر «الانتصار» - من مصادر الاستنباط ومنزلة كل من الكتاب والسنة والاجماع والعقل والقياس لديه وقبل الورود في صلب الموضوع فلا بد لنا من تمهيد مقدمتين أولاهما في التعريف بالناصر الكبير كما يراه سلالة الشريف مرتضى والثانية في اطلالة على «مسائل الناصريات» وما يميزها عن غيرها.

حول الناصر الكبير

تسمية «الناصریات» كعادة كثير من المؤلفين آنذاك في تسمية كتبهم ترمز الى من له دور رئيسي في تكوينه وهو الذي يدور الكتاب حول آرائه ودراستها: ابو محمد حسن الأطروش وقد لقبوه بالناصر للحق والناصر الكبير والناصر الأطروش وينتهي نسبه النبيل الى الامام علي بن الحسين السجاد عليهما السلام واهل ديلم والجيل مدينون اليه في اعتناق الدين الاسلامي ثم التوجه الشيعي وقد تغلب روحياً وسياسياً على ناحية الديلم ثم طبرستان بأجمعه وقد ترك

لنفسه سمعة طيبة في فترة تقلده للحكم وهو المؤسس لتيار فكري و مدرسة فقهية يمثلان الزيدية في ايران.

انحدرت عن الناصر الكبير سلالة نبيلة من أعلامها الشريف المرتضى الذي ينتهي نسبه من جهة الأم الى الناصر ثم بوسائط الى الامام السجاد عليه السلام ومن جهة الأب الى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهو أي مرتضى- حينما قام بالتعليق على «مسائل الناصريات» أعرب عن إعترازه بنسبه وبعمله هذا حيث قال : «وأنا بتشديد علوم هذا الفاضل البارع كرم الله وجهه أحق وأولى لأنه جدّي من جهة والدتي ... والناصر كما تراه من أرومتي وغصن من أغصان دوحتي وهذا نسب عريق في الفضل والنجابة والرئاسة»... (ص ٦٢).

اما نسب الشريف المرتضى- الى الناصر الكبير فهو بالضبط - كما يصفه المرتضى - هكذا : «لأنها [اي والدتي] بنت ابي محمد الحسن بن احمد أبي الحسين صاحب جيش أبيه الناصر الكبير أبي محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي السجاد زين العابدين ابن الحسين السبط الشهيد بن أمير المؤمنين صلوات الله عليه» (الناصريات، ص ٦٢).

قد لقي الشريف المرتضى جدّه الادنى الذي هو بدوره كان ملقباً بالناصر وهو ابو الحسين احمد فانه كما يصفه المرتضى «كان خيراً فاضلاً ديناً نقيّ السريرة جميل النية حسن الأخلاق كريم النفس وكان معظماً مبجّلاً مقدّماً في أيام معز الدولة وغيرها لجلالة نسبه ومحله في نفسه» (الناصريات، ص ٦٢). و ولي ابو محمد الناصر النقابة على العلويين بمدينة السلام خلفاً لوالد الشريف المرتضى ابي احمد الموسوي سنة ٣٦٢ الهجرية وتوفي سنة ٣٦٨ الهجرية. ويمدح الشريف المرتضى ابالحسين احمد بن الحسن صاحب جيش أبيه الناصر: «و كان له فضل وشجاعة ونجابة» (الناصريات، ص ٦٣) الى أن ينتهي الى الناصر الكبير وهو الحسن بن علي: « ففضله في علمه وزهده وفقهه أظهر من الشمس الباهرة وهو الذي نشر-

الاسلام في الديلم حتى اهتمدوا به بعد الضلاله وعدلوا بدعائه عن الجهالة وسيرته الجميلة اكثر من أن تحصي وأظهر من أن تخفى» (الناصريات، ص ٦٤).
ويواصل المرتضى نسب الناصر مكللاً بالمدح والإطراء الى عمر الأشرف بن علي بن الحسين السجاد فإنه كان «فخم السيادة جليل القدر والمنزلتين في الدولتين معاً الأموية والعباسية وكان ذا علم» وكان هو - كما يرويه المرتضى عن الامام ابي جعفر الباقر عليه السلام - «بصرى الذي ابصر - به» (الناصريات ص ٦٤).

إن إطراء الشريف المرتضى لأجداده الذين كان عدد منهم - ومن جملتهم الناصر الكبير - ينتمون قطعياً الى الزيدية يلمح الى مدى انفتاحه الفكري والمذهبي ورغم ما إستنبطه البعض مما قاله الشيخ الجليل النجاشي بصورة مغلفة من أن الناصر «كان يعتقد الامامة» (رجال النجاشي، ص ٥٦) ورغم الشواهد التي جمعها وطرحها البعض لاثبات كون الناصر امامياً فإننا جازمون بانه كان زيدياً ويشهد بما ذكرناه ما عقب به المرتضى - بعض آراء الناصر مما لا ينسجم كلامياً مع النظرية الامامية. ففي المسألة المرقمة الخامسة والمائتين حيث يقول الناصر «إذا أخطأ الإمام في بعض أحكامه او نسيه لم تفسد إمامته»، يعلّق عليه المرتضى بقوله: «هذه المسألة لا تتقدر على مذاهبنا لأننا نذهب الى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً من كلّ زلل وخطأ كعصمة الأنبياء عليهم السلام» (الناصريات، ص ٤٤٢) وفي المسألة السابعة والمائتين حيث يتحدث الناصر عن عدم جواز مخالفة الإمام المتأخر للإمام المتقدم، يشير المرتضى - الى الخلاف المذهبي بينه وبين جدّه الناصر: «هذه المسألة انما تتفرّع على غير اصولنا لأن من اصولنا أن الإمام معصوم وأنه لا يحكم بالاجتهاد الذي يجوز أن يقع الخلاف فيه بل بالنص والعلم» (الناصريات، ص ٤٤٥).

وفقاً للمبدء الذي أكد عليه المرتضى- في الانتصار و هو ذا : «ليس يجب أن يعلم الأجانب والأبعاد من مذاهب العالم ما يعلمه اصحابه وخلصاؤه وملازموه ومؤانسوه»، فإن المصدر الرئيسي لمعرفة مذهب الناصر ومواقفه هو اصحابه وخلصاؤه الزيدون الذين ألفوا «الحاصر في فقه الناصر» (لمؤلفه ابي الحسين الهاروني) و «الموجز» (في فقه الناصر لمؤلفه ابي القاسم البستي) و«الإبانة» (في فقه الناصر لمؤلفه ابي جعفر الهوسمي) ومما ينسب الى الناصر «البساط» وهوعنى بكلام الزيدية وقد نشره عبدالكريم احمد جدبان .

حول الناصريات

كتاب «الناصريات» يحظى بميزات عدّة نورد هنا ما يهمننا منها :

١. قد أثبت المؤلف أن له إماماً بمواقف الفقهاء المنتمين الى مختلف المذاهب الاسلاميّة فإنه في سرده لآراء الفقهاء قد لا يكتفي بما نقل او اشتهر منهم : «ومن حكى عن الشافعي انه [اي بول الصبي قبل أن يطعم] نجس فقد وهم عليه» (الناصريات، ص ٨٩) ؛ «واختلفت الحكاية عن أبي حنيفة فحكى عنه بعض المحصّلين في كتابه ...» (الناصريات، ص ١٧٧) ؛ وقد يتدخّل في بعض ما ينقل عن الفقهاء فيدلى برأيه كخبير بآراء الفقهاء : «والصحيح من قول ابي حنيفة أنّه [اي الماء المستعمل] طاهرٌ غير مطهرّ وهو قول محمد بن الحسن» (الناصريات، ص ٧٨) ؛ «واختلفت الرواية عن مالك في وجوب الاستنجاء ونفي وجوبه والأشبه أنه موافق لابي حنيفة في نفي وجوبه» (الناصريات، ص ١٠٧) ؛ «وهو قول الشافعي في أصحّ قوليه» (الناصريات، ص ٣٠٦).

كثيراً ما نجد المرتضى يشير الى موقف السلف (كما في الناصريات، ص ٢٥٩) والصحابة والتابعين ومن تبعهم (مثاله : الناصريات، ص ٣٠٦ وص ٣٣٨) جديد بالذكر أن الشريف قد صرّح في مقدّمة «الانتصار» : «إن القوم

يسندون مذاهبهم الى جماعة من السلف يخرج قولهم وخلافهم في تلك المسألة من أن يكون اجماع على خلاف مذاهبهم» (ص ٣) ؛ «على أن من مذاهب أبي حنيفة التي استدرکها بالقياس ما لا يمكنه أن يدعى أن له في القول بها سلفاً من الصحابة والتابعين» (الانتصار ص ٣) «فالشيعة أيضاً تدعي وتروي أن مذاهبها التي انفردت بها هي مذاهب جعفر بن محمد الصادق ومحمد بن علي الباقر وعلي بن الحسين زينب العابدين عليهم السلام بل تروي هذه المذاهب عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وتسندها اليه» (الانتصار، ص ٢). هكذا يريد المرتضى أن يؤكد أولاً أن لكل مذهب سلفاً وثانياً أن السلف لم يكونوا متفقين فيما بينهم في المسائل الفقهية وثالثاً قد لا يكون لبعض الفقهاء في بعض آرائهم سلف ولا سبق لها حكم ولا خاض فيها اهل العلم فيعتقد فيها اجماع او خلاف كما في كثير من آراء ابي حنيفة المعتمدة على القياس وكما نرى فيما انفرد به كل من احمد بن حنبل و داود الظاهري و محمد بن جرير الطبري (ر. انتصار، ص ٣).

قلماً نجد مسألة فقهية ذكرها الشريف ويخلو عن ذكر آراء حسن بن صالح بن حي من رؤساء البترية الزيدية وهو يدل على إمام الشريف بالمذاهب الفقهية كما يدل على سعة باع الحسن في الفقه ومنزلته الفقهية لدى الفقهاء (ر. ناصرية، ص ٦٩ و ٩٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٣٣ و ...). أمّا بالنسبة الى آراء الامامية فإن المرتضى إذ يستند كثيراً إلى اجماعهم بل اجماع اهل البيت (كما في الناصريات، ص ٧٥ و ٢٤٤ و ٢٦٩) كذلك قد يشير الى بعض المواقف الخاصة او الشاذة لبعض الفقهاء القدامى مثل فضل بن شاذان (الناصرية، ص ٤٠٥) وابن جنيد الإسكافي (الانتصار، ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢) وهما من الفقهاء المتكلمين و مثل القميين، اصحاب الحديث (الناصرية، ص ٣٣٨).

٢. الناظر في مطاوي «الناصريات» يجد بواذر تكوين او توسيع اصول الفقه من المنظور الإمامي ممّا يبرز ملامح الاجتهاد الشيعي المتجدّد: «إطراح الشك والبناء على اليقين» (الناصريات، ص ١٣٩)؛ «إنّ الوجوب إنّما يعلم شرعاً والأصل نفي الوجوب فمن ادعى ذلك فعليه الدليل» (الناصريات، ص ١٤٧ و ١٧٩)؛ «والاصل أنّه لا عبادة والشرع طارئ متجدد» (الناصريات، ص ١٠)؛ قاعدة «الاشتغال اليقيني يستدعي البراءة اليقينية» (الناصريات، ص ٢١٤؛ ص ٢٣٢: «إنّ الصلاة في الذمة بيقين فلا تسقط عنها إلّا بيقين» ومثله في الانتصار، ص ٤٠)؛ دلالة الامر بظاهره على الوجوب (ر. الناصريات، ص ١٤٨)؛ الأمر المطلق وان كان لا يوجب فوراً ولا تراخياً في اصل اللغة الا أنه «فقد قطع الشرع العذر بوجوب حمل الامر المطلق على الفور كما قطع العذر بحمله على الوجوب وان كان في وضع اللغة لا يقتضي- ظاهره وجوباً ولا ندباً... ان الصحابة والتابعين ثم تابعي التابعين والى وقتنا هذا يعملون بأوامر الشرع في الأحكام الشرعية من كتاب وسنة على الوجوب والفور» (الناصريات ص ٣٠٦)؛ «إنّ النهي بظاهره ومجرّده لا يقتضي فساد المنهي عنه ونفي أجزائه» (الناصريات، ص ٢٠٨)؛ «النهي لا يتناول الساهي لأن السهو يبطل التكليف وإختصّ بالعامد والذي يمكنه الاحتراز من الفعل» (الناصريات، ص ٢٣٨)؛ مفهوم العدد و الحصر-: «فحصره بعدد يدلّ على أنّ ما عداه بخلافه» (الناصريات، ص ٢٧٥)؛ حينما يكون النفي محذوفاً في الكلام: «ليس لهم أن يضمروا في أن النفي وقع على الأجزاء بأولى منّا اذ أضمرنا أنه وقع على الفضل ويجري مجرى قوله عليه السلام: «لا صدقة وذو رحم محتاج» «لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد». (الناصريات، ص ٣٢١).

٣. نجد الشريف المرتضى في مواضع عدّة من «الناصريات» يصرّح بعدم وجود موقف محدّد للإمامية تجاه تلك المواضيع والمسائل فإنه بعد نقل رأي

الناصر هذا : «ولا فرق بين ورود الماء على النجاسة وبين ورود النجاسة على الماء» يقول : «هذه المسألة لا أعرف فيها نصّاً لأصحابنا ولا قولاً صريحاً» (ص ٧٢) ثم يشير الى مخالفة سائر الفقهاء للناصر وهو نفسه يختار مذهب الشافعي : «ويقوّى في نفسي عاجلاً الى أن يقع التأمل لذلك صحة ما ذهب اليه الشافعي» (ص ٧٣). وكذلك في تحديد تكليف من لم يجد ماءً ولا تراباً نظيفاً يقول الشريف : «وليس لأصحابنا في هذه المسألة نص صريح ويقوّى في نفسي - أنه اذا لم يجد ماءً ولا تراباً نظيفاً فإنّ الصلاة لا تجب عليه واذا تمكّن من الماء أو التراب النظيف قضى الصلاة وإن كان الوقت قد خرج وهو مذهب ابي حنيفة (الناصریات، ص ١٦١).

وقد صرّح السيد المرتضى بعدم وجود موقف صريح للامامية في هذه المسائل : «ولو وكدت توأمين كان النفاس من مولد الآخر منهما» (الناصریات، ص ١٧٣) ؛ «تكبيرة الافتتاح من الصلاة والتسليم ليس منها» (الناصریات، ص ٢٠٨) ؛ «العود في الظهر هو ارادة الماسّة» (الناصریات، ص ٣٥٥) ؛ «معرفة مقدار رأس المال شرط في صحّته السلم» (الناصریات، ص ٣٦٩) ؛ عدم وجود موقف امامي صريح تجاه المسائل الآنفه الذكر - مع أنّها كانت مشاراً للجدل والنقض والإبرام لدى المذاهب الأخرى - ربما يوحى بتقدم الزيدية - كسائر المذاهب الاسلاميّة الأخرى - على الاماميّة في الاجتهاد الفقهي او تدوين المستنبطات الفقهية والذي يسترعي الانتباه هو أن ذوق المرتضى - الفقهي قد ارتضى واقتنع في هذه المسائل بمواقف ابي حنيفة والشافعي وهما من ائمة المذاهب الفقهية السنية وهذه الموافقات لها دلالاتها.

٤. قد نجد في مطاوي «الناصریات» فتاوى شاذة - من المنظور الإمامي - قد أصدرها الشريف المرتضى مما قد أثارت تساؤلات ونقاشات، منها : «عندنا أنه يجوز إزالة النجاسة بالمائع الطاهر وإن لم يكن ماءً» والغريب أنه إدعى على

صحّة ما ذهب اليه اجماع الاماميّة! (الناصريات، ص ١٠٥). هذه الفتوى تختلف عما اختاره الناصر من عدم جواز إزالة النجاسات بشيء من المائعات سوى الماء المطلق - وهو المشهور عن الامامية - و توافق ما أفتى به ابو حنيفة وابو يوسف.

وللشريف المرتضى رأي آخر يشذ عما اشتهر بين الاماميّة وإن كان موافقاً للناصر الكبير : «والعمرة واجبة من جهة الإستطاعة كالحج» والذي يدعو الى الغرابة أن الشريف بتعابير يوحى بأن هذا الرأي هو السائد في الامامية : «الصحيح عندنا أن العمرة أنما تجب في العمرة مرة واحدة وما زاد على ذلك فهو فضل» (الناصريات، ص ٣٠٦). وله رأي آخر يصرّح بكونه متفقاً عليه لدى الامامية والمشهور غير ذلك : «فعندنا أن المرأة العاقلة البالغة تزول عنها الولاية في بضعها ولها أن تزوج نفسها وأن توكل من يزوجه» (الناصريات، ص ٣٢٠) ؛ «فأمّا الدليل على أن المرأة العاقلة لها أن تزوج نفسها بعد الاجماع المتقدم» (الناصريات، ص ٣٢١).

هذه الفتاوى المخالفة لما هو مشهور منذ قرون بين الامامية - وقد إدعى الشريف اجماع الامامية عليها - تتطلّب دراسات فقهية وتاريخية وربما تثبت وجود اجماعات سابقة على الاجماع التالية او تمهّد الطريق لمعرفة أساليب وآليات تحصيل الاجماع لدى القدماء.

٥. لا شك في أن للمبادئ الكلامية التي يلتزم بها الفقيه تأثيراتها في الاستنباطات الفقهية ولها مكانتها الممتازة في اصول الفقه كعلم تمهيدي يبرز قواعد الاستنباط المعتمدة لدى الفقيه. إلا أن الفقهاء في استدلالهم الفقهية قلما يصرّحون بمبادئهم الكلامية سيّما اذا كانت عقلية ويرغبون في أن تعتبر مواقفهم كأنها مستندة الى آيات الأحكام او الأحاديث الفقهية او الاجماع والقياسات العقلية المقبولة والمستخدمة في الفقه.

أما «الناصریات» فإنها قد تصرّح ببعض مواقف السيد الكلاميّه واتخاذها للآراء الفقهيّة على أساس تلك المواقف منها :

إعتماده في بيان استحقات الفاسق للشفعة فيما يستحق من ليس بفاسق، على موقف الاماميّة في «الاسماء والاحكام» حيث إنهم لا يخرجون الفاسق بفسقه عن دائرة الايمان : «وليس كلّ فسق كفراً والفاسق عندنا في حال فسقه مؤمن يجتمع له الايمان والفسق ويسمّى باسمهما وكلّ خطاب دخل فيه المؤمنون دخل فيه من جمع بين الفسق والايمان وكيف لم يبطل فسقه حقوقه كلها من دين ووديعة وثمان مبيع وغير ذلك وأبطل حقه من الشفعة؟!» (الناصریات، ص ٣٧٧).

ومنها ردّه على القائلين بأن الفرائض تعول : «فقد نسب مخالفونا في العول الى الله تعالى ما لا يليق بحكمته وعدله وجميل صفاته لأنه لا يجوز أن يفرض في المال ما لا يتسع المال له فذلك سفه وعبث» (الناصریات، ص ٤٠٤) . واضح أن الشريف هنا لا يريد أن ينكر إمكانية ضيق المال عن السهام المسماة في الفرائض في بعض الأحيان مثل امرأة خلّفت ابنتين وأبوين وزوجاً فللزوجة الربع وللبنتين الثلثان وللأبوين السدسان بل يريد الحؤول دون تنقيص الفرائض المحددة من قبل الله تعالى فيقال إنّ الله تعالى - والعياذ بالله - قد افترض سهماً محدداً مقطوعاً ثم أجاز في تنقيصه وان قيل إنكم - اي معاشر الامامية - لا بدّ لكم من ادخال النقص في المثال الآنف الذكر على بعض الوراثة بالفريضة ، - وهو عندكم البنات - فالتزمت عملياً بالعول يقول الشريف : «المعتمد في إدخال النقص على نصيب البنتين [او البنت او البنات] وما شاكلهما من المسائل التي يدعى فيها العول أنا نقصنا من أجمعت الأمّة على نقصانه من سهامه وهما البنتان لأنه لا خلاف بين من أثبت العول ومن أبطله في أن البنتين منقوصتان ههنا عن سهامهما التي هي الثلثان» (الناصریات، ص ٤٠٤) . وينقل

الشريف ما رواه الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عقبة [الهزلي المدني] عن ابن عباس حيث يقول «سبحان الله أترون الذي أحصى رملًا عالج عددًا جعل في مال نصفًا وثلثًا وربعًا» ثم «.. وأيم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر الله ما عالت فريضة» ثم قوله «كل فريضة لم يهبطها الله عن فريضة الى أخرى فهو ما أخر ولها ما بقى وأما ما قدم الله فكل فريضة اذا زالت عن فرضها الأعلى فلإلى فرض أدنى فأما ما قدم الله فالزوج له النصف فاذا دخل عليه ما يؤيله رجع الى الربع لم يزل عنه شيء.... وأما ما أخر ففريضة البنات والأخوات لهن النصف والثلثان فاذا أزالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لهن الا ما يبقى» (الناصريات، ص ٤٠٧ - ٤٠٥)

يجب ان يزداد الى هذين المثالين ما اشرنا اليه مسبقاً من نفى الشريف المرتضى - لرأي جده الناصر الكبير لمخالفة لمواقف الامامية في عصمة الإمام وعلمه «ر. الناصريات، ص ٤٤٢ و ٤٤٥).

مصادر الشريف المرتضى في إستنباطاته الفقهية

قد حاول الشريف المرتضى - ونجح في محاولته هذه - في كتابه «الناصريات» على غرار كتابه «الانتصار» وسائر كتبه في الفقه المقارن أن يبني آراء الامامية على أسس شرعية يقرّ بها المذاهب الاسلامية الأخرى فإستند الى أخبار الآحاد التي في رأيه لا تفيد علماً ولا عملاً والتي أغلبيتها أخبار نبوية رويت من طرق اهل السنة وكما صرح في نهاية «الناصريات» (ص ٤٤٦) لم يأب في كتابه الآخر الذي لم يصل إلينا - اي مسائل الخلاف - أن يستخدم القياس الذي لا يرضاه هو ولا ترضاه الامامية بأجمعها. فجرت عادته في كتبه في «فقه الخلاف» أن لا يحتجّ بما هو مقبول لدى الامامية فحسب. رغم ذلك فإنه في اغلبية المسائل الفقهية لم يأل جهداً في استخدام وترسيخ إحدى الحجج الخاصة بالامامية وهي إجماع

الامامية وهو وإن كان مقبولاً لدى الشيعة الامامية فحسب إلا أن المرتضى وقبله أستاذه المفيد كانا يعتبرانه بحيث إن كل مسلم لابد له من أن يدعن له لأن هذا الاجماع يتضمن قول الامام الحجة المعصوم الذي لمكان عصمته عن الإثم والسهو والخطأ والنسيان ليس للمسلمين - رغم انتمائاتهم المذهبية المختلفة - أن ينكروه إلا أن يشككوا في تحقيق هذا الاجماع او تضمنه لقول المعصوم او عصمة الإمام كما يقول به الإمامية.

كيف كان فإن استناد المرتضى الى الاجماع قد بلغ مبلغاً عظيماً بحيث إنّه لا تخلو مسألة من المسائل الفقهية المطروحة في «الناصرية» من الاحتجاج بالاجماع واستخدام تعابير مثل «الاجماع المتقدم»، «الاجماع المقدم ذكره» «الاجماع المتكرر» و «الاجماع المتردد»، مشيراً الى اجماع الامامية، مما يدعونا الى التريث في لمية إحتجاج المرتضى بالاجماع وما يكمن وراء استناده الضخم الى الاجماع. بغية الوصول الى هذه الغاية لابد لنا من أن نلقى نظرة شاملة وفاحصة الى مصادر الفكر الديني - والفقهي - من منظور الشريف المرتضى :

١. مصادر الاستنباط : المصادر التي يستند اليها المسلمون في استنباط الفروع العقائدية والفقهية لا تزيد على هذه الاربعة او الخمسة : الكتاب العزيز والسنة (سنة النبي (ص) لاهل السنة وسنة النبي (ص) والائمة (ع) المعصومين لأتباع العترة) والاجماع والعقل (او القياس لدى أهل السنة). أول من صرح بالمصادر الاربعة اي الكتاب والسنة والاجماع والعقل هو واصل بن عطاء كما يصريح بذلك ابو هلال العسكري في الأوائل (ج ٢، ص ١١٩) وأقدم نص شيعي يتحدث عن هذه الرباعية ينسب الى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام : «إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون اليها بالأخبار المجمع عليها و ... حجة من كتاب الله مجمع على تأويلها وسنة مجمع عليها لا إختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله و لا يسع خاصّة الأمة وعامتها الشك فيه والإنكار

- له» (الحَرَاني، تحف العقول، ص ٣٠٠ و الشيخ المفيد (منسوب اليه)، الاختصاص، ص ٥٢ و ر. د. مدرسي، مكتب در فرايند تكامل، ص ٢٣٤).
- مشهور في الأوساط الشيعية أن أول عالم شيعي صرّح بهذه المصادر الأربعة هو ابن إدريس الحلّي في كتابه «السر-اثر» (ج ١، ص ٤٦) إلا أن العالم الإمامي أبا الفتح الكراجكي من تلامذة المرتضى قد سبقه بقرن في سرد هذه المصادر الأربعة: «ويجب أن تؤخذ معالم الدين في الغيبة من أدلة العقل و كتاب الله عزوجلّ والأخبار المتواترة عن رسول الله وعن الأئمة وما أجمعت عليه الطائفة الإمامية وإجماعها حجة» (كنز الفوائد، ص ٢١٥). يبدو جلياً أن هناك فرقاً بين نظرة الكراجكي الى العقل وبين نظرة أستاذه المرتضى اليه - كما نتحدث عنه قريباً - إذ يكمل الكراجكي كلامه هكذا: «فأمّا عند ظهور الإمام فإنّه المفرع عند المشكلات وهو المنبّه على العقليّات والمعرف بالسمعيّات كما كان النبي» (نفس المصدر). سوف نرى أن كلمات السيد المرتضى ايضاً تؤدّي أخيراً الى اعتبار هذه المصادر الأربعة - معتنياً أشدّ الإعناء بالعقل ودوره - فلنقدّمه على ابن ادريس والكراجكي وقد سبقه الشيخ المفيد بحصر- أصول أحكام الشرع- في الكتاب وسنة النبي والأئمة وأن الطرق اليها تنحصر- في العقل واللّسان والأخبار (ر. مختصر التذكرة من أصول الفقه المطبوع مع «كنز الفوائد» ج ٢، ص ١٥).
٢. مرجعية القرآن الكريم: عامّة لم يكن هناك تردّد في القرن الرابع والخامس الهجريّين في الأوساط الشيعيّة في قم و بغداد في حجية القرآن الكريم ومرجعّيّته اي عدم سريان التحريف اليه وحجية ظواهره وكونه مرجعاً ومعيّاراً لتوثيق الحديث. الشيء الوحيد الذي كان مثاراً للنقاش كان هو إمكانية تخصيص الكتاب او نسخه بأنواع من الحديث - مثل الخبر الواحد - والإجماع.
٣. الحديث: أمّا بالنسبة للحديث فإن هناك خلافات كبيرة بين المذاهب الاسلاميّة وفي كلّ مذهب بين اصحاب النص واصحاب العقل (او إن شئت

فعبر هكذا : اصحاب الجملة او اهل الحديث، واصحاب الكلام أو أهل نقد الحديث). أمّا بين الشيعة أنفسهم فلم يدر هناك نقاش كثير حول الأخبار المتواترة لكن أخبار الآحاد قد أثارت سجلات ونقاشات حادة وسببت في انقسامات جادة فإن كان القميون يقرّون بالخبر الواحد الصحيح - وفقاً لمصطلح القدماء - في جميع القضايا العقائدية والفقهية وكانوا - بعد إحراز وثاقة الراوي وصحة عقيدته - يخضعون أمام الأخبار الموجودة في أصول الروايات وكتبهم ومصنفاتهم وجوامعهم، إلا أن البغداديين سيّما الشيخ المفيد والشريف المرتضى - كانوا يكرّرون دوماً : «الخبر الواحد لا يفيد / لا يوجب علماً ولا عملاً» (ر. الشيخ المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ١٢٣ ؛ يقول المفيد في أوائل المقالات، ص ٥٧ : «لا يجب العلم ولا العمل بشيء من أخبار الآحاد ولا يجوز لأحد أن يقطع بخبر الواحد في الدين إلا أن يقرن به ما يدل على صدق راويه على البيان»).

وقد زاد الشريف المرتضى في حدة تعابيره وصلابة أحكامه ضدّ العاملين بأخبار الآحاد: «وكذلك أبطلنا العمل في الشريعة بأخبار الآحاد لأنها لا توجب علماً ولا عملاً وأوجبنا أن يكون العمل تابعاً للعلم لأن خبر الواحد اذا كان عدلاً فغاية ما يقتضيه الظن بصدقه ومن ظننت بصدقه يجوز أن يكون كاذباً» («الموصليات الثالثة» المطبوعة في الرسائل، ج ١، ص ٢٠٤) ؛ «العلم الضروري حاصل لكل مخالف الإمامية او موافق بأنهم لا يعملون في الشريعة بخبر لا يوجب العلم وأن ذلك صار شعاراً لهم يعرفون به». (رسالة «ابطال العمل بأخبار الآحاد» المطبوعة في الرسائل، ج ٣، ص ٣٠٩) ؛ «لا يجوز لعالم ولا عامي الرجوع في حكم من أحكام الشريعة الى كتاب مصنف لأن العمل لابد من أن يكون تابعاً للعلم على بعض الوجوه والنظر في الكتب لا يفيد علماً» («الرسيّة الأولى» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ٣٣٢) ؛ «فأمّا أن قوماً من

طائفتنا يرجعون الى العمل بهذه الكتب مجردة عن حجة ولا ينكر بعضهم على بعض فعله فالجواب أنا ما نجد محصلاً من أصحابنا يرجع الى العمل بما في هذه الكتب من غير حجة تعضده ودلالة تسنده بقصده ودلالته ومن فعل ذلك منهم فهو عامي مقلد في الاصول ... و مازال علماء الطائفة ومتكلموهم ينكرون على عوامهم العمل بما يجدونه في الكتب من غير حجة مشافهة» (نفس المصدر، ص ٣٣٣).

هذه المواقف الحازمة يمكن تتبعها في مختلف كتب المرتضى (مثلاً في «رسالة في الرد على أصحاب العدد» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ٣٠ و ص ٦٠ ؛ الناصريات، ص ٤٤٦ ؛ الانتصار، ص ٣٩، ٤٥ و ٦١).

٤. عدالة الراوي : إن عملية الاستنباط الفقهي تصعب وتتعمد أكثر إذا لاحظنا ما يقدمه المرتضى من تفسير ضيق للعدالة كشرط ضروري للراوي الذي تقبل روايته : «والعدالة عندنا يقتضي- أن يكون [المخبر] معتقداً للحق في الأصول والفروع» («رسالة إبطال العمل بأخبار الآحاد» المطبوعة في الرسائل، ج ٣، ص ٣٠٩) ؛ «فإن معظم الفقه وجمهوره بل جميعه لا يخلو مستنده ممن يذهب مذهب الواقعة وإلى غلاة وخطابية ومخمسة وأصحاب حلول كفلان وفلان ومن لا يحصى أيضاً كثرة وإلى قمي مشبه مجبر ... فليت شعري أي رواية تخلص وتسلم من أن يكون في أصلها وفرعها واقف أو غال أو قمي مشبه مجبر والاختبار بيننا وبينهم التفتيش ... ثم لو سلم خبر أحدهم من هذه الأمور لم يكن راويه إلا مقلداً بحثاً معتقداً لمذهبه بغير حجة ودليل و من كانت هذه صفته عند الشيعة جاهل بالله تعالى لا يجوز أن يكون عدلاً ولا ممكن تقبل أخباره في الشريعة» (نفس المصدر و ر. «المسائل الرّسّية الأولى» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ٣١٥).

فالعدالة التي إعتبرها المرتضى في الرّاي لا تختصر في الاحتراز من الفسق - أي إرتكاب الكبائر والإصرار على الصغائر - بل تشمل الالتزام بالعقيدة الصحيحة دينياً ومذهبياً وزاد فيها كون العقيدة ناشئة وصادرة عن النظر والتروي - لا عن التقليد - وناهيك أن إستخدام القياس الفقهي في الشريعة أيضاً لا ينسجم مع العدالة (ر. «رسالة إبطال العمل بأخبار الآحاد» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ٣١٠).

جدير بالذكر أن الشريف المرتضى - ككثير من العلماء الآخرين - لا يرى العدالة شرطاً في تحقيق الخبر المتواتر وقبوله ولا يمنع الفسق بل الكفر من تحقيق التواتر وإفادته للعلم واليقين (ر. نفس المصدر) وهو متسامح جداً في قبول الخبر المتواتر وإحراز التواتر في جميع طبقات الرواية (ر. «المسائل الرّسّية الأولى» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ٣٣٩).

٥. نفي القياس: نعلم كذلك أنّ الشريف المرتضى - كأستاذه الشيخ المفيد شديد الخصومة إزاء القياس الفقهي والذين يطبقونه في الإمامية فإنه في «الموصلات الثالثة» يردّ العمل بالقياس إلى جانب ردّه للعمل بأخبار الآحاد ويُرجع السبب في إبطال هذين المصدرين إلى عدم تعبد الشارع بالعمل بهما - لا استحالة العمل بهذين كما ادّعاه البعض ونقله المرتضى - (الرسائل، ج ١، ص ٢٠٤) ويدّعى «أن أصحابنا كلّهم سلفهم وخلفهم ومتقدمهم ومتأخّروهم يمنعون من العمل بأخبار الآحاد ومن القياس في الشريعة ويعيبون أشدّ عيب المذهب اليه والملتق في الشريعة بهما حتى صار هذا المذهب لظهوره وانتشاره معلوماً ضرورة منهم وغير مشكوك فيه من المذاهب» (نفس المصدر) وكما ذكرت آنفاً فإن العمل بالقياس يعتبر - في رأي المرتضى - عائقاً أمام قبول الرواية: «وفي روايتنا ونقله أحاديثنا من يقول بالقياس ويذهب إليه في الشريعة كالفضل بن شاذان ويونس وجماعة معروفين ولا شبهه في أن اعتقاد صحّة

القياس في الشريعة كفر لا تثبت معه عدالة فمن أين يصحّ لنا خبر واحد يروونه؟» («رسالة في إبطال العمل بأخبار الآحاد»، المطبوعة في الرسائل، ج ٣، ص ٣١٠).

من جملة العلماء الذين تعرّضوا لنقد لاذع من قبل الشيخ المفيد والشريف المرتضى وأتهموا بتطبيق القياس في الشريعة يمكن الإشارة الى ابن جنيد الإسكافي المتوفى حوالي منتصف القرن الرابع الهجري والذي ينقل النجاشي عن مشايخه الثقات أنهم يقولون عنه «إنّه كان يقول بالقياس» (الرجال، ص ٣٨٨). فقد كتب المفيد رسالة في الردّ على ابن جنيد لم تصل إلينا إلا أن موقفه تجاه ابن جنيد في تمسكه بالقياس واضح وصريح في وجيزته «الرسالة السروية» (المطبوعة في مصنفات الشيخ المفيد، ج ٧، ص ٧٣). أما الانتقادات الصريحة التي وجهها السيد المرتضى نحو ابن جنيد كثيرة مبعثرة في كتبه المختلفة (مثلاً انظر: الانتصار ص ٧٨، ٢٣٧ و ٢٤٢) ولسأحة آية الله السيد علي السيستاني تقرير آخر وبديع عن القياس الذي كان يستخدمه القدماء من الشيعة ومن جملتهم ابن الجنيد الإسكافي (فليراجع الى: قطيفي، الرافد، الحلقة الأولى، ص ١٢).

٦. اعتماد اليقين: المحور الأساس في نظرية السيد المرتضى وأستاذه الشيخ المفيد هو اليقين واعتماده سواء في تحصيل المعارف النظرية والعقيدية أم في إستنباط الأحكام الفقهية (ر. المفيد، أوائل المقالات، ص ١٢٣). بصدد ذلك يقول السيّد: «وقد بيّنا أن العمل في الشريعة بما لا يوجب العلم غير جائز» (الانتصار، ص ٤٥ و ر. المصدر نفسه، ص ٦ و «الموصلات الثالثة» المطبوعة في الرسائل، ج ١، ص ٢٠٤) والسبب في عدم قبول أخبار الآحاد أيضاً يكمن في قصوره عن إفادة اليقين: «ولو كانت [أخبار الآحاد] قوية لما أوجبت إلا الظنّ وقد دللنا في غير موضع على أن أخبار الآحاد لا توجب العمل كما لا توجب العلم» (الانتصار، ص ٣٩) فلا يبقى للخبر الواحد إذا أريد الاحتجاج به إلا أن

يتعبدنا الشارع بالعمل به وهذا لم يثبت - طبقاً لنظرية المرتضى وقد أشرنا إليها مسبقاً - ، أو تنضم إليه قرائن - علاوة على وثاقة الراوي وعدالته - تفيد العلم بصدور نصّه وصحّة مضمونه : «وهذا الخبر [أي صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته] وإن كان من طريق الآحاد ومما لا يعلم فقد أجمعت الأمة على قبوله وإن اختلفوا في تأويله» («رسالة في الرد على أصحاب العدد» المطبوعة في الرسائل، ج ٢، ص ١٧).

إذا تخلّينا عن كثير من أخبار الآحاد - ومعلوم أن الأخبار المتواترة نزره ومثلها آيات الأحكام سيّما إذا اعتبرنا أن دلالتها ظنية في جميعها أو أغلبيتها - فكيف وإستناداً إلى أية مصادر يمكننا أن نتوصّل الى المعرفة الدينيه القطعية والأحكام الشرعية اليقينية؟!

يقول السيد المرتضى بدوره : «فلابدّ لنا فيما نشبهه من الأحكام فيما نذهب اليه من ضروب العبادات من طريق توجب العلم وتقتضي اليقين وطرق العلم في الشرعيات هي :

أ - الأقوال التي قد قطع الدليل على صحّتها وأمن العقل من وقوعها على شيء من جهات القبح كلّها ...

ب - اجماع الفرقة المحقة من الإمامية» («الموصلات الثالثة» المطبوعة في الرسائل، ج ١، ص ٢٠٤).

ت - «إذا لم نجد في الأدلّة الموجبة للعلم طريقاً إلى حكم هذه الحادثة كنّا فيها على ما يوجب العقل وحكمه»، (المصدر نفسه، ص ٢١٠).

فالعمدة لدى الفقيه هي الآيات القرآنية والأخبار المتواترة والإجماع والعقل وكلّها يفيد العلم فيفتح مجال للاجماع - وسوف نتحدث عنه بإسهاب - وللعقل فإن العقل يلعب دوراً في الإستنباط في حقلين : في دلالة النصوص القطعية حيث يجب أن لا تكون دلالتها متضمنة او مستلزمة لأي نوع من القبح

والاستحالة وفيها لا يكون هناك نص ولا إجماع وقد رأينا أن السيد في «الناصريات» حيث لا يجد نصاً ولا موقفاً صريحاً للإمامية يدلي برأيه اعتماداً على عقله وذوقه الفقهي .

٧. الإجماع : طبقاً لما نقلناه فلنقدّم الشريف المرتضى على تلميذه الكراجكي في التصريح بالمصادر الأربعة وإعطاء دور للعقل في طول المصادر الأخرى. هذا ولكن تطبيق العقل وأحكامه ليس متوفراً كثيراً في إستنباطات الشريف الفقهية -كسائر فقهاء الإمامية - فلم يكن في الواقع العقل بديلاً للخبر الواحد الذي طُرد عملياً من قائمة المصادر الشرعية لما يستنبطه المرتضى. أمّا المصدر الذي لعب دور البديل بشكل لافت للنظر هو الإجماع - أي إجماع الإمامية . إعتد الإجماع في الاحتجاجات الفقهية يفوق جداً ما حُتمه أو أعلنه المرتضى : «فإن قيل إذا سدّتم طريق العمل بالأخبار في الشريعة فعلى أي شيء تعولون في الفقه كلّهُ؟ قلنا إن معظم الفقه نعلم ضرورة مذاهب أئمتنا فيه بالأخبار المتواترة فإن وقع شك في أن الأخبار توجب العلم الضروري فالعلم الذي لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه حاصل كالعلم بالأمور الظاهرة كلّها التي يدعى قوم أن العلم بها ضروري ...»، «وما سوى ذلك لقلته بل الأقل نعول فيه على إجماع الإمامية» «إبطال العمل بأخبار الآحاد» المطبوعة في الرسائل، ج ٣، ص ٣١٢).

يبدو جلياً أن السيد يأخذ بعين الاعتبار المسائل الفقهية الرئيسية والتي قد تحوّلت أحياناً إلى الخلافات الجادّة بين الإمامية والآخرين وإلا فكيف يمكن إدعاء التواتر فيما وردت في عامّة أو معظم المسائل الفقهية ثم فما بالنّا بالقضايا المستحدثة يوماً فيوماً؟! فلننظر في الأمثلة التي يوردها المرتضى لتكون شاهدة على التواتر : «إن الإمامية كلّها تعلم أن مذهب أبى عبدالله جعفر بن محمد الصادق وآبائه وأبنائه عليهم السلام إنكار غسل الرّجلين وإيجاب مسحهما

وإنكار مسح الخفين وأن الطلاق الثلاث لا يقع وأن كل مسكر حرام و...» (المصدر نفسه).

قد سبق المفيد المرتضى في العناية البالغة بالإجماع ويكفيك الرجوع إلى «اوائل المقالات» فتجد مدى إستناد المفيد الى الاجماع المختلفة والكثيره. لكن إعتقاد الاجماع سيّما في الفروع الفقهيّة يبلغ ذروته في مؤلفات المرتضى ففي «الناصرية» قلّمّا توجد مسألة فقهيّة لم يرجع فيها المرتضى إلى إجماع الإماميّة وفي «الانتصار» الذي ألفه المرتضى لتوثيق متفرّدات الإمامية وماتوهم انفراد الاماميّة فيه ايضاً نجد كثره تمسكه بإجماع الإماميّة ومن هنا نجده يستهلّ كتابه هذا بالتأكيد على دلالة وحجية إجماع الإماميّة : «ومما يجب أن يعلم أن حجة الإماميّة في صواب جميع ما انفردت به او شاركت فيه غيرها من الفقهاء هي إجماعها عليه لأن إجماعها حجة قاطعة ودلالة موجبة للعلم» (ص ٦).

ينقل لنا السيد أنه في بعض القضايا الفقهيّة كان يرجّح رأياً فإذا تأكد من إجماع الإمامية على رأي آخر ترك رأيه «لأن إجماع هذه الطائفة قد ثبت أنه حجة» (الانتصار، ص ٢١٣). والإجماع في دلالتة وقوته يصل إلى مستوى يمكنه أن يخصّص ظاهر القرآن وعمومه : «ويخصّ بمثله [اي الإجماع] ظاهر القرآن» (المصدر نفسه).

تتميماً للبحث فإن علينا أن نلقي نظره معمّقة الى الإجماع كما يراه الشريف المرتضى :

أ. منشؤ حجية الاجماع : قد وجد الإجماع مكانته كدليل مستقل إلى جانب الأدلّة الأخرى لدى اهل السنة قبل الإماميّة - ربما بقرون - وهذا هو المعروف في الأوساط العلميّة أن أهل السنة هم المستند للاجماع والإجماع هو المستند لهم - سيما في القضايا السياسيّة - فإنهم أكدوا على مبدء الشورى في الخلافة خلافاً للشيعه الذين تمسكوا بمبدء النص والنصب في الإمامية مثل تأكيدهم على

الأفضلية أي تقديم الفاضل على المفضول وقد سمى المعاوية عام الأربعين الهجري عام الجماعة وبمرّ الزمن إختارت مدرسة الخلافة أن يلقب أتباعها بأهل السنة والجماعة تعريضاً بالشيعة الذين سمّوهم بالرّافضة وتعريضاً بأصحاب النهروان الذين لقبوهم بالخوارج والمارقة!

كيف كان فإن الامامية رغم وجود إشارات لافتة للنظر في كلمات ائمتهم توحى بأهمية الاجماع أو طريقتيه - لا في أصول العقائد وأمّتها - لم يفسحوا مجالاً للإجماع في استدلالاتهم وإستنباطاتهم. لا نعلم متى وكيف وجد الإجماع منزلته لدى علماء الإمامية. ربما حدث ذلك متأثراً بالعلاقات المتبادلة بين المعتزلة والامامية التي وصلت الى أوجها في نهايات القرن الثالث الهجري وبدايات القرن الرابع الهجري ولا يمكن غض النظر عن تأثيرات الزيدية المتمسكة - منذ وقت - بإجماع العترة وأهل البيت.

بما أن الإجماع كدليل معتمد يعوز إلى خلفيّة جلّية في التراث الإمامي وليس كالعقل الذي له وبإمكانه أن يخلق ويجعل حجّيته بنفسه وهو المرجع الرئيسي - للتصديق بالديانة فلا بدّ من إيجاد قاعدة تبرّر الإجماع وتجعل منه حجة شرعية. الطريقة التي سلكها الإماميون تجسّدت في إرجاع الإجماع الى سنة الإمام المعصوم التي بدورها حازت حجّيتها بواسطة النبي الكريم واقواله سيّما حديث الثقلين. يقول المفيد: «لتضمّنه قول الحجة» (اوائل المقالات، ص ٥٧) وهذا هو قول المرتضى في إثبات حجية الاجماع: «قد علمنا أن قول الإمام وإن كان غير متميز الشخص داخل في اقوالها [اي الإمامية] وغير خارج عنها» («الموصليات الثالثة» المطبوعة في الرسائل، ج ١، ص ٢٠٥) وهذا هو استدلاله في «الإنتصار»: «لأن في إجماع الإمامية قول الإمام الذي دلّت العقول على أن كلّ زمان لا يخلو منه وأنه معصوم لا يجوز عليه الخطأ في قول ولا فعل فمن هذا الوجه كان

اجماعهم حجة ودليلاً قاطعاً» (الانتصار، ص ٦ و ر. الذريعة، ج ٢، ص ٢٧٤).
المقدمات المعتمدة في هذا الاستدلال هي كما يلي :

أولاً: وفقاً للأدلة النقلية والعقلية التي تستند اليها الإمامية - منها قاعدة اللطف - فإنه لا يخلو زمان من وجود الإمام ؛

ثانياً: طبقاً للأدلة النقلية والعقلية التي استندت اليها الإمامية فإن الامام الذي تجب طاعته يجب أن يكون معصوماً فإن الإمامة المطلقة والطاعة المطلقة تتطلبان العصمة.

ثالثاً: إذا أجمعت الامامية فلا بد من دخول الإمام الشيعي في المجمعين إذ بدونه لا يتم الاجماع ولا يتحقق؛

وهكذا يستنتج السيد المرتضى - كسائر الفقهاء الذين يؤمنون بالاجماع الدخولي أي يبررون حجية الاجماع بدخول الامام المعصوم في المجمعين وهناك طرق أخرى لتبرير الاجماع وحجتيه - أن إجماع الإمامية حجة شرعية ملزمة ومثله إجماع المسلمين وإجماع العترة .

٢. إفادة الإجماع لليقين : بما أن المفيد والمرضى لا يعتمدان الا على اليقين فليكن الإجماع عندهم مفيداً للعلم حتى يمكن الاعتماد عليه. ذكرنا قبل قليل أن المرتضى يعدّ الاجماع في عداد الطرق الموجبة للعلم والمقتضيه لليقين (الرسائل، ج ١، ص ٢١٠ و ر. الانتصار، ص ٦).

ومن هنا رأينا المرتضى يعطي الاجماع منزلة المخصص لطواهر القرآن الكريم وعموماته وقد اعتبر السيد الإجماع دليلاً مكثفياً بمفرده مستغنياً عن ضم الأدلة الأخرى : «فإن إنضاف الى ذلك [اي الاجماع] ظاهر كتاب الله تعالى او طريقة أخرى توجب العلم وثمر اليقين فهي فضيلة ودلالة تنضاف الى أخرى وإلا ففي إجماعهم [اي الإمامية] كفاية» (الانتصار، ص ٦).

٣. **تحصيل الإجماع:** كل من «العلاقة بين الإجماع واليقين» و «آليات تبديل الإجماع الى حجة شرعية» يتطلّب دراسات أكثر وأعمق ليست هذه المقالة بصددّها وأنه قد جاء بعد علماء وافقوا الإجماع كابن زهرة والمحقق الحليّ والشهيدين - على أساس مبدء الإجماع الدخولى أو بتقريرات أخرى - وأنكرته ثلة من العلماء سيّما الأخباريين الجدد الذين اعتبروا الإجماع مما يفيد الظن فلا يعتدّ به وقد دخل في الأوساط الشيعية بتأثيرات من أهل السنة خضع لها البغداديون والحليّون!

هناك جانب ثالث يتطلّب بدوره تأملات جذريّة وميدانية وقد أثارت نقاشات كثيرة وهو «آليات تحقيق الإجماع» وأن الإجماعات المدّعاة المحصّلة والمنقولة المتوفرة بكثرة في كلمات الشيخ المفيد والسيد المرتضى هل تشير في الواقع الى إتفاق جميع علماء الامامية - مثلاً في إجماعات الإمامية - أو الى إتفاق المحصّلين، اصحاب النظر فقط؟ وهل كان هناك في الحقيقة - فيما سوى القضايا الرئيسية العقيدية والفقهية والتاريخية - إجماعات بهذا المستوى وبهذه الكمية الهائلة؟ وكيف يمكن تبرير بعض الإجماعات التي يصرّ عليها الشيخ المفيد والسيد المرتضى رغم وجود مخالفين معروفين في الإماميّة؟

لم يفت السيد المرتضى أن يتحدّث أكثر من مرّة عن عدم تأثير بعض الخلافات الشيعيّة في تحقيق الإجماع وحجيّته. من جملة الفتاوى الفقهية التي توهم شذوذ الإمامية وانفرادها فيها وتحدّث عنها المرتضى في «الانتصار» هو حصر وجوب الزكاة في الموارد التسعة (النقدين والغلات الأربعة والأنعام الثلاثة) فإنه ضمن تصريحه بوجود فقهاء آخرين - غير إماميين - يوافقون هذه الفتوى، يستند الى إجماع الإماميّة في هذه المسألة ثم هو نفسه يطرح هذا السؤال: «كيف تدّعون إجماع الاماميّة وابن الجنيد يخالف في ذلك ويذهب الى أنّ الزكاة واجبة في جميع الحبوب التي تخرجها الأرض وإن زادت على الأصناف التسعة

التي ذكرتموها وروى في ذلك أخباراً كثيرة عن أئمتهم (ع) وذكر أن يونس كان يذهب الى ذلك» ويحيب عن هذا السؤال هكذا : «لا إعتبار بشذوذ ابن الجنيد ولا يونس وإن كان يوافقه والظاهر من مذاهب الإمامية ما حكيناه وقد تقدّم إجماع الإمامية وتأخر عن ابن الجنيد ويونس» (الانتصار، ص ٧٧).

فهل إن السرّ في عدم الإعتداد بهذه الخلافات يكمن في تقدّم الإجماع على هذين العلمين وأنّ المعتر هو إجماع عصر الصادقين عليهم السلام مثلاً فلا عبرة بإتفاق او شذوذ المتأخرين عن ذلك العصر أو أن لمواقف هؤلاء ومنهجيتهم في الإستنباط الفقهي دوراً في عدم الاعتناء بمخالفتهم ؟

اليكم نموذجاً آخر: «فإن قيل كيف تستجيزون إدعاء الاجماع في هذه المسألة [شرعية حكم الإمام ومن ينصبه بعلمهم في جميع الحقوق والحدود] وابو علي بن الجنيد يصرح بالخلاف فيها ويذهب الى أنه لا يجوز للحاكم أن يحكم بعلمه في شئ من الحقوق ولا الحدود؟ قلنا لا خلاف بين الإمامية في هذه المسألة وقد تقدّم إجماعهم إبن الجنيد وتأخر عنه وإنّما عوّل ابن الجنيد فيها على ضرب من الرأي والاجتهاد وخطؤه ظاهر» (الانتصار، ص ٢٣٧).

الجديد في هذا الكلام هو تخطئة ابن الجنيد في منهجيته في الاستنباط الفقهي فكأنه لإتجاهه الخاطئ لا يحسب له حساب في انعقاد الإجماع أو إنفصامه! أما الصريح في المقام هو ذا : «واليه [اعتماد الرؤية دون العدد في بداية شهر رمضان] يذهب جميع أصحابنا إلا شذاذاً [أي الشيخ الصدوق ومن ذهب الى مذهبه في العدد] لا إعتبار بقولهم ... ومن خالف في هذه المسألة فقد سبقه الإجماع» (الناصرية، ص ٢٩١).

يبدو أو يحتمل أن السيّد المرتضى يحدّد نوعاً ما دائرة الاجماع فيخرج عنها علماء لا يرضى موقفهم المنهجي وإتجاههم الفقهي أو العقيدي فكأنهم لا يمثلون الجماعة والطائفة الإمامية لا كلّها ولا بعضها!

ما زال الباب بمصراعيه مفتوحاً أمام مسألة الإجماع ؛ كيف ومن أي باب
دخل في الوسط الشيعي؟ كيف حلّ محلّ الخبر الواحد وملاً الفراغ الناتج عن
طرد الخبر الواحد والقياس؟ كيف يحصل وكيف يتمّ تحصيله؟

المصادر :

١. الحرّاني، ابو محمد حسن بن علي، «تحف العقول»، بيروت، ١٩٧٤ م.
٢. الحلّي، ابن ادريس، «السرائر»، قم، ١٤١٠ ق.
٣. السيستاني، السيد علي، «الرافد»، حرّره منير السيّد عدنان القطيفي، الحلقة الأولى، قم، ١٤١٤ ق.
٤. عسكري، ابو هلال حسن بن عبدالله، «الأوائل»، الريّاض، ١٩٨١ م.
٥. علم الهدى، الشريف المرتضى، «الإنصار»، قدّم له السيد محمدرضا الخراسان وحققه السيد محمد مهدي الخراسان، المطبعة الحيدرية، النجف (جدّدت طبعة منشورات الشريف الرضي بقم)، ١٣٩١ ق.
٦. _____، الرسائل، قدّم له السيد احمد الحسيني وحققه السيد مهدي رجائي، دار القرآن الكريم، قم، ١٤٠٥ ق.
٧. _____، «الناصریات»، قدّم له مهدي نجف وواعظزاده الخراساني، مركز الدراسات التابع للمجمّع العالمي للتقريب، طهران، ١٩٩٧ م.
٨. _____، «الذريعة الى أصول الشريعة»، منشورات جامعة طهران، طهران، ١٣٤٦ ش.
٩. الكراجكي، ابو الفتح، «كنز الفوائد»، حقّقه عبدالله نعمة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥ م.
١٠. المدرسي الطباطبائي، السيد حسين، «مكتب در فرايند تكامل» منشورات كوير، طهران، ١٣٨٦ ش.
١١. المفيد، ابو عبدالله محمد بن محمد بن نعمان، «الإختصاص» (نسب الى الشيخ المفيد)، النجف، ١٣٨٢ ش.
١٢. _____، «اوائل المقالات»، منشورات جامعة طهران (وجامعة مك غيل)، طهران، ١٣٧٢ ش.

١٣. _____، «المسائل السروية» مصنفات الشيخ المفيد، الجزء السابع، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ١٣٧١ ش
١٤. _____، «تصحيح الاعتقاد»، (مصنفات الشيخ المفيد، الجزء الخامس) مؤتمر الشيخ المفيد، قم، ١٣٧١ ش .
١٥. النجاشي، ابوالعباس احمد بن علي، «فهرست أسماء مصنفي الشيعة (المعروف برجال النجاشي)»، حققه آية الله السيد موسى الشبيري الزنجاني، الطبعة العاشرة، النشر- الاسلامي، قم، ١٤٣٢ ق.

المذهب الزيدي في ماضيه وحاضره مقارنة بالمذهب الامامي الاثني عشري

السيد محمد رضا الحسيني الجلاي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى الأئمة من آل الطيبين والرحمة والرضوان على أصحابهم وشيعتهم الأبرار الصالحين.

ظهور الزيدية، وخصائص مذهبهم

إن المذهب الزيدي، من المذاهب الإسلامية، المنتمية إلى أهل البيت عليهم السلام، وهو منسوب إلى شخص الإمام زيد الشهيد ابن الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين الشهيد بكر بلاء ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الهاشمي عليه وعلى آبائه السلام.

وُلد الإمام زيد الشهيد في المدينة المنورة سنة (٧٥هـ) وأخذ العلم من والده الإمام السجاد، ومن أخيه الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام.

وخرج الإمام زيد سنة (١٢٢هـ) في الكوفة، في سلطنة هشام بن عبد الملك الأموي، وقد اتبعه في خروجه جماعة من الشيعة وغيرهم، عُرفوا باسم «الزيدية» وكان كبار من خرج معه من أصحاب الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، مثل الفضيل بن الزبير بن درهم الرسان الكوفي، وغيرهم.

و كان للإمام الصادق عليه السلام مواقف حاسمة عظيمة في الدفاع عن زيد وأصحابه الذين ظلّوا متمسكين بأهل البيت، وأخبار مواقفه مشهورةً مذكورةً في سيرته عليه السلام.

و قد انتشر أصحاب زيد الشهيد، وتوزعوا، وتشعبوا إلى فرق، كالجارودية والصاحبية والبُترية والسليمانية الجريرية وغيرها.

ومن أشهر من عُرفوا بهذا المذهب العلويون الذين التزموا المعارضة المسلّحة ضدّ الحكّام العباسيين، الذين ألجأتهم السُلطات الغاشمة إلى الخروج، ولاحتقتهم في الأقطار البعيدة عن مراكز الدولة:

مثل (يحيى بن زيد الشهيد) الذي لاحقوه إلى الجوزجان من بلاد خراسان، وقتلوه في معركة دامية.

ومثل الحسين الفخّيّ الشهيد الذي لاحقوه، وقتلوه في الحرم المكيّ الشريف في منطقة «فخّ» وتعرف اليوم بـ«الشهداء» في مكّة المكرّمة في طريق «التنعيم».

و مثل مَنْ ابتعد من العلويين إلى أرض المغرب، كالأدارسة الذين أسسوا دولتهم هناك.

و قد توالى ثورات العلويين، فأصبح التصديّ للحكّام الظلمة سمةً بُني عليها «المذهب الزيديّ» مضافاً إلى شرط «العلوية الفاطمية» أي كون الإمام من أولاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وبالخصوص من أولاد فاطمة الزهراء عليها السلام، وهما الإمام الحسن والحسين عليهما السلام، ومع صفة «الاجتهاد في الأحكام» فهذه ممّا تميّزه هذا المذهب.

و قد اعتمد المذهبُ الزيديّ على هذه الأمور، واتفقت فرقهم على اشتراطها في إمامة كلّ من تولّى الإمامة، وشدّت مذاهب منهم عن بعض هذه الالتزامات.

ولم تظهر للزيدية في القرن الأول والثاني معالم بارزة في مسائل العقيدة والفقه، سوى ما روي من أحاديث الإمام زيد الشهيد عليه السلام بواسطة الرواة، وأشهرهم «أبو خالد الواسطي» في ما هو معروف بـ«المجموع» والشامل لمسند زيد الحديثي، ولما نقل عنه من المسائل الفقهية، ولذا عُرف المذهب باسم «الزيدي» عقيدة، واشتهر أئمتهم وهم من أهل البيت عليهم السلام بالدعوة، والتصدي، والاجتهاد.

وأشهر أئمتهم بعد زيد وابنه يحيى هم: من أولاد عبد الله بن الحسن المثنى المسمى بـ«الكامل» ابن الإمام السبط الحسن المجتبي عليه السلام. وعلى هذا استمر المذهب حتى قيام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الديباج ابن إبراهيم الشبيه ابن الحسن المثنى.

ففي سنة (١٩٩هـ) بعد قتل أخيه، قام بالدعوة في مصر - وتوفي سنة (٢٤٦هـ) وعرف بكثرة التأليف في مختلف العلوم، ولا سيما علم أصول الدين، وله الردود على المخالفين في العقيدة، وألّف في فروع الدين، فعرف المقلدون له باسم «القاسمية» نسبةً إليه، واعتبره الزيدية (مجدداً للدين في رأس القرن الثاني الهجري).

وتلاه في الإمامة الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين بن القاسم المولود سنة (٢٤٥هـ) والمتوفى سنة (٢٩٨هـ) ومشهده قائم في مدينة (صعدة) في شمالي اليمن، فقد وفد إلى اليمن وأسس دولة الزيدية هناك، كما أكثر من التأليف وأشهر كتبه (الأحكام) من أقدم التراث الزيدي المعتمد في الفقه، وعرف أتباعه بـ«الهادوية» نسبةً إليه.

وأتسعت أتباع المذهب الزيدي في الكوفة واليمن، كما هاجر منهم جمع إلى منطقة الجبل والديلم في شمالي إيران، فكونوا دولة استمرت لقرون.

و قام الأئمة الزيدية وأتباعهم من العلماء بتدوين المؤلفات ونشر العلوم بالروايات، وبذلك استقرّ المذهب الزيدي، على أسس من فكرهم العلمي، معتمدين على ما أثار عن سلفهم، و في مقدّماتها تراث الإمام زيد الشهيد عليه السلام، ولذلك اشتهر مذهبهم بـ«المذهب الزيدي».

والتزم علماء الزيدية بـ«الاجتهاد» في الفقه، وهو من أهم شروط الإمامة عندهم، وعلى أثر ذلك دبّ الاختلاف بينهم، و ظهرت فرق ومذاهب، كما هو في أكثر المذاهب الكبرى، لوجود الاختلاف في الآراء والأنظار حسب الاجتهادات والنظريات في الفقه.

لكن عنوان «الزيدية» إنّما يُطلق على من أقرّ بالاصول العامة المتفق عليها وهي من شروط الإمامة: «التصدي، والعلوية، والاجتهاد» والالتزام بـ«العدل والتوحيد».

ومع أنهم - على مدى التاريخ - تشعبوا فرقاً وطوائف متعددة، إلا أنّ الغالب عليهم - دائماً - هم «الجارودية».

وقد ذكرني الشيخ العلامة المدرّس في الجامع الكبير بصنعاء، السيّد أحمد محمد حجر الصنعاني (المتوفى ١٤٢٦ هـ) رحمه الله أنّ: «من لم يكن جارودياً، فليس بزيدي».

و هذا المذهب «الجارودي» أقرب مذاهبهم إلى الإمامية، في المعتقد. و قد ظهرت انحرافات، وبالأخص في عصرنا الحاضر، حيث تدخلت في ظروف طارئة أفكار علمانية وسلفية وهابية، فظهرت بين الناشئين والشباب آراء خارجة عن المذهب الزيدي، اندحرت أمام صمود المؤمنين، وباءت بالفشل، واستمرّ المذهب الزيدي على أصوله القويّة في اليمن بجهود علمائهم وسواعد المؤمنين الاصوليين منهم.

من دواعي الاختلاف والتغيير في اتجاهات الزيدية قديماً وحديثاً:

من المؤلفين الواقع في التاريخ البشري أنّ المذاهب تتبلور وتحدث فيها انقسامات وتحدث فرق على أثر الاختلافات في الآراء والمعتقدات، حسب الشخصيات المتعددة أو الظروف المتعاقبة، والأجواء المتفاوتة، فكل من هذه الأمور تؤثر في بروز جماعات متطرفة، بين إفراط وتفريط، كما هو المشاهد في جميع الأديان والمذاهب، في التاريخ الماضي والحاضر. ولم تخلُ الزيدية من هذا الأمر، على طول القرون، فالفرق المنتمية إلى الزيدية، والمتشعبة منها كثيرة جداً.

ومن الفوارق المهمة بينها:

- ١- الالتزام بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام مباشرة عند الأكثر، وامتنازت بعضها بالولاء للخلفاء الذين حكموا بعد النبي صلى الله عليه وآله قبل أمير المؤمنين عليه السلام.
- ٢- التزام القدماء من الزيدية بإمامة الإمام السجاد عليه السلام، وادّعاء المتأخرين منهم أنّه من «دعاة الأئمة» فقط.^١
- ٣- التزام بعض الفرق بمهدوية بعض الأئمة منهم.
- ٤- التزام بعض الفرق بغيبة إمام منهم كالحسينية، أتباع الحسين بن القاسم العياني المتوفى (٤٠٤ هـ)^٢ فقالوا بمهدويته وغيبته.

١ - لقد بحثنا عن هذا الامر في كتابنا (جهاد الإمام السجاد عليه السلام).

٢- انظر: تراث الزيدية (ص ٨٦ و ٨٧).

٥- وفي العصر الحاضر ظهرت اتجاهات منحرفة عن الزيدية، متأثرة بالدعايات الوهابية والسلفية أو التيارات العلمانية الملحدة، نبذتهم الزيدية الأصيلة.

ومن المذاهب التي اختلفت مع جمهور الزيدية هي (المطرية). كما أن بعض الجماعات اختلفت مع الأئمة القائمين، فدخلت معهم في حروب طاحنة، أو تعرضوا لحمولات قاسية أو سجون مخيفة وطويلة المدة، لكنها أصبحت من حوادث التاريخ، كحركة آل الوزير، ومواجهة السيد العلامة ابن حورية، محمد بن إبراهيم (ت ١٣٨١ هـ) الذي اتهم بالتعرض بإمامة الإمام. ومثل ذلك مما لا تحلونه المذاهب والأديان، إلا أن المذهب الزيدي الذي لا يزال قائماً هو المبتني على الخطوط العريضة المتفق عليها عند أهل العلم والجماعة منهم.

والسبب الأساسي في كل هذا التفرق والانشقاق والاختلاف - بغض النظر عن النزاعات القبلية والأحقاد والأغراض الشخصية - هو وجود الحرية في الأفكار على أثر انفتاح باب الاجتهاد بمصر اعياه في المذهب الزيدي، وانفلات البعض وخروجهم عن الموازين الأصلية والخطوط المرسومة.

ولكن باعتبار انحصار المساحة لوجود المذهب الزيدي - في عصرنا الحاضر - فإنه أقل تعرضاً للتفرق مما حصل في سائر المذاهب والفرق الإسلامية الواسعة الأطراف في أبعد القارات طولاً وعرضاً، والمؤدي الى تعدي الجهلة والأعداء والمدعين والمضلّين، ونفوذ مساعي التخريب من اليهود والنصارى في عهد الاستعمار البغيض، كما يرى في الهند وأفريقيا البعيدة عن مراكز العلم وحوزاتها الدينية المحصنة.

أهمّ الموافقات والمخالفات بين الزيدية والاثني عشرية، في الأصول والفروع:

إنّ المذاهب الإسلامية عموماً، بينها من الموافقات في الأصول والفروع أكثر ممّا بينها من المخالفات، وهذا بيّن واضح لمن راجع كتب العقائد وكتب الفقه والأحكام في جميع المذاهب والفرق، وكما هي في سائر المعارف والعلوم. وهذا الاتفاق بين الزيدية والإمامية، أوضح وأظهر وأكثر، فالمذهبان يشتركان في مسائل أصولية مهمّة، مثل:

انحصار الإمامة في أهل البيت النبويّ، والقول بعصمة الخمسة أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم آية التطهير: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) سورة الاحزاب ٣٣ الآية ٣٣. والالتزام بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مباشرة بعد النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وإمامة الحسين عليهما السلام، بالنصّ، وإن اختلف المذهبان في بعض الجزئيات.

كما يلتزم المذهبان بالعدل والتوحيد، ويرفضان الجبر والتشبيه والتجسيم رفضاً باتاً، بما أقاموه من الأدلّة العقلية والنقلية القطعية، وقد وافقهم في هذا «المعتزلة» من العامة حتّى توهّم من نسبهم إلى الاعتزال، لأجل هذه الموافقة من المعتزلة.

كما أنّ الزيدية يوافقون الإمامية في كثير من الفروع، لقيام الأدلّة الموافقة عندهما على ذلك، مثل الالتزام بقول: «حيّ على خير العمل» في الأذان. وكذا الالتزام بجزئية (البسملة) في القرآن، وجوب تلاوتها في قراءة الصلاة.

والالتزام بإرسال اليد وعدم التكتف، وبدعية قول «آمين» بعد الحمد، في الصلاة.

وغير ذلك من الموافقات الكثيرة المذكورة في جميع كتب الفقه وأبوابه في المذهبيين.

وفي كثير من هذه المشتركات لهم موافقون من أهل المذاهب الأربعة السنيّة أيضاً.

ومن أهمّ مظاهر الموافقة اعتزاز الزيدية بيوم الغدير واعتباره عيداً عظيماً يقومون فيه باحتفالات كبيرة واجتماعات ضخمة، لأنّه اليوم الذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام أميراً للمؤمنين وإماماً من بعده، أثناء عودته من حجة الوداع، سنة (١٠هـ) عند منطقة (غدير خُم) بين مكة والمدينة، وهو عيد الولاية المعظم عند الشيعة بكافة فرقهم وطوائمهم وفي جميع بلادهم.

ومن أهمّ مشتركات الزيدية والإمامية هو رفضهم لتحكّم الطواغيت، وسلطة الظلمة المستخلفين ظلماً وجوراً، والمسيطرين على رقاب الأمة الإسلامية طوال القرون، وحتى عصرنا الحاضر.

فمنهم المجاهدون المجاهرون بالعلم والعمل والثورة على الرؤساء والملوك والأمراء العملاء للكفرة من اليهود والصليبيين الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

ومن أجل ذلك فإنّ الزيدية في اليمن يُتهمون بالاثني عشرية لكونهم متوافقين على هذه السيرة، وسعيهم لإقامة دولة إسلامية حرة مستقلة، كما حصل للشيعة الاثني عشرية في الجمهورية الإسلامية في إيران.

وأهمّ ما يشترك فيه المذهبان الزيدي والاثني عشريّ، هو التراث الديني والعلمي، المعتمد عندهما، فهذه كتب الحديث الشريف في المذهبين فيها من الأحاديث المؤتلفة والمتّحدة نصّاً أو معنىً كثيرة جداً، تزخر بها خزائن الحديث

عند الفريقين، كما فيها الكثير ممّا يأتلف مع أحاديث أهل المذاهب الأربعة العامية.

وسياتي كلامٌ حول المصادر المعتمدة والمشاركة بين المذهبيين وعن التراث الزيديّ العظيم خاصّة.

الزيدية و«المعتزلة» و«الحنفية»:

ليس صحيحاً القول بأنّ الزيدية معتزلة في الأصول! وحنفية في الفروع! إطلاقاً، فذلك كلامٌ من لم يطلع على حقيقة مذهب الزيدية، لا أصولاً، ولا فروعاً.

بل لأبدّ، قبل الحديث عن حقيقة هذه الأغلوطة، من كشف أمر مهمّ، وهو: أنه لا ريب في أنّ الأديان الإلهية، تشترك في ما بينها في بعض الملتزمات من أمور العقيدة، بل من التشريعات أيضاً.

والفرق المتشعبة في المذهب الواحد، أيضاً كذلك، لأبدّ ان يكون بينها جامعٌ مشتركٌ تتوافق عليه ويجمعها في الدخول في ذلك المذهب، مع فرض ما بينها من الافتراق الذي تسبب تعددها واختلافها.

وكثيراً ما يكون الاتفاق في الأصول والكتليات التي هي الجامع المشترك بينها، ويكون الاختلاف الموجب للتفرّق إلى الفرق المتعدّدة، في الجزئيات والفروع والتفاصيل، فليس من الصحيح نسبة فرقة إلى الدخول في الأخرى، أو دعوى الأخذ منها، بمجرد وجود المشتركات بينها، أو الموافقة في رأيٍ أو عقيدةٍ أو فرعٍ، كما لا يصحّ مثل ذلك في الأديان.

نعم، يمكن تميّز دين أو مذهب أو فرقة، عن غيرها، باختصاص له بما لا يوافق الآخرين، ومن المعلوم أن كلّ دين أو مذهب أو فرقة، له مختصاتٌ ودعاو وميزات لا توجد عند غيره.

والمذهب الشيعي تتفق فرقته كلها على «التشيّع» وهو الولاء لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، والانتماء اليهم فكراً وفقهياً، والالتزام بإمامتهم وخلافتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّه عليهم بالخلافة، وتعيينهم للإمامة من بعده.

على هذا يجتمع الشيعة بكل فرقهم، وإن اختلفوا بين من يلتزم بالأئمة الاثني عشر وهم الإمامية الاثني عشرية الجعفرية، ومنهم العلويون في سوريا ولبنان وتركيا. وبين من يلتزم بإمامة من كان من أهل البيت من أولاد الحسن المجتبي والحسين الشهيد بكربلاء، ابني فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وهم الشيعة الزيدية.

وبين من يلتزم بستّة من الاثني عشر - حتى الامام جعفر الصادق عليه السلام، ويجرون الإمامة في ابنه اسماعيل وذريته، وهم الإسماعيلية.

وهذه الفرق هي كبرى فرق الشيعة، من الموجودين في العالم اليوم، وهناك فرقٌ غيرهم، وأخرى تفرّعت من هؤلاء، لكن الجميع يشتركون في أصل التشيّع، وهو ما ذكرنا من موقفهم تجاه أهل البيت عليهم السلام.

وكذلك الحال في الدين الإسلامي، وما تفرّع فيه من المذاهب العقيدية والفقهية، فإنّ الجامع المشترك في صدق «الأمة الإسلامية» و«الملّة المحمّدية» هو «النطق بالشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله» فمن نطق بهما فهو «مسلم».

وقد اختلف المسلمون وتفرّقوا إلى مذاهب متعدّدة، لاختلافهم في العقائد، فكانت المعتزلة، والمرجئة، والجبرية والسلفية، والوهابية، والخوارج. وغيرها.

واختلفوا في الأحكام، فكان الشيعة وأهل الحديث والحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية، والظاهرية. والحشوية المقلّدة، والقرآنيون، والصوفية بأنواعها وأقسامها.

وقد اختلف هؤلاء على أثر خلافهم في الآراء والنظرات العقيدية أو الفتاوى في الأحكام الفرعية.

ومن الواضح أنّ لتدخل الحكام والأعداء دوراً بليغاً في حدوث التفرّق. فإنهم دعاة التفرّق، وهواة تشتيت الجمع إلى كتل صغيرة متناحرة تذهب بريح الأمة، وتذهب بهاءها، على أساس من : «فَرَقْ تَسُدْ» التي جعلها المستعمرون شعارهم ودثارهم، في هذا الزمن، واستفاد منها الحكام والخلفاء من قبل ومن بعد.

لكن اختلاف المذاهب الإسلامية، لا يُخرجهم عن الإسلام، لو كانوا ملتزمين بالشهادتين، حتى لو اختلفوا في الإمامة والخلافة، كما بين الشيعة وأهل السنة، أو اختلفوا في العدل والتوحيد، كما بين المعتزلة والأشاعرة، أو في الجبر والتشبيه كما بين السلفية وسائر المسلمين، أو التزموا بالكفر، كما بين السلفية والخواارج، وبين سائر المسلمين في عصرنا الحاضر.

فلو اتفق مذهبان في رأي، والتزما به وافترقا به عن سائر المسلمين، فلا يعني اتفاقهما في المذهب، وأخذ واحد عن الآخر، كما وقع بين الشيعة والمعتزلة، من الالتزام بالعدل والتوحيد، ونفي الجبر والتشبيه والتجسيم، فلا يعني أن التشيع والاعتزال مذهبٌ واحدٌ، ولا يعني أنّ أحدهما أخذ من الآخر، لأن المفروض أن كلاّ منهما قد أخذ ذلك من أدلة العقل بإرشاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فكذلك التزام الزيدية بهذا القول لا يعني أنّهم مُعتزلة، كما لا يعني أنّ المعتزلة هم «شيعة» بهذا الالتزام.

والدليل على ذلك أن كُلاً من الإمامية والزيدية. قد ألقوا كتباً في دفع هذه التهمة عنهم.^١

ومثل ذلك اتفاق مذهبين في بعض الفروع والأحكام، لا يدلّ على اتحادهما كلياً، ولا على أخذ أحدهما من الآخر، بل قد يتفق ذلك لأجل اتحاد الأدلة وتوافق المصادر، كما حصل بين المذاهب في الفتاوى كثيراً، ومن ذلك ما وقع بين الزيدية والحنفية، فليس وجود ذلك موجباً لنسبة فقه الزيدية إلى الحنفية، كما ليس هو العكس.

ولعلّ شبهة الحنفية المنسوبة إلى الزيدية منشؤها أنّ الزيدية يعتمدون في أدلة أصول الفقه على (القياس) المشهور، كاعتماد الحنفية عليه، وللزيدية فيه شروط كثيرة، فصّلوها في كتب (أصول الفقه) عندهم.

وقد يوصلهم اجتهادهم إلى ما يُوافق الفقه الحنفي من الأحكام، وهذا الاتفاق في الدليل، لا يوجب نسبة الفقه الزيدي إلى الفقه الحنفي، والقول بأنّ الزيدية هم حنفية في الفروع.

بل للزيدية فقه مستقلّ معروف، ومتداول عندهم، مستندٌ إلى أدلتهم الخاصة. كما أن لهم مصادرهم الخاصة، وفي مقدّماتها - بعد القرآن الكريم - ما يروونه عن أهل البيت عليهم السلام من الأحاديث المسندة المرفوعة والمنقولة بطرقهم وثقاتهم من المحدثين والرواة.

فليس ذلك الادّعاء إلاّ اجتراءً، يرفضه الواقع الملموس، كما يرفضه أعلام الزيدية قاطبةً قديماً وحديثاً.

١- قد فصلنا الحديث عن هذا في مقدمتنا لتحقيق كتاب (الحكايات) من تأليف الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) مجلّد القرن الخامس، وهو مطبوع متداول.

نعم، لدخول اسم «أبي حنيفة» إمام المذهب الحنفي في تاريخ الزيدية، تأثير في أمثال هذا التوهم، ذلك، لأنّ الزيدية يعتبرون أبا حنيفة ممن أزرّ الإمام زيداً عليه السلام في دعوته وخروجه، ولذلك عدّوه في كتبهم ممن تابع زيداً في حركته الجهادية، وزوّده بالمال والسلاح، وهم يترجمون له في كتب تراجم أعلامهم، ويذكرون فتاواه في مؤلفاتهم، فأوجب ذلك شبهة أنهم يتبعونه في «الفقه» ولم يتنبّه من انطلى عليه الأمر إلى ما ذكرنا من اختلاف المباني والمناهج، وأنّ الزيدية لهم فقههم المستقلّ، والمعروف، والمستند إلى ما عندهم من أدلة ومصادر معتمدة عندهم، ولهم طرقهم وأسانيدهم وفقهاؤهم. بعيداً عن المذهب الحنفي ورجاله وفقهائه، وإن وافقوهم في بعض الأحكام، لاعتمادهم على القياس، المعتمد عند الحنفية.

ولقد خالف جمهور الزيدية من قال:

«إنّ الزيدية... هم أقرب المذاهب إلى مذاهب أهل السنة والجماعة، لا سيما مذهب الإمام أبي حنيفة، كما يعترف بذلك بعض محقّقيهم، وهكذا القول في فروعه كالمذهب الهادي والقاسمي والناصري والهاروني وغيرها... حتى كان بعض أئمة الهادوية يرى الأخذ عن أقوال أبي حنيفة إذا لم يجد للهادي نصّاً في مسألة فقهية»^١.

فهذا كلام لا يقبله علماء الزيدية المجتهدون، ويشهد على ذلك ما هو متداول عند الزيدية من الكتب الفقهية، وإن وجد في الزيدية من التزم بذلك فهو نادرٌ شاذٌّ لا اعتبار به، لخرقه اجماع الطائفة الزيدية على مرّ القرون، ويتضاءل امام الجمّ الغفير من فضلائهم بحيث يمنع من الحكم على جميعهم

١ - الزيدية بالمن (ص ٧-٩).

بذلك الادّعاء، بل يُنافي التزامهم القويّ بالعقيدة باهل البيت مصادر للشرعية وموارد لها، وقولهم بالاجتهاد المطلق، والأخذ بالدليل يميلون معه حيث يميل. والذي يُظنّ في إطلاق ذلك الادّعاء أنه صدر في إطار «التقريب» وأجوائه، بين المذاهب الإسلامية، حيث نشر ذلك في مقال مجلة «دارالتقريب» المسماة بـ«رسالة الاسلام» في الأربعينات من القرن الرابع عشر، في مدينة القاهرة المصرية، كما جاء في ذيل ذلك المقال نفسه.

المصادر الحديثية بين الزيدية والامامية:

إن شيعة أهل البيت عليهم السلام بجميع الفرق المنتسبة اليهم كلّهم يفتخرون بالتزوّد من ندير علوم أئمّتهم، التي حصلت بالطرق الموثوقة عندهم، وعلى رواية الثقات من روايتهم، الذين بذلوا الجهود في تحمّلها وحفظها ونقلها، وتحمّلها وبثّها.

وللإمامية الاثني عشرية شطرٌ وافرٌ من ذلك، كما يدلّ عليه ضخامة التراث الحديثي عندهم، وكثرة عدد الرواة والمحدثين منهم، ممّن لقوا الأئمة الاثني عشر ومن تحمّلوا العلوم منهم مباشرةً، وكذلك العلماء الذين ورثوا علومهم وعاشوا بعدهم، وآلّفوا كتب الحديث ومجاميعه وآثروا المكتبة الإسلامية بترائهم الحديثي الضخم الفخم.

وللزيدية أيضاً تراثٌ حديثي جليل من رواية أئمّتهم من أهل البيت عليهم السلام بدءاً بما ألّفه الإمام زيد الشهيد عليه السلام، وما رواه سائرهم، فألّفوه وجمعوه وخلّدوه، برواية المحدثين المعروفين عندهم، كما يشهد به التراث الزيدي المطبوع والمحفوف.

وهم يشتركون مع الإمامية في رواية الكثير من أحاديث الأئمة، حيث كان الرواة من الزيدية في عصر زيد الشهيد ومن بعده، والكوفيون منهم خاصة، من

تلامذة الأئمة الباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام، يروون عنهم العلوم المسندة والمرفوعة، وفي رواياتهم كثيرٌ من الحديث المؤلف مع الذي رواه الإمامية عنهم عليهم السلام أيضاً.

وهذا أمرٌ معلومٌ بين أهل العلم بالحديث ورجاله عند علماء المذهبيين. وقد التقيتُ بأحد علماء الزيدية، في النجف الأشرف وتحدثت معه حول الحديث عند الإمامية وضخامة المؤلفات الجامعة له، فظهر عدم الاطلاع عليه، فأحضرتُ له، موسوعة «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» المعتمد عندنا في الأحاديث الفقهية والأحكام الشرعية، وبعد مراجعتي وجدته مُستبشراً جداً، وقال لي بصراحة: «إنَّ ما في هذا الكتاب من الأحاديث أكثره ممَّا هو بطرق رواتنا من الزيدية» وأضاف: «و فيه الكثير ممَّا يوافق مذهبنا الفقهي».

وقد ذكّرني كلامه بما ذكره الإمام الشهير بـ«بحر العلوم» من «أنَّ أكثر رواتنا من أهل الكوفة هم من الزيدية».

فالزيدية يعتمدون كالإمامية، على الحديث المرويّ بطرق أهل البيت عليهم السلام، ومثلهم الشيعة الإسماعيلية، كما هو الموجود في كتبهم ومصادر الحديث عندهم.

التراث الزيدي وأهمية المراجعة اليه:

لقد هممتُ بالتراث انطلاقاً عن حاجة ماسّة أحسستُ بها شخصياً، على أثر ما وجدته في المؤلفات والمنقولات من اختلاف النسخ والمغايرة في العبارات، مما يؤدّي إلى معانى متفاوتة، ومتناقضة أحياناً، ونتائج خطيرة في الفهم والاستدلال، وبالتالي في الحكم والفتاوى.

واكتشفتُ أنّ الملجأ الوحيد المنقذ في هذه الأزمة هو: الرجوع إلى النسخ المصبوبة، والتراث الموثوق، بطرق الرواية المعتمدة للوصول إلى النصوص الصحيحة.

كان هذا هو السبب الأساس، لتوجهي إلى التراث وتحقيقه، حسب الحاجة إلى البحث وعند مواضع النزاع والإشكال.

وقد قمتُ في هذا المجال بأعمال وجهود وبحوث ومقالات، كان آخرها المحاضرات التي ألقيتها في النجف الأشرف، على جماعة من طلاب الحوزة العلمية سنة (١٤٣٣ هـ) وقد طبع بعنوان «علم تحقيق النصوص نظرية علمية، وتطبيق عملي» أرجو أن تبلغ ما إليه صبوْتُ، وفيه عملتُ، وهو القبول من الله. أمّا التراث الزيدي بالذات، فقد انبهرتُ به لما وقفتُ عليه، لما يلي من الأسباب:

فمن جهة: وجدتُ في التراث الزيدي معلومات جديدة سواء في نصوص الأحاديث، أم الأقوال والآراء، أم البحوث والتحقيقات، أم الاستدلالات والنقوض، أم الأساليب والبيانات مما يوافق ما لدينا في مختلف مجالات العلوم، وفي مجال العقائد والفقه بالأخص.

ومن جهة أخرى: وجدتُ في التراث الزيدي، كثيراً من المصادر المقدّسة عندنا، هي نفسها المقدّسة عندهم، وهي مما تعتزّ به الشيعة كافّة من الكتب المروية بالطرق الصحيحة عند الجميع، مثل: (نهج البلاغة) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، و(الصحيفة السجادية) من كلام الإمام علي بن الحسين السجّاد زين العابدين عليه السلام، و(صحيفة الإمام الرضا علي بن موسى عليه السلام) الشهيرة.

فهذا يدل على الاشتراك في هذه المقدّسات، فلا بُدَّ أن يكون الاشتراك في أكثر من ذلك في سائر المصادر والمعارف، تحتزن به كتب التراث الزيديّ، تحتوي على ما يدعم الفكر الشيعيّ ويؤصّله ويوثّقه.

ولقد كان السلف من أعلام المذهبين - الإماميّ والزيديّ - يهتمّون بالتراث المتبادل، ويتبادلونه بالرواية والنقل، ويعتزّون بما يجدونه في تراث أحدهما والآخر، من فوائد علمية وعوائد فكرية مشتركة المقاصد ومتّحدة الأهداف والمآرب، ممّا يصدق عليه «التعاون على البرّ والتقوى».

ف نجد في التراث الزيديّ من مؤلّفات أعلام الإمامية المشهورة، مثل بعض كتب السيّد ابن طاووس - كالطرائف - منشوراً عندهم يتداولونه ويروونه، وكذلك كتب ابن البطريق، كالعمدة، وكتاب «كشف المخفيّ في أحاديث المهديّ عليه السلام».

ونجد في تراث الإمامية من مؤلّفات أعلام الزيدية، مثل: «الحدائق الوردية» للمحليّ، و «مطلع البدور» لابن أبي الرجال، و«تنبيه الغافلين» للحاكم أبي - سعد الجشمي، و«فضل الكوفة» و«فضل زيارة الحسين عليه السلام» للشريف أبي عبدالله العلوي، وكثير من تراث الزيدية في الجليل والديلم، وغيرها.

وقد كان مثل هذا التواصل والتبادل يحصل بين اهل المذهبين من خلال العلّماء من الطرفين، الذين كانوا يأتون من اليمن و يزورون بلاد العراق وإيران، أو من خلال من سافر إلى اليمن و هاجر إلى مراكز العلم هناك من زيدية الكوفة أو علماء الجليل والديلم، أو بعض الإمامية، فحملوا من تراثهم إلى العراق وإيران، أو في لقاء بعضهم البعض في مواسم الحجّ.

وقد كان لي سعيّ - خاصّ - في هذا المجال، حيثُ حصل بعد سقوط الملكية في اليمن انفتاحٌ للشعب اليمنيّ على العالم، فاتجه كثيرٌ من الزيدية إلى زيارة العتبات المقدّسة في العراق وإيران، وفيهم من العلّماء الأفاضل الكثيرون،

فلقيتُ بعضهم في العتبات المقدسة، واتّصلت بهم، وتعرّفت عليهم عن كتب، وزرّتهم في محالّ إقامتهم، ودعوتهم إلى مأواي في المدرسة العلميّة^١ فوقفت منهم على خُلُقٍ سامٍ، وأدبٍ ثرٍّ، وإطلاّعٍ واسعٍ، وعلمٍ جَمٍّ، واستبشروا بما رأوا وسمعوا مني حول حياة الطلبة في النجف، وأمور الدراسة والعلوم والمعارف، فكان كلّ ذلك سبباً لارتباطي الوثيق بأؤلئك العلماء الأعلام، وبواسطتهم بالمجتهدين الكبار في اليمن، مما يطول شرحه وذكر تفاصيله.^٢

إنّ هذه اللقاءات المتتابعة التي وفّقني الله لها أدّت إلى ارتباطي بالتراث الزيدي من خلال أولئك الأعلام الكبار، والوقوف عليها عن كتبٍ، فتعرّفتُ على ما فيها من نفائس الفوائد والبحوث القيّمة، فصرتُ مطلعاً على ما لم يبلغ علماء عصرنا، مما يدعّم ما عندنا ويُعزّز مواقفنا ومعلوماتنا من جهة، وبالأسانيد المتّصلة والمباشرة من جهة أخرى، فأصبحتُ قد أحمل ذلك عن «تراثٍ» لا عن «كلالة».

كما كان ذلك سبباً لتعريف أولئك العلماء الفضلاء على ما عندنا من العلوم والمناهج والمؤلفات العظيمة في مختلف العلوم والفنون، مما زادهم عَجَباً وشوقاً وتطلّعاً إليها ومعرفة بها، واقتناءً لها، والاستفادة منها.

وبهذا كلّه حصل الارتباط الوثيق بيننا، والانشداد إلى تراثنا والشوق إلى لقاء العلماء والفضلاء منّا. والوقوف على ما عندنا من فكر وفقه ومناهج.

١- وهي مدرسة الصدر الأعظم الكُبرى، حيث سكنتها منذ هجري إلى النجف الأشرف سنة (١٣٨٤هـ) وحتى هجري منها سنة (١٤٠٠هـ) وهي مدرسة مباركة، كانت عامرة بأعلام كبار من علماء النجف الأشرف.

٢- وقد إستوعبت الحديث عن ذلك في (سيرتي الكبيرة).

كان كلّ هذا قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، على يد الإمام العظيم الخميني سلام الله عليه.

وأما بعد الانتصار، فقد كان الشعب اليمني عامّة، والزيدى منهم خاصة في طليعة المبتهجين بذلك، كما كان كذلك جميع الشعوب الإسلامية المستضعفة، بل عموم المستضعفين في العالم أجمع، بالرغم من ضغوط الحكومات في الدول العميلة، حتى في البلاد الإسلامية العربية وغيرها، فضلاً عن الدول الكافرة والاستكبارية بالذات، شرقاً وغرباً.

وكان اندفاع الزيدية في اليمن بالتفاعل مع الثورة في إيران إلى حدّ بليغ، بالانشداد إلى قادتها والانتهاج بمنهجها والمباركة لانتصاراتها، والابتهاج بازدهارها، إلى حدّ اتهام الحكام الظلمة لهم بالاستمداد منها والانتماء إلى إيران، ولا يزالون يستخدمون هذا الاتهام ضدّ الشعب اليمني البطل، حيث قد عرف الحقّ ورفض الباطل الذي كاف عليه النظام اليمني الفاسد. وهذا اتهام سخيف إذ أنّ الابتهاج بالثورة الإيرانية، لم يختص باليمن ولا بالزيدية، بل كلّ المسلمين في العالم، ومن كل المذاهب والأديان، كان لهم موقف التأيد بل الاستلهاج من إيران في رفض الاستعمار وأذنابه حتى انتهى الأمر بالعرب إلى (الصحوة الكبرى) نسأل الله لها الازدهار والاستمرار والنجاح.

وفى آخر جولاتي مع أعلام الزيدية الكبار كان لقائي بالإمام المجاهد العلامة الفقيه المحقق السيّد بدر الدين الحوثي الحسني رحمه الله، حيث وقفتُ في شخصه على علم من أعلام العلم والدين، منّ ازدان بالورع والتقى وتردّى بالخلق المحمّديّ العظيم، و تدرّع بالشجاعة العلويّة، والعزم القوى لنصرة الدين، مع الزهد الفائق والتواضع الرائق وكلّ ذلك مقرونا بنظر ثاقب ومعرفة بالفنون في كلّ جانب.

فتوثقت العلاقة بيننا لطول المدّة إلى حدّ الأخوة الصادقة، و تعمّقت معرفتي من خلاله بالمذهب الزيدي ومعارفه، أصولاً وفروعاً، واطّلت من خلاله على قدر أكبر من تراث الزيدية.

أضف إلى ذلك أن نهضة ثقافية قام بها الشباب الزيدي من فضلاء الطلبة والمثقفين منهم ببذل الجهود في سبيل إحياء تراثهم الديني والعلمي والأدبي، محققاً مضبوطاً، ومشروحاً، مما لا بدّ أن تشكر، فحيّا الله تلك الجهود وحيّا القائمين عليها.

إحياء التراث المشترك ودوره في توسيع أواصر الترابط والوحدة والتواصل

إنّ من أهم أسباب التواصل بين الشعوب و وسائله الأساسية هو التعارف بينهم، وهو في الوقت ذاته أهم نتائجه وفوائده، كما قال تعالى: (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا...). ويعرف هذا من ضدّ التعارف، وهو التجاهل، فإنه موجب للقطيعة والنزاع والفرقة، والعداء، كما يقال: «الإنسان عدوّ ما جهل» ومن المؤسف جدّاً أنّ انزواء الزيدية في العصور المتأخّرة، وانحصارها في مواقعها ومراكزها، وانحصارها في أقصى جنوبي الجزيرة، بعيداً عن مراكز الحضارة الإسلامية وعواصم دولها، أدى إلى عدم ارتباطهم الوثيق بأقرب المذاهب إليهم وهم الإمامية الاثنا عشرية، المنتشرون في الغالب في شمالي شرقى الجزيرة وإيران والهند والشام ولبنان، والعراق حيث المراكز العلمية ومجامع العلماء منهم. وهذا مما أدّى إلى عدم معرفة أهل المذاهب أحدهم بالآخر، وعدم اطلاع علمائهم بتراث الآخر، وإن كانت هناك لقاءات فردية وشخصية وخاصة، إلّا أن ذلك لم يكف لما يلزم ويطلب ويجب من الارتباط العلمي والمعرفة العميقة والواسعة.

وقد سبّب هذا البعد إلى التجاهل المستتبع لإساءة الظنون، والتهجّم بالتخمين، بالاعتماد على مصادر خارجة عن الطرفين مما لفقه أعداء الشيعة من أصحاب الأهواء ومؤلفي الفرق المفتعلة، ونسبة الباطل إلى من ينتمى إلى التشيع سواء كانوا زيدية، أم إمامية، أم غيرها، وكذلك ما يوجد في كلا المذهبين من آثار المتطرفين، والمتحاملين على المذهب الآخر، عن جهل وغفلة وسوء فهم وخطأ تارة، وعن عمد وعناد، أخرى.

وقد شوهد كثير من هذا النوع ممن اعتمد على نصوص أو كلمات أساء فهمها، أو لم يحقق حولها، فأطلق التصوّر والفهم، والحكم والالتهام والقذف بالباطل، أو الكذب والافتراء، نعوذ بالله.

وربما تسرّب ذلك إلى من لا يعرف الحقيقة أو لم يلمسها بعُد، أو أحسن الظنّ بما قيل ونُقل من دون تأكّد، وكان ذلك سبباً للتنافر والابتعاد عن الحقيقة، لكل من أهل المذهبين عن الآخر.

ومن المتيقّن أنّ اعلام المذهبين وعلماءهم الواعين لو التقوا وتحدّثوا وتعرّفوا كلّ على الآخر، وعلى ما عنده من معارف وآثار، وتراث، ومراجعته، لتغيّرت النظرات، وأبطلت الشبهات وانقلب العداء إلى الولاء، وحصل التعارف الذى هو المطلوب عند الله، والمؤدّى إلى الانفتاح والاستزادة من المصادر والوفاق على الآراء والنظريات، والاطلاع على ما يوحد الصفّ الشيعى، ويرصّه، في أكثر الأصول، والفروع.

وقد شرحنا جانباً من هذه الحقائق في مقال بعنوان «الإمامية والزيدية يداً بيد، في حماية تراث أهل البيت عليهم السلام»^١.

١- نشر في مجلة (علوم الحديث) العدد (١٢) الصفحات (٢٧٤ - ٣٢٠).

نعم، إنَّ إحياء التراث المشترك كنهج البلاغة العظيم، هو من أقوى وسائل الاتحاد والاتفاق بين المذاهب الإمامية والزيدية، بلا ريب لالتزام المذهبيين - بالإجماع - بصحة صدوره، وحقية موارده، ولهذا بذلوا الجهود المضنية للحفاظ عليه، حفظاً على خاطر، وكتابة ودراسة وشرحاً ودرساً وتعظيماً على مدى القرون.

ومثل ذلك هو كتاب «الصحيفة السجادية» ذلك الكتاب العظيم الذي هو من إملاء الإمام السجّاد، على بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام - على ولديه الإمام محمد الباقر عليه السلام، و الإمام زيد الشهيد عليه السلام و بمشهد من الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

وللإمامية والزيدية عنايه فائقة بهذه الصحيفة، ولذا نجد ذكرها في الاسانيد، ومحاور الاجازات، كما تتوفر منها نسخ ثمينة، مما يدلّ مدى اهتمامهم بها.

وكذلك «صحيفة الرضا عليه السلام» المروية لدى الفريقين نقلاً متواتراً وبطرق أعلام العلماء في المذهبيين، كما قام بشرحها والتعليق عليها أعلام الفضلاء شكر الله مساعيهم وأجزل أجرهم.

وأرى - بعد هذا - أن من أعمق الوسائل تأثيراً، وأعبدّها طريقاً، وأوثقها علمياً، وأوفاهّا أداءً، وأدخلها في النفوس والعقول: هو رُصد «الحديث الشريف» المشترك بين المسلمين، والمتفق عليه بين المحدثين لفظاً أو معنى، أو كليهما، فإنّ ذلك يعني: «إجماع الأمة» الذي هو حُجّة عند جميع المسلمين، ومثل هذا كثيرٌ جدّاً في التراث الإسلامي، وهو واردٌ في كلّ أبواب العلم من الأصول، والفروع، والمواظ والسيرة، وهو ملزمٌ لكلّ من يمتدّ إلى هذا الدين بصلة، وبهذا تتحدّ المواقف، وتتكاثر المحاولات وتجتمع الآراء والأفكار على أمر واحد، وتحقق النبوءة القرآنية القائلة: (إنّ هذه أمّتكم أمة واحدة).

وعلى هذه القاعدة الصلبة تتحطّم محاولات المخالفين المعارضين والمنحرفين المُجرّفين للحقائق على أساس من الآراء الباطلة والاطروحات الفاشلة، والآمال الخبيثة الباعثة على التفرّق والتنازع والتنافر والتقاطع، لئلا يجدوا منفذاً يتسلّلون منه، بعد أن يواجهوا في هذه الأحاديث المشتركة المجمع عليها بين المسلمين سداً منيعاً من المعارف العقائدية، والشرعية الإسلامية، والآداب الاجتماعية، ويجدوا من الأمة صفّاً مرصوفاً وجيشاً عقائدياً موحّداً على أصول قويمه وفروع محكمة، تتبخر تجاهها جهود دعاة التفرقة والنزاع والتخاصم والحزبية التعددية والطائفية المقيتة والعنصرية الجاهلية والفتنة المهلكة للحرث والنسل.

وما يوجد من الفوارق الجزئية في الفروع مما تختلف فيه الأذواق ووجهات النظر المبتنية على الاجتهادات الظنيّة، إنما هي أمورٌ خاصّةٌ وصغيرة لا تمسّ الحياة الاجتماعية العامّة، ولا الأصول المتفق عليها، ولا أثر لها على المجتمع ككلّ.

وإذا كان هذا أثر الأحاديث المشتركة بين المذاهب الإسلامية جمعاء، فكيف يكون أثرها بين فرق الشيعة وحدها، مثل الإمامية والزيدية، مع أنها تشترك في أكثر الأصول وأوسع الفروع، لاعتمادها على مصدر أهل البيت عليهم السلام، ذلك المصدر الثرّ والغني الوارد من أصفي العيون، وأقرب الطرق، وأوثق الأسانيد، إلى الصادع بالإسلام وهو الرسول الأعظم البشير النذير، صلى الله عليه وآله، فهم أولى بأن يفوزوا بسلوك هذا المنهج القويم، والالتزام بهذا الحبل الوثيق.

الجيل المعاصر من الزيدية و الصحوة الاسلامية

إن إنسان العالم اليوم - وبعد الوعي العام الذي امتاز به إنسان اليوم، على أثر انتشار وسائل الاتصال الواسع والسريع والمتنوع - قد توجه إلى الإسلام كدين، وإلى التشيع كمبدأ ومذهب، لأسباب ومستجدات كثيرة، أهمها:

أولاً - كثرة المسلمين عدداً وكثراً: مع ضخامة ما لديهم من إمكانات مادية، حيث تقوم على بحر من الذهب الأسود (النفط ومشتقاته) وما لهم من إمكانات عملية من الشباب الجامعي ذوي العقول النيرة، المتميزة في العلوم، وما هم عليه من القوى الروحية المستلهمة من الإسلام العظيم الداعي والحافز على التحرر ورفض العبودية ورفض الانصياع للسيطرة الأجنبية والرغبة للالتزام بالعدالة الاجتماعية والإصلاح العام.

ثانياً - انتصار الثورة الإسلامية الطافرة في إيران، مما بث في نفوس المستضعفين في العالم والمسلمين خاصة القوة وأمل الانتصار والاعتزاز بالدين وأحيى فيهم روح المقاومة والشهادة في سبيل الله لدحر المعتدين وبالاخص الصهاينة المجرمين والنصارى المتحكّمين بالبلاد والعباد.

فهذه الصحوة الإسلامية تتنامى مع انتصار الجمهورية الإسلامية في مجالات الحرية والعلم والتكنولوجيا والتقدم علمياً واقتصادياً وعسكرياً بالرغم من الضغوط المستمرة من الدول الغربية وبمساعدة عملائهم الشرقيين ودول العمالة في الشرق الأوسط والمدعية للإسلام كذباً وزوراً.

ومن ورائهم العلمانيون المتسللون بين المسلمين من بعض الدارسين في الجامعات وبالمناهج والأفكار الغربية الكافرة حيث يقومون ببث الإلحاد والفساد وتزييف تعاليم الإسلام وتحريف مصادره، وإبعاد العلماء الأفاضل وتسقيطهم بل قتلهم وتشريدتهم بمعونة الحكومات الظالمة وجماعات وعظّاء

السلطين كالوهابية والسلفية ومن والاهم من أهل الطمع والجشع من السفلة والرعاع والجهلة.

كلّ هذه الأسباب، وغيرها، مما جعل المسلمين يعُون ما هم عليه من الدّل والضعف والتأخر والحرمان، فهبّوا ساخطين مستلهمين من الثورة الإسلامية، في وجه العُملاء في بلدانهم، كما هو المشاهد في البلدان العربية من غربها إلى شرقها.

ولم يستثن الشعب اليمني البطل من هذا، بل إنّ الشعب اليمني - وفيه ملايين ممن ينتمي إلى المذهب الزيدي - يمتازُ بأمرين مهمّين:

الأوّل: إنّ المذهب الزيدي - وعلى طول التاريخ، منذ نشأته الأولى - يقوم على الجهاد ورفض الظلم والعدوان، والخروج على الظلم والظلمة من الحكّام، ومثل هذا المذهب هو ملهم الثورات ولا يحتاج إلى من يعلمه هذا الأمر.

الثاني: إذا مضت فترة - منذ حركة الجمهورية في اليمن إلى اليوم - لم يتمكن أبناء اليمن من الحركة، لشدة ما لاقاه من الظلم والأذى من العسكر المتحكّم باسم الجمهورية، وبعد سقوط الحكم الملكي، وما استلزمته سيطرة الجمهوريين من هجوم شرس على المذهب الزيدي إلى حدّ القضاء عليه بقتل العلماء الكبار والموظفين المعتمدين من القضاة والمدراء، وعزل المدرسين والمعلمين وأئمة الجماعة عن وظائفهم، وتشيت طلاب العلوم الدينيّة ومطاردتهم، فقد بلغني أنّ عدداً يبلغ الآلاف منهم قد اغتيلوا في غوغاء الثورة الجمهورية، فأدى ذلك إلى ضعف المذهب ورجاله وانطوائهم وتقوُّض المعاهد والمدارس والهجر العلمية، خوفاً من سطوة الثوار العسكريين، بريادة حاكم مصر وجنوده المحتلين. وبدعم من حكام الدولة السعودية ومرترقته من الوهابية الحاقدين على المسلمين كافة، وعلى الشيعة ومنهم الزيدية، خاصّة.

ولكن علماء الزيدية الكرام تمكّنوا مع مرور الزمن، من إستعادة قواهم وجمع شمل الشعب الزيديّ وتحصين الطلبة والشباب منهم بالخصوص، ومع الانفتاح العلمي والتكنولوجي، وانتشار وسائل الإعلام، ووعي الشعب اليمني عامّة، واليزيدي خاصّة، رجع العاملون إلى ما كانوا عليه من الهمة والنشاط والحركة، لاستعادة ما كان للمذهب الزيدي من الموقع اللائق به، والتعريف به والإعلان عن عمقه الفكري، فقام الشباب الناهض بالعمل في هذا السبيل بجدّ وثبات وعزم.

ومع انتصار الثورة الإسلامي بقيادة الإمام الهمام الخميني العظيم، ازداد الشعب اليمني المجاهد عزماً وتصميماً على الخلاص من الحكّام الظلمة والفسقة عُملاء الصهاينة الحاقدين والنصارى الصليبيين، فقام المجاهدون بالنهضة بزعامة زعيمهم الإمام بدر الدين الحوثي رحمه الله، وقيادة ولده المجاهد الشهيد السيّد حسين الحوثي وأنصاره الأبطال، على سيرة أجدادهم من آل الرسول وشيعتهم الأبرار مستلهمين من نهضة الإمام الخميني، الذي بثّ روح الجهاد والنضال من جديد في نفوس المسلمين وجميع المستضعفين في الأرض.

وليس جهاد الظالمين ورفضهم بالأمر الجديد على الزيدية، فهم معروفون بذلك، وتاريخهم مليءٌ بالمواجهات الدامية والمشرّفة ضدّ الطواغيت على مدى القرون منذ نشأتهم وحتى اليوم.

وقد أثبت المجاهدون الحوثيون صمودهم ضدّ الجيش الحكوميّ في (صعدة) المدعوم بالجيش السعودي الغاشم المعتدي، والدعم العسكري الأمريكي للحكومة الفاسدة: أثبتوا قوتهم الروحية وجدارتهم الحربيّة، وانتصارهم على أعتى الأسلحة الفتّاكة، بعون الله.

وهم اليوم يواجهون الحملات التي تشنّها قوى الشرّ والكفر والنفاق من الجيش اليمني والعلمانية الملحدة، وقوات الجيش السعودي الوحشي، وعملائهم المترقة من الوهابية والقاعدة عبيد الامريكان وانصار اليهود.

و حيث أنّ أعداء الشعب وبائعي الوطن وثرواته يعجزون عن مواجهة الحوثيين عسكرياً، فهم يتوسلون بالأساليب الفاشلة، والدعايات الرخيصة، و يتهمون الحركة الزيدية العظيمة بالانتماء إلى الخارج، ليشوّهوا سمعتهم، بزعم حكّام اليمن الغافلين عن أنّ هذا الاتّهام باطلٌ من جهة عدم حاجة الشعب اليمني إلى الانتماء إلى أية جهة للنهضة والثورة ورفض الحكومة الفاسدة، مع ما يراه من ظلم و جور للحكام وأزلام النظام في الحكومة العميلة للغرب، وما يقوم به من قتل الناس و نهب ثروات الوطن، والعمالة المكشوفة للطامعين المحتلين السعوديين! فهذا يكفي لوعي الشعب وتحركه ضدّ هذه الحكومة الظالمة.

ومع أنّ الزيدية هي المذهب المبتني على الجهاد ضد الظالمين، وهو مصدر هذا الأمر، والقائم به مدى التاريخ كما يعرفه كلّ واع وعاقل.

ومع أنّ ثورة الإمام الخميني أصبحت قدوةً لكلّ أحرار العالم من المسلمين وغيرهم، وليس في الولاء لها ما يشين أحداً، بل هو فخرٌ وعزّة. فالعجيب ان حكومة اليمن لا تستحي من عمالتها للغربي الكافر، وموالاته المنافقين، مع ما يقومون به من مؤامرات وانتهاكات وتعديات على شعب اليمن، وفي وضح النهار، وبكلّ وقاحة. فهي تريد أن تجعل من الاستلها من الثورة الإسلامية في ايران، اتهاماً!

مع أنّ موافقة الزيدية للاثني عشرية في الوجهة السياسية، أنّما هو مستلهم من تعاليم الرسول وآله الأئمة عليهم السلام في رفض الباطل، ومقاومة الظلم والظالمين، والقيام بالمعروف ورفض المنكر، وهذا لا يختصّ بهم، بل هو واجب

المسلمين جميعاً وعلى ذلك قامت الأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة، وإجماع العلماء وعمل المجاهدين، طول التاريخ.

لقد رسم هذا الطريق وخططه رسول الله صلى الله عليه وآله وطبقه في حياته وسيرته، وكذلك الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأعلنوه.

وها هم - اليوم - شيعتهم و محبّوهم - يقومون بتطبيقه اقتداءً بهم واتباعاً لنهجهم، في إيران الإسلامية، بقيادة الإمام الخامنه‌اي، وفي اليمن بقيادة الشاب البطل عبد الملك الحوثي وريث المجد والعلم والجهاد من الإمام بدرالدين الحوثي، وخلف أخيه المجاهد البطل المغوار السيّد حسين الشهيد.

إن الزيدية - وبعد سنين عجاف - قد رجعوا إلى الطريق الذي عبّده لهم سلفهم الطاهر، كما أحياء الإثنا عشرية، وأضاءوا الطريق لكلّ سالك مسلك العزّ، وطالب الحياة الحرّة الكريمة.

والكلّ يفتخر بالاهتداء بهدي الإسلام، واتباع أئمة أهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام في الجهاد والنضال، بكلّ شموخ، سواءً في إيران، أو الحجاز، والبحرين، والعراق، أو في اليمن وحضر-موت، أو سوريا ومصر، أو لبنان، بل في جميع أنحاء المعمورة.

مستمدّين من الله النصر، ومؤمّلين إنجاز ما وعد بقوله تعالى: (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين)

منتظرين للدولة الكريمة التي يعز الله بها الاسلام وأهله، ويخذل الكفر والنفاق وأهله، في قيادة الإمام الموعود، الذي بشر- به الرسول صلى الله عليه وآله، الإمام «المهدي» المنتظر (ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً).

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر :

١. الزيدية، تأليف السيد عبدالله بن محمد بن إسماعيل، حميد الدين، نشر مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى، الأردن، سنة ١٤٢٠ هـ.
٢. قراءات في الفكر الزيدي، تأليف: محمد الحكيم، حاور فيه الاستاذ إبراهيم الوزير، الطبعة الأولى - دار المنهل - بيروت سنة ١٤١٣ هـ. يُقرأ مع ملاحظات بسيطة.
٣. الزيدية باليمن، تأليف محمد بن إسماعيل العمراني، مقال مستل من مجلة (رسالة الإسلام) التي صدرتها (دارالتقريب بين المذاهب الإسلامية، في القاهرة)، نشرته دار التراث، طبعة أولى، صنعاء، اليمن، سنة ١٤١١ هـ. يُقرأ بحذر!
٤. الامامية والزيدية يد بيد، مقال بقلم السيد محمد رضا الحسيني الجلايلي، نشر - في مجلة (علوم الحديث) الصادرة من (كلية دارالحديث في طهران) في للعدد (١٢) ص ٢٧٤ - ٣٢٠ سنة ١٤٢٣ هـ.
٥. علوم الحديث عند الزيدية والمحدثين، تأليف السيد عبدالله بن حمود بن درهم، العزّي، طبع مؤسسة الإمام زيد بن علي عليه السلام الثقافية، صنعاء، اليمن سنة ١٤٢١ هـ.
٦. تراث الزيدية، تأليف: السيد علي موسوي نجاد، منشورات معهد دراسات المذاهب والأديان الإسلامية - قم. يحتوي على التراث الزيدي المطبوع.
٧. مصادر التراث في المكتبات الخاصة في اليمن، تأليف: السيد عبد السلام عباس الوجيه، نشر: مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية صنعاء - اليمن، طبعة اولى، سنة ١٤٢٢ هـ. يحتوي على فهرس التراث الزيدي المخطوط، في مجلدين.
٨. مؤلفات الزيدية، تأليف السيد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة آية السيد المرعشي - النجفي، قم المقدسة سنة ١٤١٣ هـ. في ثلاث مجلدات
٩. طاووس الياقي (بالفارسية)، فهرست أعلام مخطوطات - دار المخطوطات في صنعاء، تأليف عبدالنواب أحمد علي المشرقي، ومحمد صالح يحيى القاضي، نظمه محبوب الزويري نشرته مكتبة آية السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة ١٤٢١ هـ.